صفحات فلسطينية

لمن يريد أن يعرف

إياد أحمد ملحم

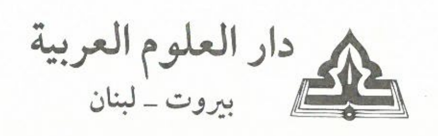


دار العلوم العربية
بيروت - لبنان

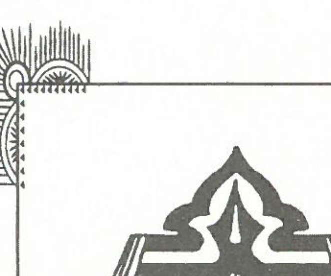
صفحات فلسطينية

لمن يريد أن يعرف

إياد أحمد ملحم



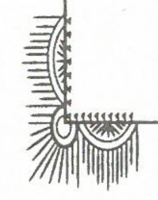
دار العلوم العربية
بيروت - لبنان



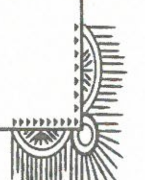
دار العلوم العربية
للطباعة والنشر

الطبعة الأولى
1435 هـ - 2014 م

هاتف - فاكس: 817331 1 00961
ص.ب: 5740 / 14
بيروت - لبنان
E-mail: nasser_ouloum@hotmail.com



هاتف.فاكس: 817331 1 00961
ص.ب: 5740 / 14
بيروت - لبنان



المحتويات

مقدّمة

القضية الفلسطينيّة من أعدل القضايا وأكثرها أهمية في القرن العشرين وما بعده. والظلم الذي لحق بالفلسطينيين من قِبَل الصهيونية، وبريطانيا، وأمريكا، وسائردول العالم، علاوة على الظلم الذي لحق بهم من قِبَل أشقائهم العرب جعل مأساتهم من أشنع مآسي التاريخ، وأشدّها مضاضة. والمقصود بالأشقاء العرب طبعاً حكومات الدول العربية وحكامها. أما الشعوب العربية فتعتبر قضية فلسطين قضيتها وليست قضية الفلسطينيين وحدهم. وهذه حقيقة لا جدال فيها.

لقد كُتب الكثير عن قضيّة فلسطين، وسوف تستمرّ الكتابة عنها ما دام شعبها الحيّ مبقياً عليها حيّة في نفوس الأجيال الفلسطينية، والعربية، والإسلامية، ونفوس جميع شعوب العالم، إلى أن يغيّرالتاريخ مساره ويكتب صفحة جديدة في تاريخ فلسطين ملؤها العدل والحق والإنصاف.

هناك ـ مع الأسف ـ كثير من الشائعات المغرضة والمقصودة التي ردّدها أحياناً بعض الأحياء وذوو القربى، علاوة بالطبع على صناع الشائعات ومطلقيها من الأعداء أصحاب المصلحة في ذلك، مثل شائعة تصوير الفلسطينيين بالإرهابيين أو ببائعي أرضهم لليهود، على سبيل المثال. ولقد أحببت ـ كشاهد على جزء من مسارهذه القضية الحيوية المهمّة ـ أنْ أدوّن بعضاً مما شهدته وعرفته، مضيفاً إليه بعض ما كتبه الكُتّاب حول هذه القضية العادلة، متسلحاً بالصدق والموضوعيّة قدرالمستطاع، علّ ذلك يوضح، لمن لا يعرف، ويحبّ أن يعرف، بعض الحقائق التي ينبغي على أبنائنا وأحفادنا وكلّ الباحثين عن الحقيقة أن يعرفوها.

فإلى أطفال فلسطين.. والأمّة العربيّة.. والعالم.

وإلى الكبار الذين يسمعون الشائعات المغرضة فيصدّقونها.. ويردّدونها أهدي هذه الصفحات.

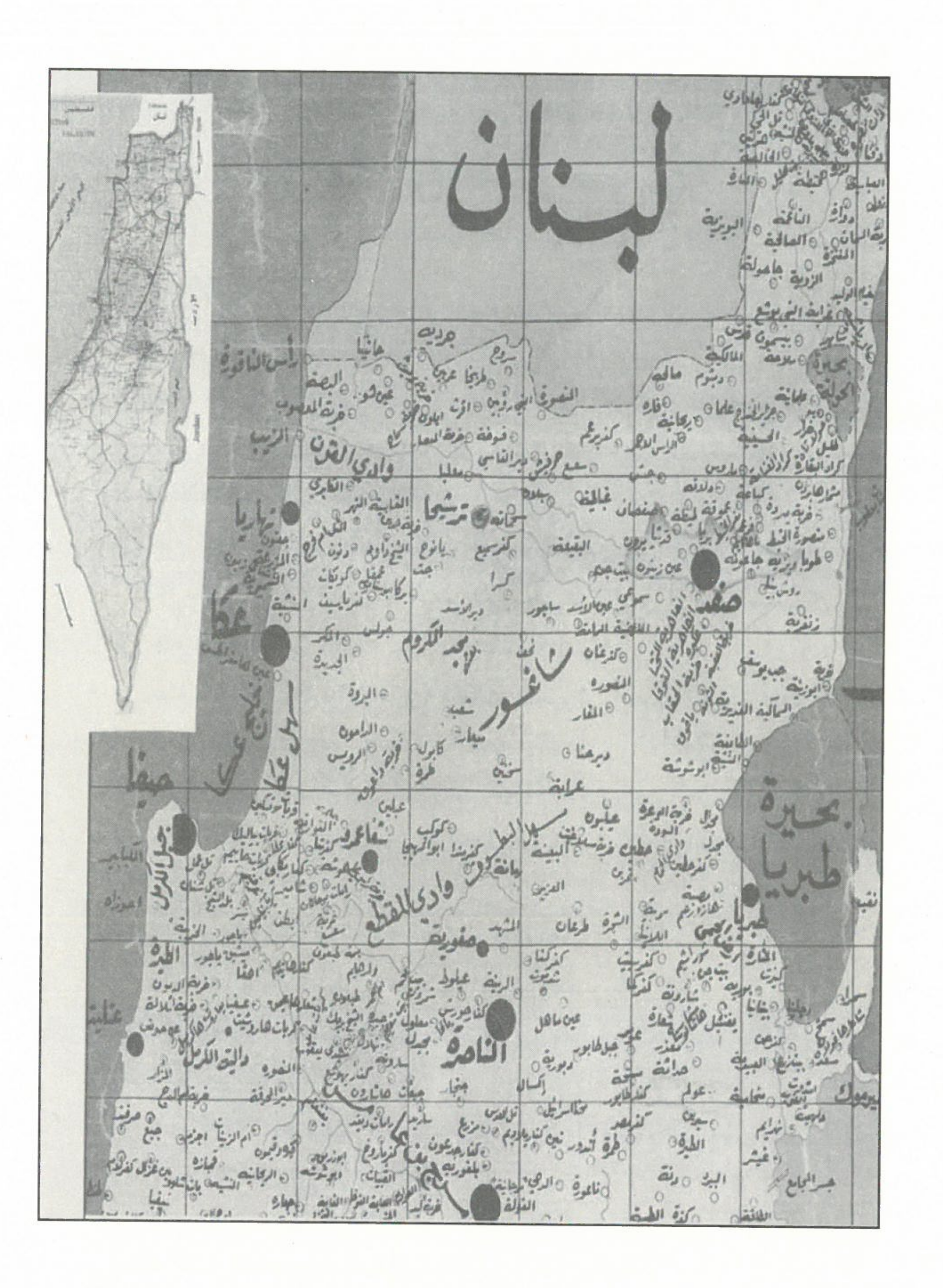
أشير أخيراً إلى أنّ هذه الشهادة التي تهمّ الكثيرين منتزعة من سيرة حياتي التي لا تهمّ إلا القليلين.

إياد ملحم

بيروت في 12/12/2013

التاريخ لا يرحم

- في عام 1897 (آب/أغسطس) عُقد المؤتمر الصهيوني العالمي الأول في مدينة بسويسرا ونادى بإنشاء دولة إسرائيل في فلسطين.
- في عام 1917 (2 تشرين الثاني/نوفمبر) صدر وعدبلفور البريطاني.
- في عام 1920 (نيسان/ إبريل) تبنّى مؤتمر سان ريمو تصريح بلفور وضمّنه صك الانتداب على فلسطين الذي أقرته عصبة الأمم.
- في عام 1947 اقرّت الأمم المتحد تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب. (56% لليهود لكنهم أعلنوا دولتهم على نحو 78% من أرض فلسطين).
- في عام 1948 (14 أيار/مايو) أعلنت دولة إسرائيل.
- في عام 1948 (15 أيار/مايو) دخلت الجيوش العربية بقيادة ملك الأردن لتحرير فلسطين.
- 1948 (11 حزيران/يونيو) تم توقيع الهدنة الأولى بين العرب وإسرائيل.
- في عام 1967 (حزيران/يونيو) احتلت إسرائيل كامل التراب الفلسطيني علاوة على الجولان وسيناء...
- حتى اليوم (2014) لم تحدّد إسرائيل حدودها.
- في عام 1978 (17 أيلول/سبتمبر) اعترفت مصر بإسرائيل.
- في عام 1993 اعترفت منظمة التحرير في مفاوضات أوسلو بدولة إسرائيل (غزة لم تعترف).
- في عام 1994 اعترف الأردن بدولة إسرائيل (اعترفت موريتانيا أيضاً وسحبت اعترافها في عام 2009).
- من البلدان العربية التي تعترف بالجواز الإسرائيلي وفيها مكاتب تجارية لدولة العدو الغاصب: المغرب ـ تونس ـ قطر ـ البحرين...



موقع بلدة ترشيحا بين صفد وعكا

بلدي ترشيحا

ترشيحا...

دنيا من سحر وفتون:

رفوف العصافير

مروج القمح، والزيتون.

ينابيع «جعتون»

الجرندس،

والسيسبان،

وشقائق النعمان.

والخرّوب،

والزعرور،

والسنديان

كلّها، وأكثر...

بانتظارك يا ولدي

فلا تنسها...

ولا تبعها،

وأطبق عليها الجفون.

في حضن جبال الجليل الغربي تتربّع ترشيحا فوق هضبة جبلية ممتدة،

قليلة الانحدار من الشرق إلى الغرب، هواؤها عليل وأرضها خصبة، ترتفع عن سطح البحر نحو 550 متراً وتبعد عنه نحو 20 كيلومتراً (تبعد عن نهاريا 18 كلم إلى الشرق، وعن عكا 27 كلم إلى الشمال الشرقي). تطل على ترشيحا من الغرب «جبلة أبو سعد» التي يرى منها الرائي ما بين مدينة حيفا حتى رأس الناقورة مروراً بعكا ونهاريا والزيب. وقد سُميّ الجبل بهذا الاسم نسبة إلى المجاهد «علي أبو سعد» الذي حارب الصليبيين. كما ويُطلّ عليها من الجنوب جبل «المجاهد» الذي يرتفع عن ساحة البلدة بنحو مئة متر، ما يجعله منتجعاً صيفياً يقصده المصطافون ـ كما حدثني أحد أبناء عكا. أمّا من الشمال فيحدّها جبال الجليل ووادي القرن، ومن الشرق أراضٍ زراعية وهضبة البيّاض.

الجليل لفظ سامي قديم مفاده «الاستدارة». أما أصل اسم ترشيحا فمثار جدل تتنازعه القصص والروايات. الرواية الأولى تحكي عن مرور شاعر بالبلدة شرب من نبع عينها الصافي فقال: «رشحتنا من مائها ترشيحا». أما الرواية الثانية فمستقاة من كتاب «بلادنا فلسطين» لمصطفى الدباغ الذي يذكر أن الاسم يتألف من جزئين: «تر» تحريف «طور» أي جبل، و«الشيح» أو «الشيحان» وهو نبات شجيري يكثر في المكان فيكون المعنى «جبل الشيح» وهو مكان لا يبعد كثيراً عن جبل الجرمق أعلى جبال فلسطين، وهو امتداد لجبل الشيخ المطل على فلسطين وسورية ولبنان. والرواية الثالثة مستقاة من «طير الشوح» الذي تقول الأسطورة إنه طار من هناك بعد طول انقطاع. وهناك رواية رابعة ربما تكون هي الأقرب إلى الصدق ذكرها ناجي حبيب مخول في كتابه «عكا وقراها». مفاد هذه الرواية أنّه في خلال الحروب الصليبية اشتبك قائد الجيش العربي شيحا جمال الدين الأيوبي مع الصليبيين (سنة 1111م.) في معركة انتهت بالخسارة وقطع رأس القائد شيحا وتدحرجه من على سفح الجبل، حيث قيل يومها «طارشيحا». ومن هنا أطلق على السفوح المحيطة بالجبل اسم ترشيحا بعد تحريفه عن طارشيحا ليصبح طرشيحا ثمّ ترشيحا. أما الجبل الذي دُفن شيحا على قمته فعُرف منذئذٍ باسم «المجاهد» نسبة إلى هذا المجاهد الذي تحول ضريحه هناك إلى مزار. ولعلّ ما يرجح صحة هذه

الرواية وجود الكثير من عظام الموتى في الجوار ما يدل على حدوث معركة حربية هناك شهدت سقوط عدد كبير من الضحايا.

هذا من حيث الأساطير والروايات التي تدور حول الاسم. لكن هناك وثائق في المخطوطات الصليبية جاءت على ذكرالاسم عدة مرات على النحو التالي:

1 ـ وثيقة من سنة 1160 م ذكرت الاسم بهذا الشكل: Torsia (RH-341)

2 ـ وثيقة من سنة 1220 م ذكرت الاسم بهذا الشكل: Tersyha (RH - 0134)

3 ـ وثيقة من سنة 1229 م ذكرت الاسم بهذا الشكل: Tersias (RH - 1002)

4 ـ وثيقة من سنة 1243 م ذكرت عين الماء في ترشيحا: Terschia (RH - 510)

كانت كروم الزيتون التي تتخللها أشجارالتين تفصل بين بيوت البلدة والمرتفعات الغربية والشمالية (كان في البلدة أربع معاصر للزيت، ثلاث منها عاملة، علاوة على مطحنتين ـ وكنا نسمّي المطحنة: بابور الطحين).

لقد قدّر عدد أشجار الزيتون في فلسطين سنة 1944 بنحو 6 ملايين زيتونة (تعطي الشجرة في سنوات المحل 2كلغ، وفي سنوات الخير 12 كلغ، وفي المتوسط 7 كلغ زيتون). أما التين فقد قُدّر انتاجه في السنة نفسها بأكثر من 17 ألف طنّ). ورد في كتاب بلادنا فلسطين (الدباغ ـ ص. 176) وصفاً لكروم الزيتون في الجليل الغربي وبخاصة المنطقة التي تقع ترشيحا ضمنها اخترنا منه ما يلي:

«وتمتد كروم الزيتون باتصال منسجم.. فتظهر هذه المساحة الكبيرة

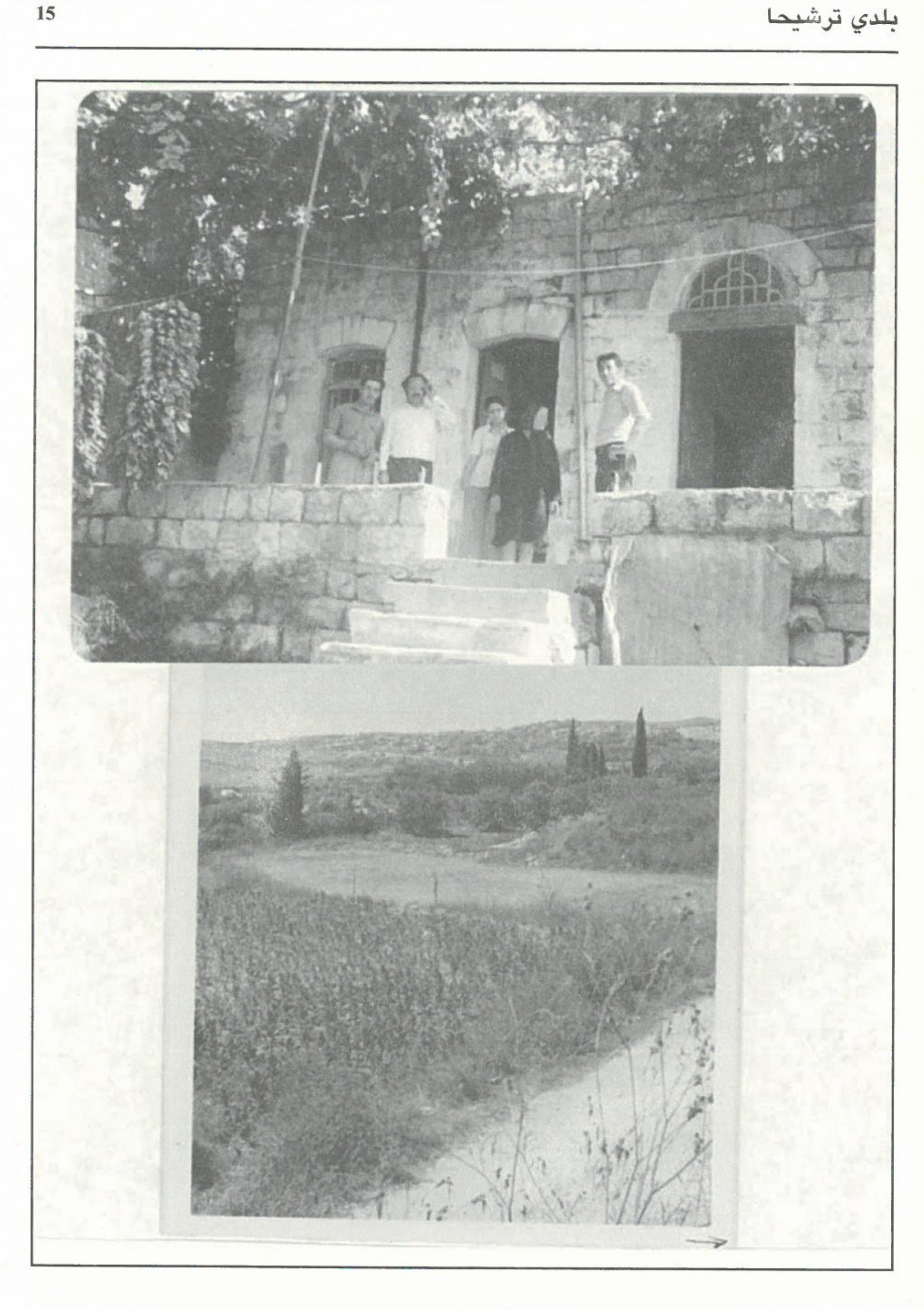
الواقعة على طريق عكا ـ صفد مغطاة بإحكام بأشجار الزيتون اليانعة ذات الأوراق المخضرة الوجوه الفضية الأقفية فإذا داعبها النسيم امتزج اللون الأخضر بالفضيّ فخرج منه لون يأخذ باللب..»

وعن زيت قضاء عكا جاء في المصدر المذكور:

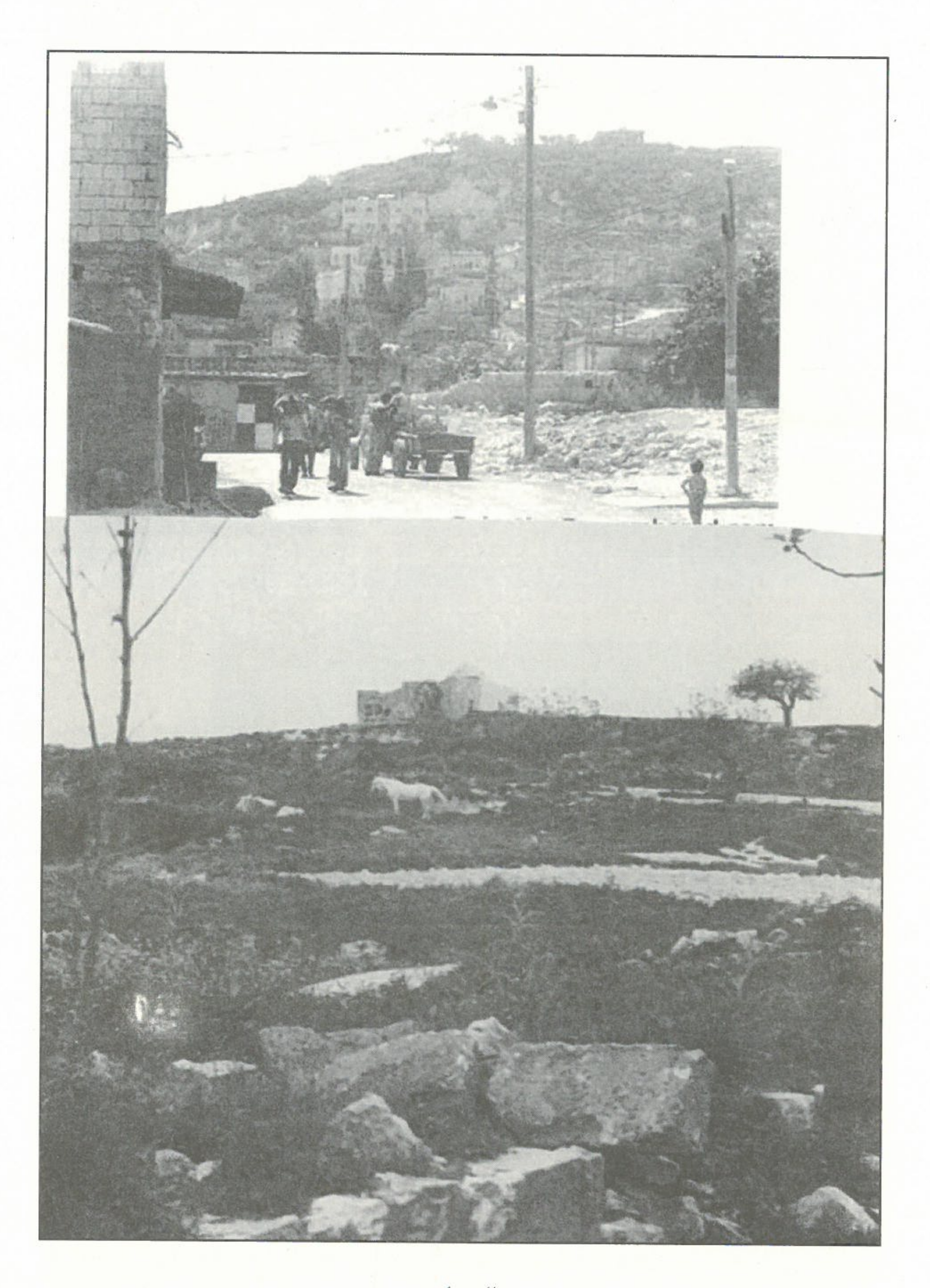
«يُعتبر قضاء عكا أعلى أقضية فلسطين إنتاجاً في الزيت بالنسبة لمساحته وأكثرها شهرة في إنتاج زيت الأكل الفاخر، ولا يقل متوسط إنتاج الدونم.. عن 130 كيلوغراماً من الزيتون (أيّ 30 ـ 40 رطلاً من الزيت)».

ولقد ورد في القرآن الكريم ذكر التين والزيتون عندما أقسم الخالق المبدع بالتين والزيتون «وهذا البلد الأمين» في سورة التين، تكريماً لفلسطين. وربما من هنا جاء حقد الصهاينة على هاتين الشجرتين المباركتين وإصرارهم المستمرعلى اقتلاعهما وبخاصة اقتلاع أشجار الزيتون التي تمثل هوية الفلسطيني، متوهمين بذلك أنهم يقضون على هويته المرتبطة بالأرض بعد أن قضوا على هويته المرتبطة بالسجلات والورق!

أما زراعة التبغ الذي كانت البلدة تشتهر به، وكذلك القمح والشعير والذرة البيضاء فكانت كلها تحظى بمساحات شاسعة تُحيط بالبلدة وتصل من ناحية الغرب إلى البحرتقريباً (تبلغ مساحة أراضي ترشيحا والكابري 47428 دونماً، تشغل البلدة منها 279 دونماً). وفي منتصف الثلاثينيات اشترى قسم من أهل البلدة سهلاً مساحته نحو 650 دونماً من بعض المتملّكين اللبنانيين (آل سرسق وأبيض وتويني...)، يبعد عن البلدة مسافة خمسة كيلومترات غرباً. يُضاف إلى هذه المساحة نحو 350 دونماً من المرتفعات الحرجية. «جعتون» كان إسم هذا السهل الذي تحرسه المرتفعات الحرجية من الناحيتين الشمالية والجنوبية. و«جعتون» تحريف لكلمة «جعيتا» السريانية بمعنى هديرالماء. أمّا قلعة «جدّين»، التي اشتراها اليهود من آل حوّا، وقطنوها في سنة 1946 فكانت تُطلّ من المرتفعات الجنوبية على سهل «جعتون». وكان الفرنسيون قد أنشؤوا هذه القلعة إبان الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر، ودمرها المماليك قبل أن يعود



تشتهر ترشيحا ـ مع الأسف ـ بزراعة الدخان (التبغ)، وهي من أشق الزراعات وأتعبها. لكنها تشتهر كذلك بالشجر المبارك ـ الزيتون.



المجاهد

ضاهر العمر فيعمرها في القرن الثامن عشر (سيطر عليها حاكم ولاية صفد أحمد الحسين جد الحمولة حتى مقتله في ثلاثينيات القرن الثامن عشر).

تجدر الإشارة إلى أنّ زراعة التبغ التي كان يزاولها معظم أهل القرية تُعتبر من أصعب وأشقّ الزراعات، حيث كانت تبدأ بإعداد وزراعة المشاتل التي تتطلّب عناية خاصة بسبب ضعف وصغر حجم البذور. بعد ذلك يتم نقل الشتول إلى الحقول. وعقب النضج يبدأ موسم «القطيفة»، حيث يتم البدء بقطف الأوراق من الأسفل فالأعلى على فترات قبل بلوغ القمّة (الطربونة). بعد القطاف تُحمل الأوراق إلى المنزل أو المسطاح حيث يتم شكّها

بالخيوط بوساطة «الميبر»، في ظلّ شجرة وارفة، عادة. بعد ذلك يتمّ نشر الخيوط في الشمس على السقالة. (السقالة: مورينتان (خشبتان طويلتان) متوازيتان فوق أربعة قوائم بارتفاع نحو 80 سنتيمتراً، فيهما مسامير لتعليق خيوط التبغ). بعد جفاف التبغ تُجمع كلّ ستة خيوط في ما يُسمّى الكبش، الذي يُعلّق فترة في المرطّب أو سقف المنزل، قبل تصفيفه وضغطه في «البالة». أخيراً يأتي اليوم الموعود فيحضر مندوب الشركة للتثمين وشراء المحصول، حيث يتفاجأ البعض (قلّة) بأنّ جزءاً من إنتاجه قد صُنّف في فئة «على البحر»، أيّ انه غير صالح، ولا ثمن له!

«المرج»، و«المسطاح»، و«الرغب»، و«كرم التفاح» و«تين فيصل»، و«تين أبو شريتح»، و«تلّ الأحمر» و«تلّ الوقية» و«البيّاض»، و«الحمرا»، و«الشْفيّة»، «والعيون»، «والدبشة»، و«خلّة غزالة»، و«خلّة أبو سويد»، و«خلّة العين»، و«الجَلَمة»، و«الشيخ موسى»، و«شقيف الزاغ»، و«مطيّلة»، وزوينيتا، و«السهل الساحلي» (سهل ترشيحا والكابري)، و«شوشبا»، و«خلّة الفارس»، و«خلة عليا»، و«الزويّة»، و«الجناين»، و«رويسة الكنيسة»... هذه كلّها مناطق تحيط بالبلدة. من المعالم أيضاً، «العين» في الجهة الغربية، و«البركة» و«الشيخ اوقيس» و«المباركة»، في الجهة الشمالية، وهناك البيادر الشرقية، والبيادر الشمالية، وبيادر العين الغربية وأخرى عديدة تتوزّع في أرجاء البلدة وحقولها...

وكان في منطقة ترشيحا كهوف وآثار يرجع تاريخها إلى حقبة الأشوريين.

في الناحية الجنوبية الغربية من البلدة كانت «حارة النصارى» وإلى الشرق منها «حارة الدكاورة»، حيث يتجمع المسيحيون ولهم في البلدة كنيستان عاملتان وثالثة قديمة جدا يُظن أن تاريخها يعود إلى الحقبة العثمانية. وهناك للمسلمين الموزعين في «الحارة الفوقا»، و«الحارة التحتا»، و«حارة الحمولة» و«حارة البيّاعين»، و«حارة البِرْكة»، و«حارة الشقيف»، و«الحارة الشرقية»، و«الحارة الشمالية»، و«حارة الشيخ يحيى» وسواها ثلاثة مساجد هي «الجامع العتيق» المهدّم (بُني قبل عام 1852م)، و«جامع الحمولة» نصف المهدّم، و«الجامع الجديد» المبني على طراز جامع الجزّار في عكا، ويعود تاريخه إلى عهد إبراهيم باشا. وبالقرب من هذا الجامع توجد زاوية شاذلية «الزاوي» بناها الشيخ علي نور الدين اليشرطي الشاذلي مؤسس الطريقة اليشرطية الشاذلية بعد قدومه من شمال أفريقيا إلى عكا. وكان الشيخ علي قد جعل من ترشيحا مصيفاً له ولذريته من بعده.

كانت ترشيحا تقع بين عكّا وصفد، وتتبع قضاء عكا. فيها مدرسة للبنين (حتى الصف السابع) يقصدها بعض أبناء القرى المجاورة، وكانت في طريقها إلى استكمال المرحلة الثانوية، وتقع على سفح «المجاهد». ومن المعلمين الذين علّموا في هذه المدرسة نذكر: المدير مصطفى عبد الباقي (جنين أو نابلس) وقد خلفه المدير محمد مصطفى العلي (حمام) من الرأس الأحمر، والأساتذة نقولا زيادة (الناصرة)، وجورج فاخوري، وأحمد موعد (صفورية)، وأحمد بشناق (نابلس)، وأديب حوراني (مرجعيون)، وأنور حديد (صفد)، وكرم حبيب (الرامية)، وفخري حجازي، وعيسى (موسيقى وأشغال)، وحسن نخال (غزة)، ومن أبناء ترشيحا نذكر: صادق عمر (بكالوريوس كيمياء من الجامعة الأميركية في بيروت)، ومحمد رضا أبو يوسف، وصالح القاضي، وعبد الله عودة، وحنا بشارة. أما مدرسة البنات الابتدائية فكانت في الناحية الغربية من البلدة. ومن المعلمات اللواتي علمن فيها نذكر: المديرة نصرة الصريف (حيفا) وقد خلفتها من حيفا أيضاً المديرة

حسيبة الهاني. ومن المعلمات هناك فايزة شلون (عكا)، وأسما (عكا)، وفاطمة خيزران (عكا)، ومنوّر وهيب (عكا)، وخديجة حديد (صفد)، وعبلة عزام (عكا)، وسلوى (القدس)، وأليس (بيت لحم)، وعليا بوحميدة (ترشيحا). وكان في البلدة أيضاً مركز بلدية مستقل، ومركزبوليس (شرطة) بقيادة ضابط إنكليزي، ومركز للقائم مقام الذي يزورالبلدة مرتين أسبوعياً (بدر الفاهوم كان آخر قائم مقام)، علاوة على وجود أربعة مخاتير، ومقر لمكتب دائرة الصحة (عيادة تداوم فيها الممرضة زهية)، ومكتب بيطرة. وكان يزورالمركز الصحي طبيب يأتي من عكّا مرتين أو ثلاث مرّات في الأسبوع. هذا الطبيب هو حبيب أهل ترشيحا الدكتورناجي بيضون الذي كتب عنه الدكتورنقولا زيادة (الذي علّم في مدرسة ترشيحا في عام 1924 عندما كان في السابعة عشر من عمره حينذاك)، فقال:

كان للمدرسة جار... هو الدكتورناجي بيضون، من عائلة بيضون الكبيرة في بيروت وخريج جامعة باريس في الطب وكان رجلاً نحيفاً لطيفاً أنيقاً في ملبسه وكلامه وتصرفه وقد استغربت أمره كيف يترك جميع مدن بلاد الشام ويأتي يعيش في ترشيحا. وبعد لأي جمعت شجاعتي يوماً وكنا منفردين وسألته عن السبب وكنت أتصوّرأن يكون السبب قصة حبّ فاشلة إلا أنّ جوابه خيّب أملي إذ قال: إذا كنا كلنا الأطباء نظلّ نعمل في المدينة الكبيرة فمن يُعنى بهؤلاء المساكين الريفيين، وقد كبر ناجي بيضون في عيني يومها كثيراً.

(مجلة الجيل، المجلد 10 ـ العدد الأول، كانون الثاني 1989)

علاوة على ذلك، كان يزور البلدة أحياناً طبيب يهودي من نهاريا اسمه ناتان، وطبيب أسنان اسمه بشارة. وكان هناك أكثر من مجبّر للكسور في البلدة (أشهرهم أبو مزيد)، وعدة قابلات قانونيات اكتسبن خبرتهن بالممارسة والوراثة. كما كان يتواجد في البلدة يومياً ممرض مشهور من أهل معليا يُدعى «أبو فؤاد» (القسّيس). هذا، وقد ذكر زهير غنايم في كتابه «لواء عكا» أنّ المصريين أنشأوا خلال حكمهم بلاد الشام، 1831 ـ 1840 مستشفى عسكري في ترشيحا لكن العمل فيه توقف بعد رحيل المصريين.

كما وكانت البلدة تشتهر ـ وبخاصّة حارة النصارى ـ بالحرف الحرّة من نجارة وحدادة وبناء، إلى جانب صناعة السكاكين وبعض أدوات الزراعة التقليدية. وكان في البلدة قاضٍ شرعي يقوم بإجراءات عقد القران. وكان لترشيحا سوق أسبوعية (سوق الأربعاء) تجمع الناس من البلدة والقرى المجاورة، وشركة باصات (6 باصات ـ وسابع جديد لم يعمل سوى أيام معدودة) امتلكها بعض أبناء البلدة، علاوة على أربع شاحنات وبضع سيارات صغيرة (3 تاكسيّات وبيك آب ـ غوّاصة حكمات).

«كل هذه المقومات أعطت القرية مكانة خاصة وجعلتها مركزاً اقتصادياً واجتماعياً للقرى المجاورة وحتى من خارج المنطقة..»

هذا، وكانت بعض طرقات البلدة الرئيسة مرصوفة بحجارة الصوان على أحدث طراز، حيث كان يُعمل في وسط الطريق ما يشبه القناة لجريان مياه الأمطار، فيما كانت بعض الطرقات الآخرى بالطبع ترابيّة.

لم تكن الكهرباء قد دخلت البلدة حتى العام 1948، حيث كانت الإنارة تتم بوساطة قنديل الكاز أو سراج الزيت عموماً، ثم استُحدث لاحقاً «اللوكس» على نطاق محدود (نوراللوكس يساوي 100 شمعة، في حين نورالسراج أو القنديل نمرة 4 يعادل نورأربع شمعات). وفي ما يتعلق بالماء، كان أهل البلدة يشربون من مياه الآبار والعين ووادي القرن، وكان لدى البلدية خطّة لجرّ مياه وادي القرن إلى البلدة. أمّا العين فكانت تبعد عن طرف البلدة الغربي نحو 500 متر، وأمّا وادي القرن فيبعد عن الطرف الشمالي للبلدة نحو 3 ـ 4 كيلومترات.

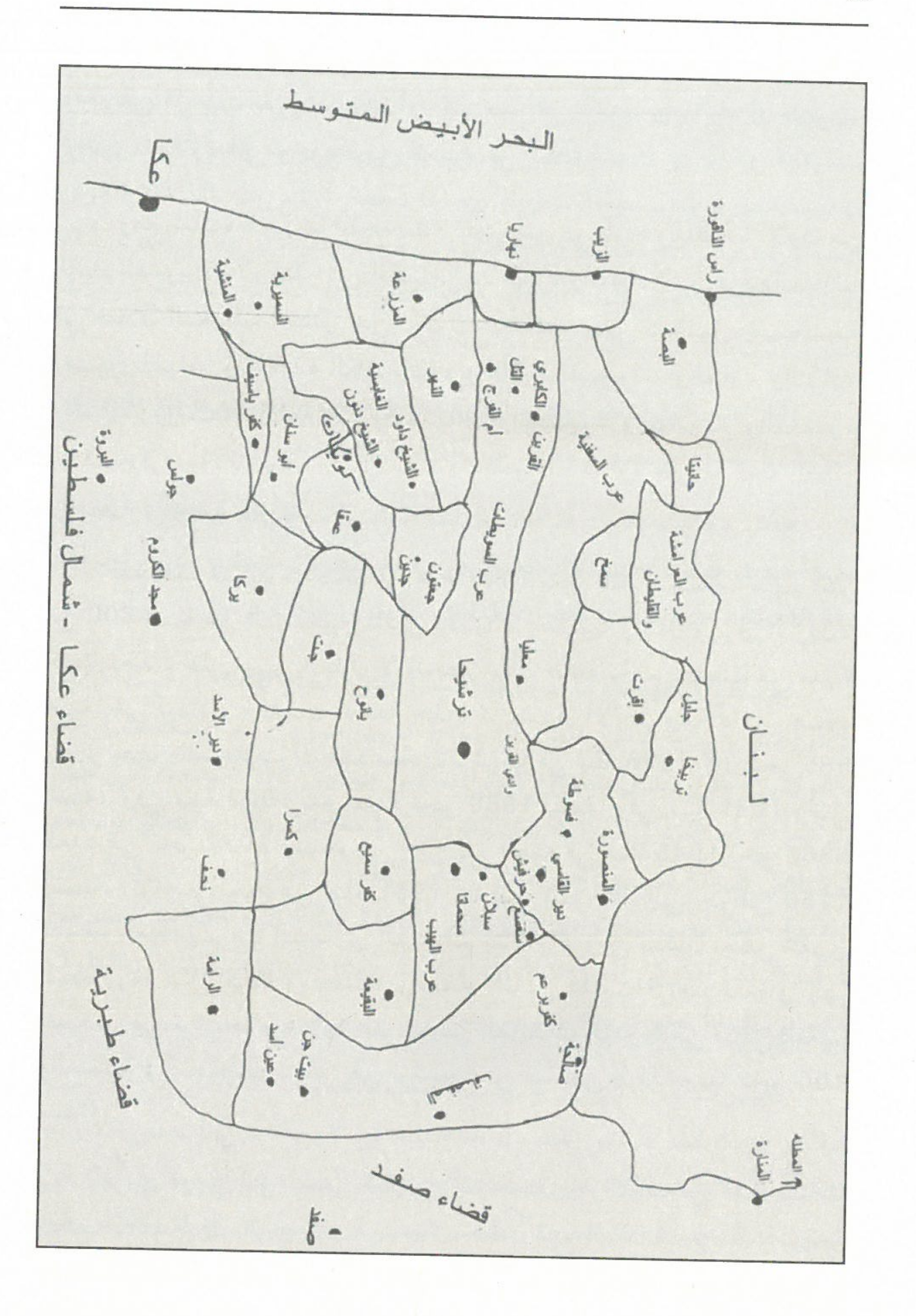
تجدر الإشارة إلى أن البيوت القديمة عموما لم تكن مزودة ببيت خلاء، حيث كان الناس يقضون حاجتهم في البرّية. غيرأن بعض البيوت كانت مزوّدة ببيت خلاء غير بعيد عن حجرات المنزل أو القبو. أمّا أول مَن ألحق حمّاماً بمنزله فقد تعرّض للنقد والسخرية والتعجّب: «أيضع الشِشماي في داخل المنزل!» غير أنّ الناس يتبارون اليوم بعدد الحمّامات في بيوتهم! ذلك أنه لم يكن في القرى في تلك الحقبة بنى تحتيّة ومجارير..

وأمّا الخبز فكان يتم تحضير معظمه عموماً في المنازل، حيث كان يوجد في كل بيت تقريباً واحدة أو أكثر مما يلي: موقد وصاج، أو طابون، أو تنّور، علاوة على وجود فرنين للعموم في البلدة.

ومع ذلك، فالبيت «الحديث» الذي بُني في أواخرالنصف الأول من القرن العشرين كان يفتقر إلى الكثيرمن الأجهزة والمواد التي عرفتها منازلنا في خلال النصف الثاني من القرن المذكور مثل البانيو والمغسلة وصنبورالمياه، والغسّالة الكهربائية، وجلاية الصحون، والغاز، والبرّاد، والمايكروويف، والخلاط، والمذياع، والفيديو، والهاتف، والتلفاز، والكمبيوتر، والانترنت، والآي باد، والكاميرا... علاوة على ما فعله القطار والسيارة والطائرة بحياتنا. . .

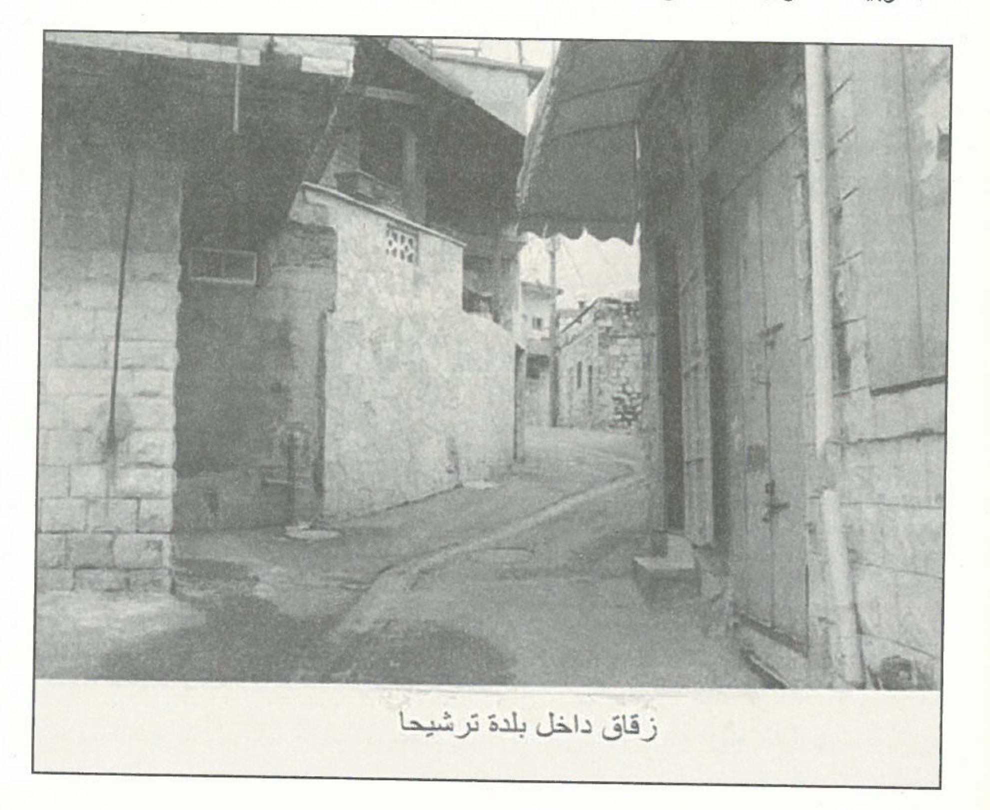
بلغ عدد سكان ترشيحا في سنة 1948 نحو 5000 نسمة، منهم أكثر من 600 نسمة من المسيحيين الذين وفدوا من سورية ولبنان وشرق الأردن، حيث نجد ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ أنّ عائلة نحّاس قدمت من مدينة صيدا في لبنان، وقدمت عائلة حدّاد من شرق الأردن وهكذا. . . هذا، وتذكر بعض السجلات أنّ عدد سكان ترشيحا في سنة 1596 كان نحو 585 نسمة، وفي سنة 1922 بلغ العدد نحو 1880 نسمة. وفي سنة 1931 وصل العدد إلى نحو 2522 نسمة، في حين بلغ العدد في سنة 1945 نحو 5360 نسمة. (تراجع العدد في عام 1961 ـ عقب النزوح ـ إلى حوالى 1150 نسمة، معظمهم من النصارى الذين لم ينزحوا، ومن سكان بعض القرى المجاورة، مثل إقرث وسحماته وعمقة، الذين هُدمت قراهم فلجأوا إلى السكنى في ترشيحا، علاوة على بعض العائلات البدوية من قبائل النعيم والسمنية والسويطات ـ بقي في ترشيحا من مسلمي البلدة ربما نحو 100 نسمة).

يروي فوزي أبو عيسى قبلاوي أنه عندما زارالبلدة في الثمانينات وذهب يتفقد بيتهم الذي كانت ملحقة به دكانٌ لبيع السمانة، فيقول: عندما دخلت الدكان ورحت أتفرّس في الحيطان والسقف، كان البائع (عربي من قرية مجاورة) يكيل زيتاً لإحدى النسوة فسقط القمع من يده! ثم نظرإلى



فوزي وسأله: هل أنت صاحب البيت؟ أجابه: كيف عرفت؟ فقال: المشترون يدخلون فيتفرّسون في البضاعة وينظرون إليّ، أمّا أنت فرحت تنظر إلى السقف! بعد ذلك سمع فوزي إبنة البائع وهي تجيب والدتها التي راحت تسأل من الحجرة المجاورة عن القادم (مين؟)، قائلة لها: «هذا رجل يقول إنه صاحب البيت!!»

من القرى المجاورة للبلدة كان هناك سحماتا ودير القاسي وحرفيش شرقاً، والكابري والغابسية والنهر والتل والرِيّس والشيخ داوود والشيخ دنّون وأم الفرج غرباً. ومن القرى الدرزية التي كانت قريبة من البلدة ومعظمها يقع إلى الجنوب هناك كِسرى وكفرسميع ويانوح وجت ويركا وجولس. أما كويكات وكفرياسيف وأبو سنان، مركزشيخ عقل الطائفة الدرزية، فكانت في الجهة الجنوبية الغربية، في حين كانت بيت جن والرامة والبقيعة في الجهة الجنوبية الشرقية. وعلى بُعد نحو كيلومتر ونصف من البلدة، إلى الشمال



زقاق داخل بلدة ترشيحا

الغربي، كانت تقع قرية معليا التي يفصلها عن ترشيحا مركز البوليس (الكامب)، وكان جميع سكانها من النصارى الذين لجأوا كما يُقال مع إخوان لهم من لبنان إلى فلسطين عقب أحداث عام 1860 الدامية، وهي قرية صغيرة تقع ضمن أراضي ترشيحا. وكانت فسّوطة تقع إلى الشمال الشرقي من البلدة، وإلى الشرق من فسّوطة تأتي سعسع. هذا، وتُعتبرفسوطة أقرب القرى الفلسطينية إلى الحدود اللبنانية التي تبعد عن ترشيحا نحو 20 كيلومتراً (نحو 9 كلم هوائياً).

هذا، وقد عرفت ترشيحا قبل الخروج وبعده عدداً من الذين كتبوا الشعر منهم المختار فهد شريح، والمناضل حسني الصالح، والشاب محمود علي السعيد، والصديق محمود كمال السعيد آغا الذي أقتطف من عشقه لترشيحا ما يلي:

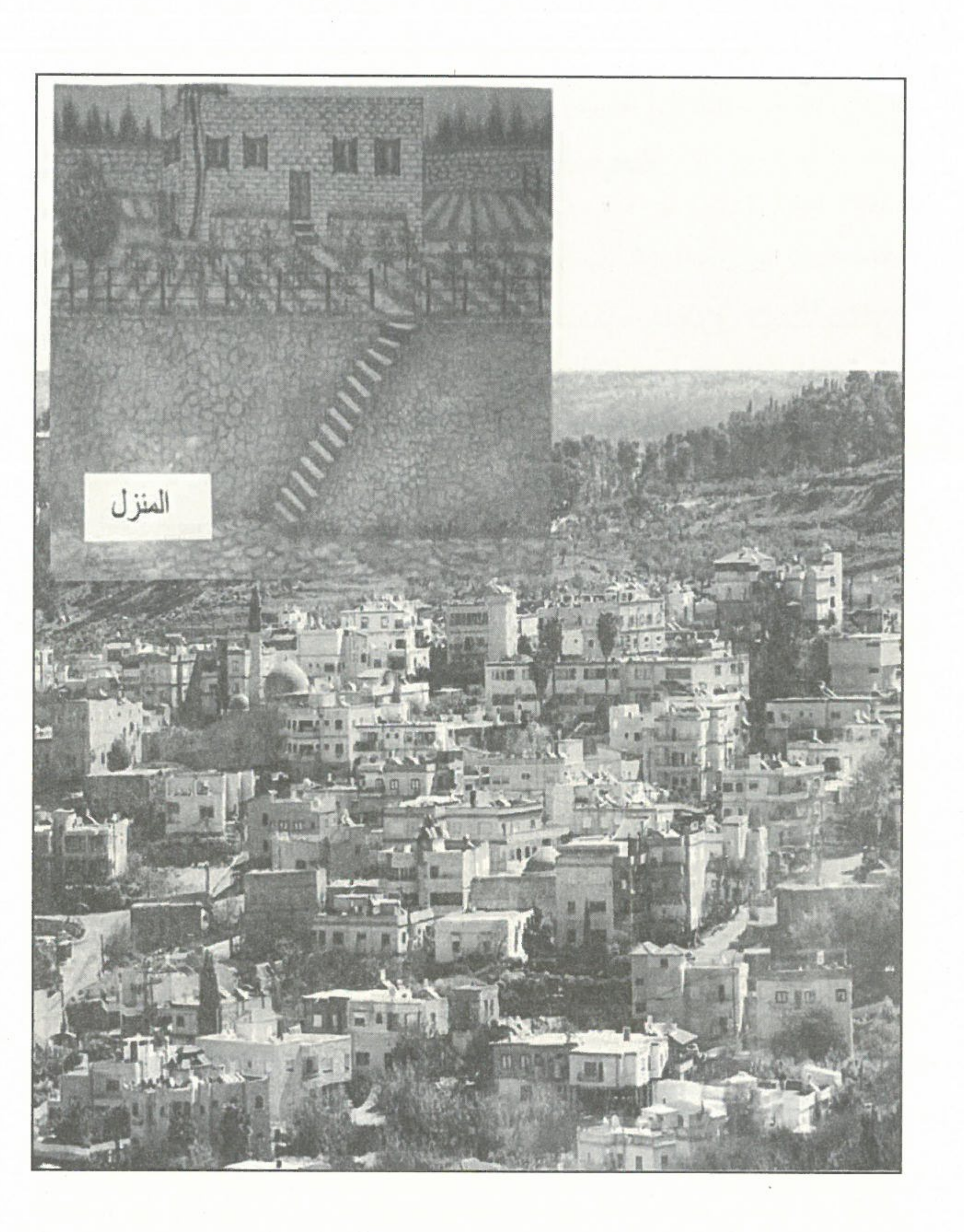
تستفيق الشمس
على مبسمها
وعلى زندها تنام
عند المغيب.
أنا يا ترشيحا فتاك
وأنت على شفتاي
الاسم الحبيب.
أنت أنت.. راسخة
وأنا في الدنيا الغريب.

في أحضان الطبيعة

لا شكّ في أنّ موقع ترشيحا، والإستعداد الفطري لحبّ الفنون والجمال الطبيعي (في الإنسان والحيوان والنبات والجماد) كان لهما أثركبير وفضل عظيم في نشأتي على حبّ الطبيعة التي تمتدّ من الزهور والصخور والأنهار إلى البحور والنجوم والغيوم، وعلى حبّ الموسيقا التي تبدأ من خرير المياه وحفيف الغصون وزقزقة العصافير حتى تصل إلى أعذب الأنغام والألحان والأصوات والأغنيات. إنّ حبّ الجمال والاستمتاع به ممارسة يومية يعيشها المرء مخفّفاً بها عن كاهله هموم الحياة ومشاغلها. لذا يصعب حصرالجمال في مشهد أو موضوع، ما يجعلني أكتفي هنا بالإضاءة على المشاهد التالية التي تفسّر أسباب تعلّقي بفلسطين، مثل أيّ فلسطيني آخر.

المنزل

كما في أيّ بلدة أو مدينة، هناك بيوت قديمة الطراز وأخرى حديثة. كان منزلنا في الحارة التحتا من النوع الثاني، يتألف من ثلاث حجرات مبنيّة بالحجرالجبلي المنحوت، مراعياً للحداثة والتطوّر في البلدة حينذاك. حيث كان السقف من الإسمنت بدلاً من الطين، والأرضيّة مكسوّة بالبلاط. في حجرة النوم كان هناك سرير معدني بدل الفراش الذي يُطوى عادة في النهار ويوضع في الزاوية أو في مكان مخصص له في جدارالقبو، كما هو شائع في معظم البيوت القديمة. وفي حجرة الإستقبال (الليوان) كان هناك طقم من الكنبات (كلاطق جمع كلطق). أمّا في حجرة المونة فكانت توجد الموقد والمدخنة الطينية في الزاوية الشمالية الشرقية، وفي الزاوية الجنوبية الغربية



صورة حديثة لجزء من بلدة ترشيحا ويظهر في زاوية الصورة رسم تقريبي لمنزلنا وحديقته

خابيتان لزيت الزيتون إلى جانب أدوات الطعام (صحون وملاعق (زلَق، جمع زلفة) وجنطاس وصواني وطناجر وقدور (دسوت، جمع دست) نحاسيّة يتمّ تبييضها سنوياً...) علاوة على إبريق الفخّار، والبريموس الذي كان ينوب أحياناً عن الموقد في عمليات الطبخ وتسخين الماء، وبخاصة في فصل الشتاء. كان في سقف هذه الحجرة فتحة تسدّها قنّينة زجاجية تمنع تسرّب مياه الأمطار شتاءً، وتُستعمل عند اللزوم لإنزال ما يُنشرعلى السطح (عادة القمح المسلوق لعمل البرغل) إلى حجرة المونة. وتحت حجرة المونة هذه كان يوجد مستودع يُسمّى «المرطّب» الذي كان يُستعمل لتخزين كبوش التبغ بعيداً عن الشمس قبل تحويل تلك الكبوش إلى بالات معدّة للبيع. وعلى أحد جانبي بابه كانت توجد كومة من الحطب والقرامي (جمع قرميّة) استعداداً لفصل الشتاء وإضرام نار الموقد. وعلى الجانب الآخر من الباب كان يُشاهد قنّ لبعض الدجاجات أو ماعز تُبتاع عادة قبيل العيد، وأخرى قد تظل هناك عدة أشهر ليُستفاد من حليبها.

كان المنزل يرتفع عن الطريق العام بأكثرمن مترين، وكان يُطلّ مباشرة على جبلة أبو سعد، حيث لم يكن أمامه سوى كروم الزيتون والتين وحلالين (جلول) التبغ في الرغب والمسطاح. وفي حين كانت المنازل القديمة متلاصقة ومن غير نوافذ تقريباً، كان لمنزلنا نحوأربع نوافذ خضراء اللون وحديقة خلفية عرضها نحو سبعة أمتار، تطل عليها من ارتفاع أكثر من ثلاثة أمتار أشجارحديقة الحاجّة أم يوسف الباسقة التي تلوّن حافتها أقراص زهور البيلسان (البلسم) الناصعة البياض. من هذه الحديقة كان والدي يستدرج العصافير إلى حجرة المونة بعد أن يرش أمامها الحبوب ثم يُقفل الباب المربوط بخيط وذلك بعد دخولها، فتُحتجز العصافير في داخل الحجرة فترة تروح في خلالها تتطاير هنا وهناك، قبل الإفراج عنها. في أحد أركان هذه الحديقة كان يقبع بيت الخلاء، وفي الركن الثاني ينتصب الموقد التي كانت تُستخدم لأغراض الطبخ وتسخين مياه الغسيل والإستحمام وصنع المربّيات وربّ البندورة وسلق القمح في القدرالكبيرة المعروفة باسم «خلقينة». أمّا حديقة المنزل الأمامية فكان عرضها حوالي 15 متراً وطولها

نحو 25 متراً، في طرفها الجنوبي الغربي ممرّ مرصوف بالحصى. وعلى جانبي مدخل البيت حوضان من زهورالذهبية. حافّة الحديقة الغربية مسيّجة بشجيرات الرمّان، وفي الزاوية الشمالية الغربية تينة حديثة العهد. تتوزّع في هذه الحديقة شجرتا قراصية، وشجرتا تفاح، وشجرتا خوخ، وشجرة مشمش، وشجرة إجاص. وتتسلّق كرمة (دالية) جدار الزاوية الشمالية الغربية باتجاه سطح المنزل الذي يقود إليه سلّم خشبيّ.

في عام 1969 قام أحد أبناء البلدة مع زوجته بزيارة إلى ترشيحا، حيث كان لهم أقارب هناك. وبعد عودتهما من ترشيحا التقى الصديق محمود كمال آغا بالزوجة وسألها عن أحوال البلدة ثم بعث إليّ في الكويت رسالة جاء فيها: «... وأوّل بيت سألت عنه كان بيتكم، غير أنهم، مع الأسف، هدموه...» يومها كتبت خاطرة في ما يلي بعضٌ منها:

عشرون عاماً مضت منذ غادر الطفل داره

عشرون عاماً وهو يحلم بالبيت والحاره

صار الطفل أباً، ولم تدرِ أحلامُه ما صاره

وظلّ خياله مع «جعتون» والزيتون والبيّارة.

واليوم...

وصله كتاب صديقه.. وأخباره

ليروي أنباءً عن عجوز ختيارة

جاءت من ترشيحا، وكانت في زيارة

جاءت بأنباءٍ...

ليتها لم تكن البشارة!

أصحيح يا رفيقي ما روت العجوز الختيارة؟

أصحيح هدموا بيتنا، وكلّ بيوت الحارة،

وقضوا على حلمنا الجميل بتلك الإمارة؟

يا صديقي... ماذا حملت أيضاً البشارة؟!

ماذا عن الدرب المرصوف بالحجارة...

وعن حديقة البيت وشجرها وثماره...

هل كبرت تينة الزاوية وأضحت منارة؟

والقراصية، والخوخ، والرمّان، ما أخباره؟

هل قضى اللصوص عليه، وعفت أخباره!

وخسرنا حتى الحلم في معرض الخسارة؟!

وادي القرن(*):

يقع في الناحية الشمالية للبلدة، حيث يمكنك أن تصله سيراً على الأقدام في أقل من ساعة. إذ يمكنك بعد مسيرة نصف ساعة تقريباً أن تقف على مشارف الوادي وتطل عليه من علٍ، فترى على بُعدٍ سحيق الصرار (الحصى) الأبيض الناصع يتلألأ تحت أشعة الشمس، وعلى جانبيه ترتفع صفوف من نبات الشبرق بكبوش أزهاره الكثيفة ذات اللون الزهري المشرق البهيج. تقطع الطريق الضيقة (زلّة العروس) بحذر شديد، وبخاصة عندما يكون الحمار وسيلة النقل، ثمّ تبدأ بالانحدار حتى تبلغ قعرالوادي، فمجرى الماء المظلّل بالأشجارالباسقة. تختارصخرة مستوية عريضة فتضع حاجياتك عليها، بعد أن تضع حال وصولك إلى هناك بطّيخة في الماء لتبريدها. بعد ذلك يتسلق أحدهم أشجار العبهر الباسقة والمعمّرة لجمع حبّات الحمبلوز (تشبه ثمار الجمّيز - راجع الصورة أسفل الغلاف الخلفي للكتاب)، فيما ينصرف الآخرون إلى نقل الحجارة لعمل شبه سدّ في مجرى

(*) مياه وادي القرن تجمع مياه وادي البقيعة ومياه وادي بيت جَنّ (ارتفاع بيت جن نحو 955 مترًا عن سطح البحر)، ويبلغ معدّل التفريغ السنوي لوادي القرن سبعة ملايين ونصف المليون من الأمتار المكعبة. (الدباغ).



وادي القرن

المياه لأغراض الصيد، (إضافة إلى استعمال الشباك الصغيرة أو ما يشبهها). ثمّ يتم دقّ حبّات الحمبلوز قبل نثر مسحوقها وتوزيعه في المياه المتجمّعة خلف السدّ. عقب السباحة ـ بعيداً عن مياه هذا السدّ ـ في «التنّور» و«أم تمرون» وبقية الغدران، يعود الرفاق إلى موضع السدّ فيجدون الأسماك وقد طفت مستسلمة على سطح الماء بفعل تأثيرالحمبلوز المخدّر. تُجمع الأسماك على صخرة وتُقسّم إلى حصص بعدد المشاركين في الرحلة، ثمّ يُكلّف أحد الحضور بإعطاء ظهره للمجموعة فيما يصيح آخر وهو ينقّل يده فوق الحصص: هذه... هذه... هذه لمن؟ فيذكر المكلّف اسم أحد الحضور. وتتكرّر العملية إلى حين الانتهاء من توزيع جميع الحصص. وبعد تناول الطعام والبطيخ ومن ثمّ الاسترخاء لفترة قصيرة، يقوم بعض أفراد الفريق بـ «سبحة» الوداع، قبل العودة إلى البلدة مع الغنائم الشهيّة المذاق.

إنّ قضاء يوم بين صخور وأشجار وطيور وخريرمياه وادي القرن لهو من أمتع المناسبات التي كنت أنتظرها في صيف كلّ سنة من السنوات المعدودة التي قضيتها في ربوع الوطن.

جعتون:

هذا السهل الضيق الذي يخترق وادي المفشوخ، والذي تحرسه المرتفعات الحرجية من الجهتين الجنوبية والشمالية، وتطل عليه من الناحية الجنوبية قلعة جدّين، وتكلّله من الشرق أشجار الكينا الباسقة التي تنساب في ظلالها خمس عيون تروي مياهها العذبة الصافية مزروعات هذا السهل الصغيرالذي يصح تشبيهه بقطعة من الجنّة. في جعتون نمت بصحبة جدّتي في عطلتين صيفيّتين فقط بضع ليالٍ في عرزال يكاد في سحر الطبيعة أن يذوب، وبخاصّة في الأيام المقمرة. هذا العرزال كان يقبع في أحد أطراف خمسة دونمات من الأراضي الخصبة التي وعيتها مزروعة بالبندورة التي كان يتم توريدها إلى حيفا في وقت تشح فيه البندورة فيعود بيعها حينذاك على أصحابها بثمن وافر. وعلاوة على البندورة، كانت تُزرع أحياناً بعض المحاصيل الموسمية كالباذنجان، والفاصولياء، والفلفل، والذرة التي كانت تنتصب بالقرب من قنوات الريّ. قيل لي إنّ الدخان كان يُزرع أيضاً هناك في السنوات السابقة، وقد جرّب أحدهم زراعة الفستق في إحدى السنوات.

كان هناك مجريان للمياه في جعتون؛ واحد من الجهة الشمالية وآخر من الجهة الجنوبية، غير انّ الصدف شاءت أن تُحاط أرضنا بالمياه الجارية من ثلاث جهات وليس من جهتين فقط. ذلك أنه كانت هناك قناة تصل بين القناتين الشمالية والجنوبية، تمر بمحاذاة أرضنا من الجهة الشرقية. على ضفاف تلك القنوات والجداول كان ينمو نبات العلّيق بثماره الحمراء والسوداء، ونبات القرقار (القرّة) الذي يشبه في طعمه الجرجير والرشاد، ويؤكل بخاصة مع المجدّرة والمخبوصة والبصارة و...

أما نبع العيون فله قصّة أخرى. كانت «عين العلّيقة» تتفجّر بمائها الصافي من جوف عليقة شائكة. وغير بعيد عنها كنت ترى الحصى يتلألأ في

نبع «عين التينة». وعلى بُعد يسير انبثق نبع «عين التوم» الذي استمد تسميته من نبعين متجاورين كأنهما توأم. وعند ساق شجرة معمّرة سالت مياه «عين الزعرورة». وهناك أخيراً «عين المجنونة» الهادرة، باندفاعها وخريرها المكتوم. وقد سُمّيت بالمجنونة لأنها كانت في بعض السنوات تفيض بماء غزير، في حين تشحّ مياهها في سنوات أخرى. في مياه هذه العيون كنّا نغسل الثمار ونلهو ونتراشق بالماء. وعلى صفحتها الرقراقة كنّا نطلق مراكبنا المصنوعة من ورق لتنساب متأرجحة بين العوم والغرق. وعلى ضفافها كنّا نشيد قصورالأماني من الطين، ونبني القلاع والحصون إلى حين، قبل أن نعود لنسوّيها بالأرض. هذه العيون في جعتون لوّنت أيام طفولتي القصيرة هناك بكثيرمن السعادة، والسحر، والنشوة التي يتعذر نسيانها، والتي لم أجد لها مثيلاً في كلّ ما رأيته طوال حياتي في الرحلات والأفلام واللوحات والصور.

عيون انتشيت بلحظها...

سكرت بسحرها...

طالما روت غليلي...

هناك يا خليلي... في فلسطين.

كأهلها...

ما برحت يشفّها الوجد،

ويضنيها الحنين...

تنتظرالأهل العائدين.

(بلغني أنّ الصهاينة قد جفّفوا هذه العيون، مثلما هدموا البيوت وقطعوا الأشجار... لقد دمّرالصهاينة بعد العام 1948 بين 400 ـ 530 قرية، وهجّروا ما بين 700 ـ 800 ألف نسمة).

أذكر، بمناسبة الحديث عن جعتون، أنّي رافقت والدي إلى حيفا أكثر

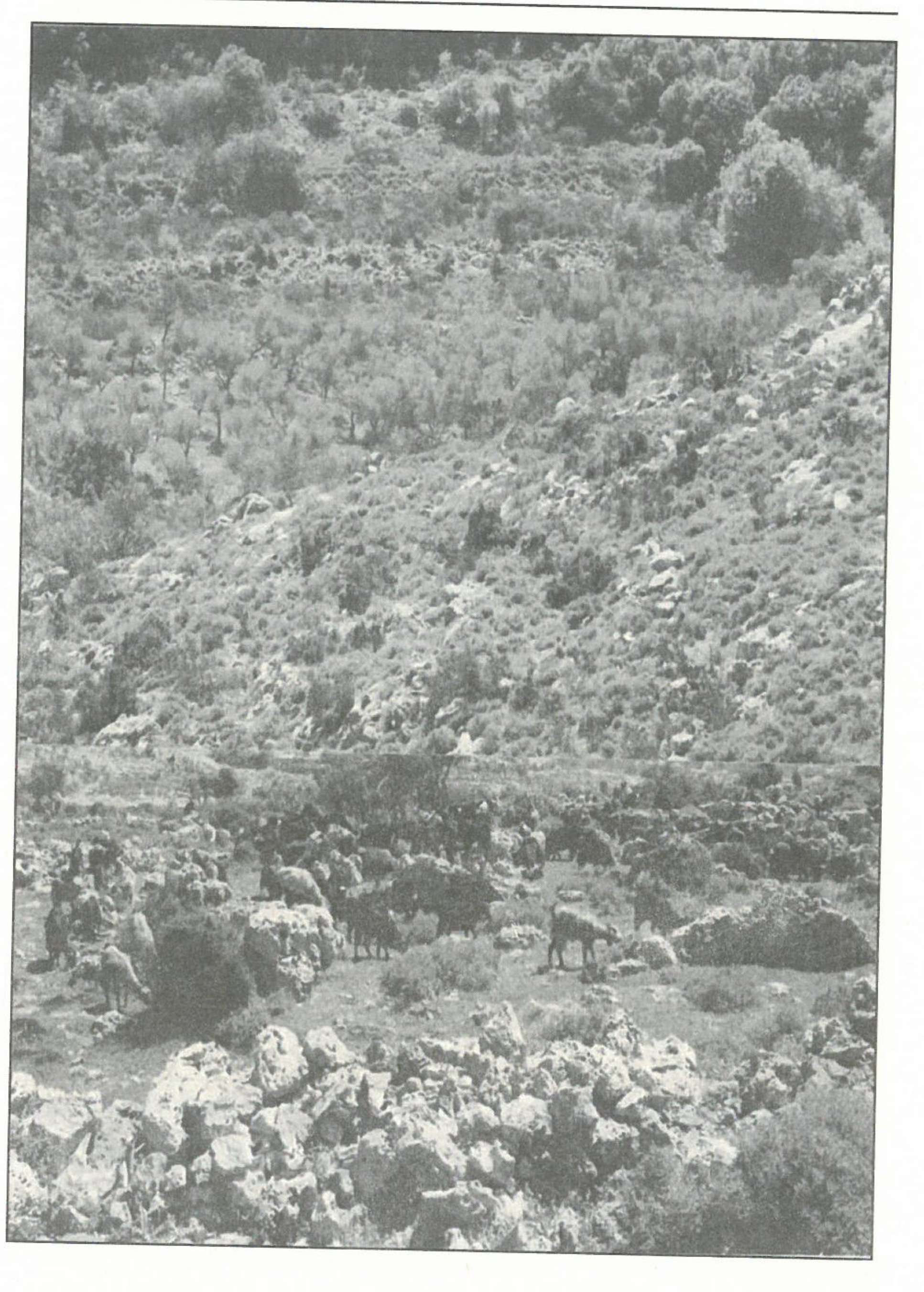
من مرّة، عندما كان يتوجّه إليها عصراً لبيع محصول البندورة في الحسبة في فجراليوم التالي. وفضلاً عن حيفا، زرت مع والدي أيضاً صفد، وعكا، ونهاريا، والزيب، والبصّة، والرِيِّس، وإبطن.

أذكر أيضاً، في هذه السن، أني كنت عائداً في ذات يوم مع والدي في الباص من عكا إلى ترشيحا، وإذا بالباص يتوقف فجأة في الطريق وسط منطقة وعرة ويصعد شرطي بريطاني من الباب الأمامي للباص وآخر من الباب الخلفي. وقبل أن يتقدّما خطوة واحدة إذ بأحد الركاب يقفز من إحدى نوافذ الباص ويركض نزولاً بين الصخور. هرع الشرطيان بالنزول من الباص وراحا يطلقان نار مسدسيهما، غير أن الهارب كان قد اختفى عن الأنظار. سألت والدي عن تفسيرما حدث فقال: يظهر أن أحداً قد أخبرالإنكليز أن الرجل (علمت بعد ذلك أنه العبد محي الدين) كان بحوزته مسد سٌ، وهو أمر ممنوع. (غير ممنوع على اليهود طبعاً)

البريّة وخراج البلدة:

كانت البلدة محاطة بكروم الزيتون من أكثر من جهة، تلك الكروم التي تتخللها عادة أشجار التين، كبيرها وصغيرها. لقد عرفت البلدة أكثر من 15 نوعاً من ثمار التين الشهيّة؛ البياضي، والحماري، والسوادي، والسوادي البرّي، والغزالي، والخضاري، والشتاوي، والبُقراطي، والشماطي، والعسالي، والسباعي، والخيالي، والشحماني، والشهالي (وسط بين الحماري والغزالي)، والحماضي...

ذهبت ذات مرّة في نزهة مع رفاقي إلى شوشبا في مطلع فصل الربيع، وهناك شاهدت منظراً لم تقو الأيام على محوه من ذاكرتي حتى اليوم. صخور ملساء تتناثر هنا وهناك، بعضها مقعّرٌ (على شكل جرن) ما زال يحتفظ بمياه الأمطار، ومن حول هذه الصخورسجادة خضراء ممتدّة وموشّاة بكلّ ألوان الزهور؛ الأبيض السّادة، والأبيض المكحّل بلون زهري، والأحمر، والأزرق، والبنفسجي، والأصفر.. الجرندس (النرجس)، والسيسبان، وشقائق النعمان (البرقوق)، والخزامى، والأقحوان، والوزّال... إلخ.)



خراج البلدة

وفي مرّة أخرى تخطينا شوشبا غرباً باتجاه جعتون، حيث مررنا بخبرات جديدة تعرّفت من خلالها على مختلف أشجار السنديان، والزعرور، والخرّوب، وشجيرات البلاّن، والقندول علاوة على النباتات الأخرى كالزعتر، والزوفة، والخبيزة، والحمّيض، والطيّون، ولسان الثور، والقرصعنّي، والشومر، والخرفيش، والجعساس(المريمية أو القصعين)، واللوف، والعلت (الهندبة)، والسنيبعة، والجربيح الذي يشبه البلح الأصفر، ويتميّز برائحة ذكيّة نادرة، ومذاق لذيذ... إلخ. هذا، فوق سطح الأرض، أمّا تحت السطح فقد تعرّفت يومها على البُصّيل الذي يستعمله التلامذة كمادة لاصقة.

كان هناك أيضاً الجناين (جناين آل أبو هاشم) المشهورة بالرمان والتين. حيث كنّا نتفنن في أكل التين ـ ربما لكثرته ـ فنأكله طازجاً ثمّ نوقد ناراً ونأكله مشويّاً. أما في المنزل فكان يتم تحويل التين إلى مربّى، أو قُطّين بعد فتحه وتجفيفه في الشمس.

لقد كانت الطبيعة حقاً الحضن الذي عوّضني عن غياب حضن الأم وحنانها في وقت مبكّر من عمري.

هكذا يعود طيف الماضي أبداً،

فيثير الذكرى...

ويُعيد

يحملني بعيداً عن هذا الوجود،

إلى عالم الخيال الطليق الحدود.

فأسترجع الماضي الجميل...

وأستعيد،

أياماً عشتها من عهد بعيد.

هكذا أظلّ أردّد وأردّد وأعيد:

فلسطين. . .

يطيب لي ذكراها،

بهواها،

بسماها،

بكلّ شبرٍ في ثراها.

....

فلا تلمني بترديدي

لا...

لا تلمني في هواها

فما لي اليوم سواها

الذكرى...

والتّغنّي بمرآها

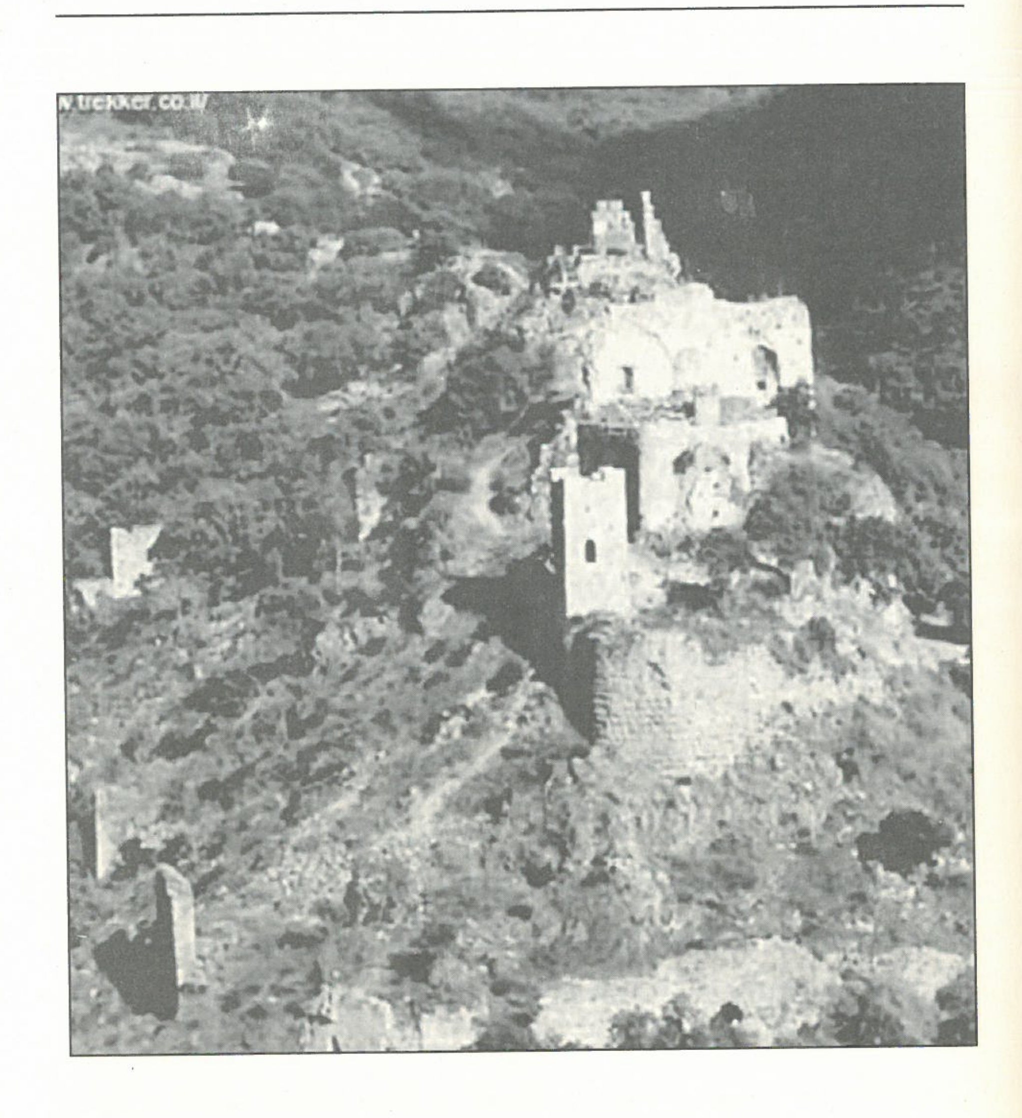
فلسطين. . .

يطيب لي ذكراها؛

بهواها..

بسماها..

بكلّ شبرٍ في ثراها.



قلعة جدين التي بناها الصليبيون ودمرها السلطان خليل قلاوون، اشتراها اليهود من آل حوّا في عهد الانتداب بطلب من المندوب السامي البريطاني، وعملوا على ترميمها وتحصينها لتصبح قاعدة عسكرية تطلّ على جعتون.

ليلة سقوط ترشيحا

مع غروب شمس يوم 28 أكتوبر / تشرين أوّل 1948، بدأت تتساقط على خراج البلدة من الناحية الغربية قذائف المدفعية التي قيل إنّ مصدرها بارجة كانت تتمركز في البحر مقابل بلدة نهاريا. لقد شاهدت من موقع منزلنا المواجه لجبلة «علي أبو سعد» عدة قذائف وهي تنفجر على بعد نحو كيلومترين من المنزل. في تلك الليلة لم ينم جُلّ أهل البلدة تقريباً، وخاصة المقاتلون الذين يتحمّلون مسؤولية الحراسة والدفاع عن البلدة. أما أنا فرحت أتذكّر، قبل أن أنام، الهجمات السابقة على البلدة، التي باءت جميعها بالفشل.

سبق أن حاول الصهاينة اقتحام ترشيحا أكثر من مرّة، وكان أهل البلدة بإمكاناتهم المتواضعة يصدّون تلك الهجمات ويُفشلونها. لقد هبّ أهل ترشيحا ـ كسائر الشعب الفلسطيني ـ بعد صدور قرار التقسيم من الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة وبدء المناوشات بين العرب والصهاينة، وراحوا يبتاعون البنادق القديمة التي كانت من مخلفات الحرب العالمية الأولى والثانية. (كانت حكومة الإنتداب البريطاني تفرض قبل ذلك على الفلسطينيين العرب قانوناً يقضي بإعدام كل من لديه قطعة سلاح، في حين سمحت للصهاينة بشراء السلاح، بل وزوّدتهم به ودرّبتهم على استعماله. كما أن البريطانيين، بعد انسحابهم من فلسطين في 15/ 5/ 1948، تركوا جزءاً من سلاحهم في أيدي العصابات الصهيونية التي تشكّل منها لاحقاً جيش الدفاع الإسرائيلي، بما في ذلك المدافع والدبابات والطائرات التي قيل إن الصهاينة ابتاعوها من البريطانيين).

اشترى أهل البلدة البنادق بعد أن باع بعضهم بقرته أو مصاغ زوجته،

بل وتشارك إثنان في بعض الحالات لتأمين ثمن البندقية مع عدد محدود من الرصاصات، وكان ينقص هؤلاء الخبرة والتدريب. بعد ذلك تداعى نفر ممن كان يخدم في سلك البوليس أو يعمل في جيش قوّة الحدود أو (الزنّار الأحمر) الأردني، وشكّلوا سرية ترشيحا المؤلفة من نحو 100 عنصر بقيادة الملازم محمد كمال السعيد آغا الذي خدم في الجيش البريطاني إبّان الحرب العالمية الثانية. يقول محمد ناصر(ترشيحا ـ زهرة على صدر الجليل) إنّ عدد أفراد السرية بلغ 140، وذكرأسماء 119 فرداً بعد أن اعتذر لمن فاته ذكر اسمه. أما محمود كمال السعيد (شقيق محمد كمال) فيؤكّد أنّ العدد لم يتجاوز110، ولعلّ بعض الأسماء التي ذ كُرت كانت لمقاتلين شاركوا في ثورة 1936. لقد شاركت سريّة ترشيحا ـ قبل المعركة الأخيرة ـ بعدّة معارك لعلّ أشهرها معركة رويسة الكنيسة. كما وقامت بنجدة المقاتلين في الدفاع عن البروة (بلدة الشاعرمحمود درويش)، وفي معركة الشجرة (التي استشهد فيها الشاعر عبد الرحيم محمود، وهو القائل):

سأحمل روحي على راحتي ... وألقي بها في مهاوي الردى

فإمّا حياة تسرّ الصديق ... وإمّا ممات يُغيظ العدى

هذا، وكان لدى أبناء البلدة رشاشان (برن ـ واحد لجدعون والثاني للعبد محي الدين) إضافة إلى ما بين 300 ـ 350 بندقية من الطراز القديم ـ من بقايا الحرب العالمية). هذا من حيث العتاد، أما في المعارك ـ عند صدّ الهجمات ـ فالمسألة كانت أفظع وأشدّ قسوة، حيث كان البعض يتوجه إلى القتا ل وليس بحوزته، كما يقول، سوى 7 رصاصات، أو 11، أو 20 رصاصة! إذ كان كلّ مناضل يذكر عدد رصاصات ذخيرته. وكان بعض المقاتلين يردّد انه توجّه إلى الجبهة ومعه 4 أمشاط أو 8 أمشاط، وهكذا... (المشط = 5 رصاصات). وأما قصة ابتياع الذخيرة فكانت أكثر مأساوية، حيث كان بعض وجهاء البلدة يقصدون لبنان وسورية لشراء الذخيرة وكثيراً ما يعودون خالي الوفاض. يُروى أنهم قصدوا ذات مرّة بيروت وابتاعوا شحنة من الذخيرة وانتظروا وصولها بفارغ الصبر قبل أن يتم إبلاغهم أنّ الشحنة تحوّلت إلى الصهاينة بعد أن علموا بأمرها فسارعوا، بما لديهم من نفوذ،

إلى شرائها لحسابهم. يذكرسامي كمال فاعورأنه اشترى بندقيته مع 3 رصاصات بمئة جنيه فلسطيني.

تجدر الإشارة إلى أن بلدة ترشيحا قدمت منذ 1936 وحتى نهاية القرن العشرين عدداً من الشهداء تراوح بين 150 ـ 200 شهيد، وفقاً لما يلي:

- شهداء ثورة 1936: 13 شهيداً. (وفي قول آخر 29)
- شهداء معارك 1948: 18 شهيداً.
- شهداء القصف الجوي البربري للبلدة + إعدامات قليلة للنازحين: نحو 50 ـ 60 شهيداً.
- شهداء المقاومة (بين عامي 48 ـ 65): شهيدان.
- شهداء المقاومة بعد 1965: 79 شهيداً.

أما «جيش الإنقاذ» الذي دخل فلسطين في مطلع العام 1948، لمساعدة الفلسطينيين في قتالهم ضد العصابات الصهيونية المنظّمة، فسرعان ما تمّ حلّه في 15 أيّار 1948 عندما أعلنت الجيوش العربية الحرب على إسرائيل، ولمّا يمرّعلى تأليفه شهورخمسة!

وفي ما يلي حكاية جيش الإنقاذ مع ترشيحا، حسب الرواية الإسرائيلية: (حرب فلسطين ـ الرواية الإسرائيلية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص. 219 ـ 222).

«في 8/ 1/ 1948، اجتازت الحدود الشمالية الكتيبة الأولى لـ «جيش الانقاذ»؛ «كتيبة اليرموك الثانية»، بقيادة الضابط السوري أديب الشيشكلي (لاحقاً رئيس جمهورية سورية)، وضمّت 330 جندياً وضابطاً. عسكرت الكتيبة بجوار ترشيحا. وبعد فترة قصيرة من تمركزها هناك، شنّت في 20/ 1 هجومها الأول على مستعمرة يهودية: يحيعام (جدّين) ومنيت فيه بفشلها الأول. . (وكانت) الدول العربية وخصوصاً سورية والعراق ولبنان قد حاولت إقامة قوة عسكرية عربية، مهمتها إخضاع اليهود في البلد بصورة تامة، من دون أن تضطرهي إلى استخدام جيوشها لتحقيق هذا الهدف. وقد

حُشدت هذه القوة ودُرّبت في معسكرات قطنا (جنوبي دمشق)، التي مرّ بها حتى نهاية آذار/ مارس 1948 نحو 5200 متطوّع... وانضم إلى هؤلاء في البلد (فلسطين) نحو 2500 مقاتل محلي، فبلغ المجموع 7700 شخص... (وفي مرجع آخر: لم يتجاوز العدد 3000 متطوّع). وفي 5 / 3 / 1948، وصل فوزي القاوقجي نفسه لقيادة جنوده. وذكر في منشورموجّه إلى السكّان العرب انّه عاد إلى البلد ليكمل ما بدأه قبل 12 عاماً، في صيف سنة 1936، وأنّ رجاله يمثلون جميع الشعوب العربية. قيل في المنشور «جئنا بقلب واحد ولهدف واحد، لإلغاء قرارالأمم المتحدة المتعلق بالتقسيم، ولتدمير الصهيونية، ولتنفيذ قرارات الجامعة العربية، ولافتداء عروبة فلسطين».

(كنا ـ كأطفال ـ نتغنّى يومها: «فوزي باشا القاوقجي أسدٌ كرّار. لمّا نزل عملبّس هزم الصهيوني»).

«عقدت الدول العربية آمالاً كبيرة على «جيش الإنقاذ»، وأملت بأن يتولى بنفسه تحطيم القوات اليهودية. وعملياً لم تبدأ الدول العربية بإعداد نفسها لقيام جيوشها النظامية بالغزو، إلا بعد أن اتضح لها في ربيع سنة 1948، أن القوات العربية المحلية قد انهارت(!)، وأن «جيش الإنقاذ» فشل هو أيضاً في كلّ ما قام به... (ذلك) أنّ مستوى تدريب المتطوعين كان أدنى من المتوسط... والسلاح من نوعية رديئة.. مصدره بقايا مستودعات سلاح الحرب العالمية الثانية». (كما يقول اليهود).

«... في نهاية نيسان/ إبريل 1948 تقريباً استنتجت الدول العربية أنّ على جيوشها العربية دخول الحرب... وفي 12/ 5 اتخذت اللجنة السياسية للجامعة العربية القرارات الأخيرة:

أ) إعلان حالة الطوارئ في دول الجامعة.

ب) تعهد الدول العربية بألا تستوعب سوى النساء والأطفال والشيوخ من بين اللاجئين العرب (!!).

ج) أن تتحمل كل دولة عربية نفقات جيشها على الجبهة.

د) أن تتبادل وزارات الخارجية العربية فيما بينها المعلومات في كل ما يتعلق بحرب فلسطين».

(المصدر السابق، ص. 504)

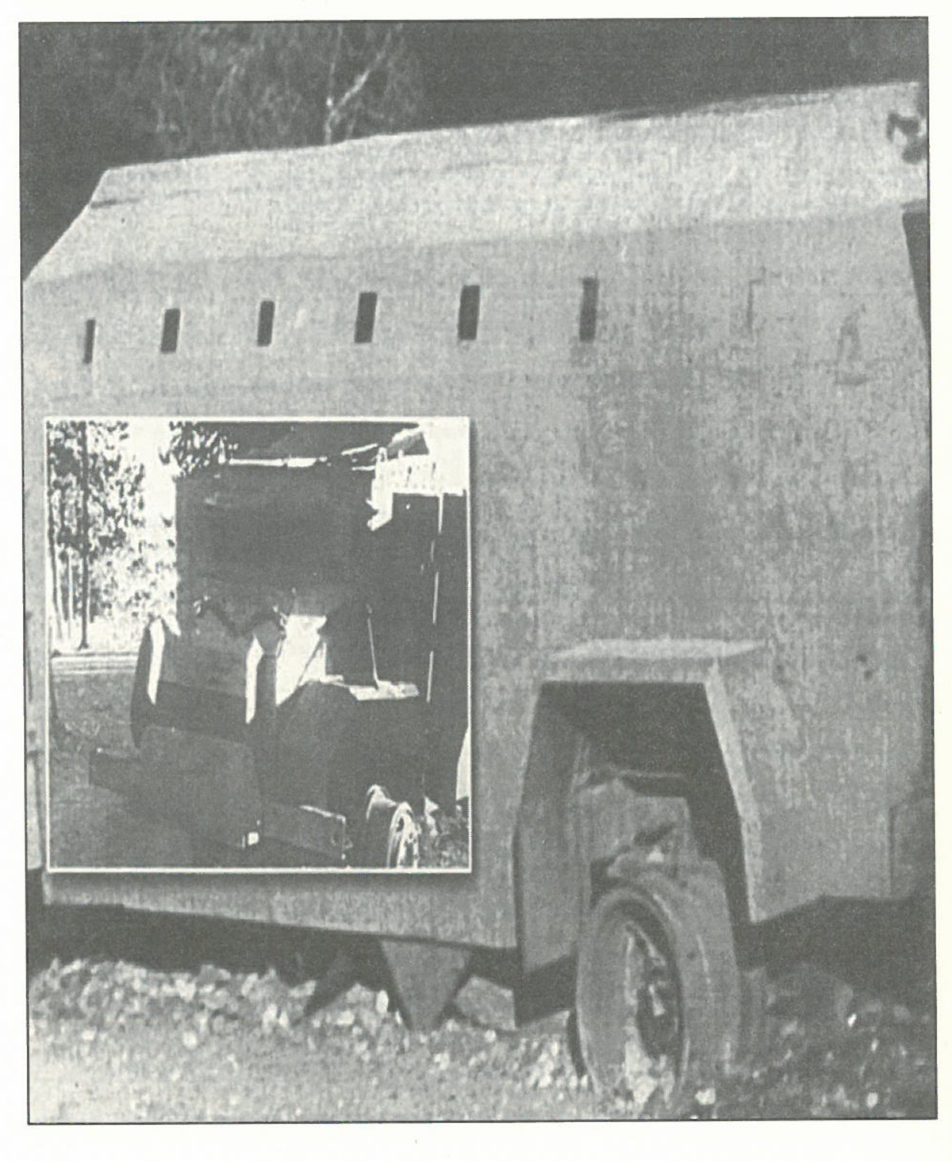
«في 11/ 5/ 1948 اجتمع ممثلو الدول العربية في دمشق... وقرّر المجتمعون إنشاء قيادة عامة لإنقاذ فلسطين... بقيادة اللواء نور الدين محمود من العراق. **لكن بناء على إلحاح الملك عبد الله الشديد أوكلت القيادة العليا إليه، وعُيّن اللواء العراقي نائباً له. وقد أدّى هذا التغيير في القيادة العليا إلى تغييرات حاسمة، في اللحظة الأخيرة، في خطة الهجوم العربية، وتسبّب حتى بإفراغ مهمة القيادة العليا من مضمونها، إذ إن الجيوش العربية الأخرى لم تقبل سلطة ملك الأردن.**

وعندما استلم عبد الله زمام القيادة (كان الجيش الأردني حينذاك بقيادة غلوب باشا البريطاني)، أعلن حلّ جيش الإنقاذ وحلول القوات العربية النظامية محله. وأعلن أيضاً أنّ نشاطات «الهيئة العربية العليا» (التي يرأسها الحاج أمين الحسيني) لم ترض السكان... وأنّ ممثليها لا يحق لهم التكلم بإسم الشعب».

(المصدر السابق نفسه، ص. 227)

معركة جدّين

في مطلع شهر كانون الثاني 1948 حضر إلى ترشيحا وفد عسكري برئاسة الضابط أديب الشيشكلي (ضم أكرم الحوراني وفؤاد وغسان جديد ونعيم مغبغب...) مبعوثاً من القيادة في دمشق لدراسة مسألة الهجوم على قلعة جدّين التي يتحصّن فيها الصهاينة قريباً من البلدة (على بعد نحو 5 كلم غرباً). وفي ليلة 20/ 1/ 1948 شنّ نحو 150 جندياً سورياً بقيادة صلاح الشيشكلي (شقيق أديب)، وبمساعدة أكثر من دليل من أبناء البلدة، هجوماً على قلعة جدّين لم يتكلّل بالنجاح (يمكن مراجعة التفاصيل والأسباب في كتاب محمد ناصر عن ترشيحا). بعد ذلك حوصرت جدين حتى فك المهدي عنها الحصار في 12/ 5/ 1948. وقد شهدت فترة الحصار عدة مناوشات كان العدو يتلقى في خلالها التموين بالطائرات.



غنائم معركة الكابري

معركة الكابري

قبل ظهر يوم 27/ 3/ 1948 عزم الصهاينة على فك الحصار عن جدين فوجهوا قافلة تموين وتعزيزات عسكرية مؤلفة من عشر مركبات بين سيارة صغيرة (2) وباص، وشاحنة لنقل التموين والذخائر (3) وسيارة مصفحة لنقل الجنود. وكانت أخبار هذه القافلة قد وصلت إلى المقاتلين العرب فنصبوا كميناً مقابل مقبرة الكابري، حيث دارت في حوالي الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم معركة بطولية بين الأهالي المزوّدين ببنادق قديمة وعزيمة المؤمن بحقه وبين المدرعات المزوّدة بالجنود المدججين بأحدث الأسلحة حينذاك.

أما الأهالي الذين شاركوا في هذه المعركة ـ إلى جانب أبناء الكابري ـ فكانوا من المقاتلين الذين توافدوا إلى ساحة المعركة من القرى المجاورة؛ من النهر والتل وأم الفرج وكويكات والشيخ داود والشيخ دنون والغابسية وترشيحا. كما وشارك في هذه المعركة أيضاً نحو 20 جندياً سورياً بقيادة خليل الكلاس الذي أصيب في إصبع يده، و10 جنود أردنيين بقيادة «علوش» ومساعده محمد خير. وقد استمرت المعركة أكثر من ست ساعات (حتى غروب الشمس). يُروى أن المعركة الحقيقية انتهت تقريباً عند الساعة الرابعة عصراً وظلّ باص مدرّع يعاند في الاستسلام، حيث ظلّ ما تبقى من جنوده (رجلان وفتاة) يقاومون إلى أن زحف أحد أبناء ترشيحا (محمد حمّود المشهور بإسم الدقّي وقيل أيضاً زكي مصطفى) نحوه وأشعل في عجلاته النيران. لقد كانت معركة الكابري ملحمة بطولية أسفرت عن مصرع حوالي 96 صهيونياً ـ بينهم فتاة ـ وتدمير معظم المركبات أو إعطابها في حين تمكنّت المصفحة الأولى من النجاة وبلوغ قلعة جدّين. أما خسائرالعرب فكانت شهيداً من أبناء الكابري (من غيرالمقاتلين)، وعنصراً من جيش الإنقاذ (من الأردنيين)، علاوة على نحو ستة جرحى كانت جراح إثنين منهم خطيرة. وكان من بين جرحى أبناء ترشيحا محمود رشيد ملحم الذي أصيب برصاصة في ذراعه.

لقد اعترفت المصادرالصهيونية بمقتل 46 صهيونياً (وفي مرجع آخر

47) بمن فيهم قائد الكتيبة بن عمي بحتر، وأقاموا لاحقاً، في المكان، نصباً تذكارياً لقتلاهم. تجدرالإشارة إلى أن البريطانيين تدخلوا بمدفعيتهم في المعركة في محاولة لمساعدة الصهاينة، غيرانّ قذائف مدافعهم كانت تسقط بعيداً عن هدفها، وكان تدخلهم بعد فوات الأوان.

هذا، وقد تمّ إحضار إحدى المصفحات التي لم تتعطل إلى ساحة بلدة ترشيحا (ساحة البركة)، حيث سارع الأهالي والأطفال لمشاهدتها، وأذكر أنني شاهدت يومها في داخلها بقايا بعض أنواع الخضار(بقايا ملفوف وجزر...إلخ.)

(راجع تفاصيل معركة الكابري في كتاب الحاج بدر الدين الجشي «سفر قرية الكابري» (2002)، وفي كتاب محمد ناصر «ترشيحا ـ زهرة على صدر الجليل» (1996).

معركة حقول زهير ورويسة الكنيسة

في فجر يوم 17/ 7/ 1948 شنّ الصهاينة هجوماً كبيراً على ترشيحا انطلاقاً من منطقة حقول زهير ورويسة الكنيسة استمر طوال النهار. حيث حضرت مجموعة من المتطوعين بقيادة حافظ البوريني ومعاونه رجا حسين لنجدة أهالي ترشيحا في هذه المعركة وتمركزت في الدبشة قرب رويسة الكنيسة المقابلة لقلعة جدين ـ كما يذكر محمد ناصر (بعد أن أعلن رسمياً عن انتهاء دور جيش الإنقاذ بدءاً من 15 أيّار). كما وشاركت سرية ترشيحا في هذه المعركة بعد أن تركت موقعها في التل الأحمر والتفّت على قوّات العدو في كمين لم يكن يتوقعه. في هذا الهجوم خسر العدو 28 قتيلاً بينهم ضابط روسي، في حين بلغت خسائر أهل البلدة 3 ـ 4 شهداء كان من بينهم أحمد فارس حليمة (أحمد فارس بعار). أما الضابط الروسي فقد شاهدت في مساء ذلك اليوم جثته محمولة على ظهر حمار مرّ من أمام منزلنا.

وكان ذلك الضابط قد قُتل عندما كان يحرّض جنوده وهو يسير أمامهم قائلاً «كاديما» أي تقدموا، وكانت تلك أول كلمة عبريّة ردّدناها في البلدة. قيل يومها إن هذا الضابط كان يضع على عينيه نظّارات، وكانت

تلمع في الشمس ما سهّل على أحد أبناء البلدة (موسى نخلة) إصابته برصاصة اخترقت عينه وأدّت إلى مصرعه. كما وقيل إنّ بطاقة وُجدت في جيبه دلّت على أنه ضابط روسي. يومها تعلمنا من العدو أن قائد المعركة يسير في المقدمة أمام جنوده.

أذكر أنّ قسماً كبيراً من أهالي البلدة اضطر في ذلك اليوم إلى مغادرة منازلهم واللجوء إلى كروم الزيتون وبعض القرى المجاورة قبل أن يعودوا إلى بيوتهم بعد فشل الهجوم.

معركة تين أبو شريتح ـ التلّ الأحمر (الشارع العام)

في صبيحة يوم عيد الأضحى، وبينما كان المقاتلون منهمكين في صلاة العيد، شنّ الصهاينة من استحكاماتهم المحصنة في تين أبو شريتح، هجوماً مباغتاً على المقاتلين المتحصنين في منطقة التلّ الأحمر وكان من بينهم المجموعة اليمنية التي كانت بقيادة مدلول العراقي. وقد شاركت هذه المجموعة ببسالة في المعركة، حيث استشهد منهم ثمانية أفراد، وقد وجدت في فمّ أحدهم عند دفنه إصبع جندي صهيوني. أمّا الباقون فقد ظلّوا في البلدة حتى معركة الخروج. يُروى أنّ هؤلاء بكوا بحرارة عند مغادرتهم ترشيحا بعد سقوطها، وسُمع أحدهم يُردّد: «ماذا نقول لأهلنا في اليمن عندما نعود ويسألوننا: لماذا عدتم وقد ذهبتم لتستشهدوا في فلسطين؟!»

شارك في هذه المعركة حوالي نصف أفراد سرية ترشيحا (نحو 50 مقاتلاً) وبعض أهالي البلدة حيث تمكنوا من صد الهجوم واسترجاع المواقع التي خسروها بعد أن شنوا طوال ذلك اليوم هجوماً معاكسا انسحب العدو على أثره من الاستحكامات بسرعة حالت دون تنبّه ضابط الاتصال إلى انسحاب جماعته، حيث فاجأه أحد أبناء البلدة (زكي مصطفى) وهو قابع في أحد الاستحكامات الأمامية وقتله بعد أن تجمّد في مكانه من هول المفاجأة، كما روي. شارك في تلك المعركة نفر من المتطوعين بقيادة الضابط نمر أبو النعاج الذي علق على القتال البطولي بقوله: كنت أظن أنني إسم على مسمّى في القتال، لكنني اكتشفت اليوم أنّ أبناء ترشيحا هم النمور الحقيقيون!

خريطة مواقع المعارك حول ترشيحا

والحقيقة أن الشارع العام في هذه المنطقة الواقعة إلى الغرب من قرية معليا كان يشهد طوال الشهور الثلاثة التي سبقت سقوط ترشيحا صدامات كثيرة ومناوشات شبه يومية، كان العدو يتكبد في بعضها خسائر محدودة تحول دون تقدمه نحو البلدة. وظلّ الأمر كذلك حتى ليلة المعركة الأخيرة كما أكدت الرواية الاسرائيلية، كما سيتضح لاحقاً.

هذا، وكان السوريون والأردنيّون قد انسحبوا من ترشيحا عقب معركة حقول زهير ليحل محلهم المقدّم محمد مهدي صالح العاني الذي أنيطت به كذلك منطقة مجد الكروم والبروة، وكان بإمرته حوالى 30 عنصراً مع مدفعين ميدانيين تمّ نصبهما بين الزيتون في طرف البلدة الشمالي الغربي (الرويسات). وكان انسحاب مجموعة المهدي (كما كان يسميها أهل البلدة) ظهر يوم الجمعة في 29/ 10/ 1948 إعلاناً صريحاً عن سقوط ترشيحا.

يذكر فوزي أبو عيسى أنه شاهد قبل سقوط ترشيحا بيوم واحد أحد المشايخ يدخل على المهدي ومعه محفظة منتفخة ثم يغادر بعد فترة وهو يضع المحفظة الفارغة تحت إبطه!

ويقول صديق الطفولة محمد فارس مصطفى أنه شاهد مع والده وبعض الجيران عصر يوم الجمعة مجموعة من المقاتلين تمر من أمام منزلهم قادمة من رويسة الكنيسة، ولما سألهم أحد الجيران: لماذا تنسحبون؟ أجاب أحدهم: سوف يأتي آخرون ليحلوا محلنا. لكن الضابط التفت نحو فارس مصطفى وسأله: هل عندك أولاد يا حاج؟ ولما أجابه بالايجاب عاد ليقول له: البلدة سقطت. خذ أولادك وغادر البلدة. هؤلاء المقاتلون كانوا مع مجموعة المهدي من بقايا متطوعي جيش الانقاذ الذين لم ينسحبوا من قرى الجليل الشمالي بعد حل ذلك الجيش رسمياً.

المعركة الأخيرة (معركة الخروج)

لنعد الآن إلى الهجوم الأخيرعلى البلدة. سبقت الاشارة إلى أنّ القذائف بدأت تتساقط على خراج البلدة الغربي منذ مساء يوم الخميس 28

أكتوبر / تشرين أوّل 1948. ولقد ذكر اليهود (كما سيأتي) أنهم حاولوا عبثاً التقدم باتجاه البلدة ليلة 29 / 10 من محوري الشارع العام، ورويسة الكنيسة (الدبشة). لكن في صباح ذلك اليوم (29/ 10/ 1948) استفقنا على شيء جديد. طائرتان تحلقان فوق البلدة وتقصفانها بقنابل على هيئة براميل. عرفنا أن الهجوم على البلدة في هذه المرّة كان مختلفاً عن المرّات السابقة. إذ راحت القنابل تهدم البيوت وتقتل المدنيين الأبرياء. أذكرأنني كنت أحتمي مع والدي قرب باب المرطب (بمثابة ملجأ)، فشاهدنا قنبلة كبيرة (برميلاً) تسقط من إحدى الطائرات متجهة نحونا، فراح والدي يردّد: «هذه علينا... علينا... علينا»، لكنّ القنبلة سقطت على بعد نحو 200 متر إلى الشرق من منزلنا (النقطة ـ دارالمختار شفيق المحمود). سارع والدي لاستكشاف نتائج هذا الفعل الذي نخبره لأوّل مرّة في حياتنا. وبعد فترة قصيرة عاد بخبر طريف. قال إنّ القنبلة هدمت بيتاً بشكل جزئي لكنهم أخرجوا من تحت الركام أحمد أبو غانم الأعرج، الذي خرج ـ لعجبنا ـ يمشي وكأنه لم يكن به عرج! وهنا يصدق المثل «شرّ البلية ما يُضحك».

استمرّ ت الطائرتان تحلقان فوق البلدة وخراجها طوال اليوم تقريباً. غير أنهما لم تلقيا سوى القليل من القنابل في أوقات متفرقة. القنبلة الأولى ألقيت على تخوم البلدة في الرغب. والقنبلة الثانية هي التي سبقت الإشارة إليها. أما الثالثة التي ألقيت على بيت العبد عمر فبلغ ضحاياها أكثر من 40 شهيداً معظمهم من الأطفال والنساء وكبار السن. وأما القنبلة الرابعة التي ألقيت على بيت آل الهواري فذهب ضحيتها 4 ـ 5 أشخاص، كان من بينهم فاطمة الهواري التي بُترت رجلها. قرأنا في الصحف لاحقاً أنّ الطيار الذي ألقى القنبلة (وأصبح من دعاة السلام! كما قال) زارالبلدة ذات يوم وقصد منزل ضحيّته سائلاً إياها إن كانت تسامحه فكانت إجابتها بالنفي. (كأني بها تقول له: لماذا أسامحك؟! ماذا فعلنا لكم لكي تهاجموننا بالطائرات وتقتلوننا؟! لقد كنا نعيش في بلدتنا بأمن وسلام. ثم جئتم أنتم لتسلبوننا الأرض والوطن والسلام! فكيف تطلب مني أن أسامحك؟! وهل أنت تسامح نفسك، إن أنا سامحتك؟!) لقد تابعت الطائرتان تحليقهما فوق البلدة وفوق

رؤوس أرتال النازحين لإفزاعهم ومنعهم من العودة إلى منازلهم، كما كان يحصل في المرات السابقة، بعد أن ألقت عدّة قنابل أخرى على البلدة (واحدة على كرم زيتون وثانية على زقاق دارحيدر.. إلخ.)

يروي فوزي أبو عيسى الذي كان المهدي يتخذ من منزله المتطرّف في البلدة مركزاً لقيادته، أنّ كمال عبد الرازق (أبو سامي) أوفده إلى المهدي في ذلك اليوم ليسأله: ماذا نفعل؟ فأجابه المهدي: قل لأبي سامي، لا أستطيع أن أقول له ماذا عليه أن يفعل. لكننا نحن سننسحب بعد ساعتين. فهم الجميع الرسالة، وبدأ الأهالي بمغادرة البلدة.

لكنّ المقاتلين ظلوا يقاتلون حتى الرصاصات الأخيرة (بشهادة الصهاينة كما سيتضح لاحقاً) قبل سقوط البلدة في ذلك اليوم ـ الجمعة 29/ 10/ 1948.

جاء في الرواية الإسرائيلية الرسمية ما يلي، حول معركة ترشيحا وسقوطها:

(المرجع: «حرب فلسطين، 1947 ـ 1948، الرواية الإسرائيلية»، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص. 658 ـ 659، الطبعة الثانية، 1986)

«عملية حيرام: المرحلة أ ـ القوة ب

لقد كُلّف اللواء الذي انطلق من نهاريا في اتجاه ترشيحا أن يحتل في الليلة الأولى (الليلة السابقة لـ 29 تشرين الأول / أكتوبر) عدداً من المواقع المشرفة على ترشيحا.. وفي الوقت نفسه، كان على وحدة الهندسة تنظيف الطريق من العوائق لتمكين المصفحات والمشاة من اقتحام البلدة من ناحية الغرب. وكان من المعتقد أنّ البلدة ستسقط تحت ضغط منسّق من ناحية المرتفعات ومن ناحية الطريق وتُحتلّ قبل الصباح، وتتمكن القوة من مواصلة التقدّم نحو سعسع...

كما ذكرنا سابقاً، وقعت إشتباكات عديدة خلال الهدنة الثانية في منطقة ترشيحا. وبالتالي كانت هذه مستعدة جيداً للدفاع. ولذا حُشدت هنا

قوة مدفعية كبيرة. وقصفت البلدة طوال الليل بالمدفعية، لكن الكتيبة التي كانت مكلفة احتلال الموقعين المرتفعين المدافعين عنها اصطدمت بمقاومة وفشلت في مهمتها. وعادت قبيل الصباح إلى قاعدتها. ومن غير احتلال الموقعين لم تكن هناك فرصة للهجوم على محور الطريق. وصدر الأمر بإيقاف التقدم أيضاً على هذا المحور (في انتظار نتائج الهجوم على البلدة بالطائرات)... وعندما طلع النهار استردت قوات العدو الموجودة في ترشيحا أنفاسها، بعد نجاحها في الليل... **وهكذا وجدنا أنفسنا مساء يوم 29/ 10 في الغرب في المكان نفسه الذي كنا فيه ساعة الصفر.**

المرحلة ب

بعد حلول الظلام بدأت المرحلة الثانية للعملية. تحرّك اللواء «شيفع» في اتجاه سعسع، وكانت دهشته بالغة إذ احتلها من دون مقاومة تقريباً... ونظم اللواء «شيفع» صفوفه... ومكث ينتظر الأوامر: هل يتحرك غرباً لاحتلال ترشيحا من الخلف، أم يستغل النجاح فيتحرك نحو الشمال الشرقي، إلى المالكية والنبي يوشع؟

وفي الغرب، استعدت في هذه الأثناء الكتيبة 1 من لواء «عوديد» لمهاجمة ترشيحا مرّة أخرى، لكن لم يكن هناك داعٍ إلى ذلك. فعندما طلع الفجرشوهدت الرايات البيض على سطوح المنازل (بعد قصف البلدة بالطائرات طوال اليوم.) واستسلمت البلدة، بعد أن انسحبت منها قوات «جيش الإنقاذ» بسرعة تاركة وراءها معظم العتاد الثقيل (!) بما في ذلك مدافع من عيار 20 ملم كانت لا تزال منصوبة في مواقعها». (انتهى الاقتباس).

وللحقيقة والتاريخ، يعرف الاسرائيليون قبل غيرهم أنّ مسألة رفع الرايات البيضاء كانت من قِبل بعض الذين لم يغادروا البلدة وهم عبارة عن عشرات المسلمين ومعظم النصارى تقريباً، وليس من قبل المقاتلين الذين ظلوا يدافعون عن البلدة حتى مساء يوم الجمعة في 29/ 10/ 48 إلى أن نفذت ذخيرتهم. والدليل على ذلك ما ذكره العدو عن سقوط ترشيحا في

1/ 11/ 1948، ذلك أن جنوده لم يتجرؤوا على دخول البلدة إلا في صباح يوم الاثنين.

هكذا سقطت ترشيحا (مع عدة قرى مجاورةفي الجليل) في ذلك التاريخ، وذلك بعد:

1 ـ سريان مفعول الهدنة الثانية في 19 / 7 / 1948 (بدأت الهدنة الأولى في 11/ 6/ 1948).

2 ـ انسحاب مجموعة المهدي والإيحاء بسقوط البلدة. . . (راجع ما تقدم).

3 ـ دخول الجيوش العربية إلى فلسطين في 15 / 5 / 48، لتحريرها. (!)

4 ـ **تدخل الطيران في الهجوم على البلدة.** (وهو الأمر الحاسم في سقوط البلدة)

5 ـ قتال بطولي استمر حتى نفاذ الذخائر. . .

بعد سقوط البلدة (وكانت آخر معقل فلسطيني يسقط في تلك الفترة) خرج معظم الأهالي سيراً على الأقدام، وبعضهم استعان بالدواب، فيما نقلت شاحنات البلدة الأربع قلة من المحظوظين كنت أنا من بينهم. غادرت الشاحنة ترشيحا إلى رميش فبنت جبيل في جنوب لبنان، ومنها انتقلنا لاحقاً إلى برج البراجنة بالقرب من بيروت. أذكرأنني تركت على الطبلية في المنزل كتاباً مفتوحاً ودفتراً فوقه قلم وأمامه ممحاة ومسطرة. كما أذكرأن الزيتون كان مكوّما في إحدى حجرات المنزل في انتظار نقله إلى المعصرة.

بقيت جدتي في البيت، وكان والدي ما زال مع المقاتلين في الجبهة عندما غادرت أنا ترشيحا. بعد نحو خمسة أيام التحق والدي وجدتي بنا في منزل أحد الأقارب (عم والدتي محمود أحمد آغا) في بيروت. وسرعان ما قصد برج البراجنة ليستأجر لنا غرفة ومنافعها هناك. ثمّ بدأت رحلة الكفاح والانطلاق من نقطة الصفر بحثاً عن حياة جديدة ومستقبل مجهول بعد أن تركنا كلّ شيء وراءنا: الوطن والأرض والتاريخ والذكريات والمنزل بكلّ محتوياته.

روت جدتي الحكاية التالية التي شهدتها أثناء خروجها مشياً على الأقدام قبل أن تلتقي بوالدي:

في أثناء سيرنا بين أشجارالزيتون أدركتنا مجموعة صغيرة من جنود العدو، وكنّا بضعة نسوة من العجائز مع رجلين أحدهما شبه معتوه (أسعد حمزة) والثاني كبيرالسنّ (محمد يوسف عكاشة). عندما شاهد أسعد حمزة الجنود راح يقفزهنا وهناك وهو يسترحمهم للإبقاء على حياته، لكنهم عاجلوه مع رفيقه ببضع طلقات كانت كافية لمفارقتهما الحياة. قبل متابعة السير إلى جنوب لبنان قامت زوجة محمد يوسف بتغطية جثة زوجها بالحجارة علّها تحميه من الكلاب والذئاب، كما قالت. تجدر الاشارة إلى أن جدتي حملت معها من البيت بعض الأوراق من بينها شهادة ميلادي ووثيقة شراء أرضنا في جعتون.

يقول سامي كمال فاعور إنهم علموا عند وصولهم إلى تبنين بوجود فوزي القاوقجي هناك فتوجهوا لمقابلته، حيث بادرهم عندما رآهم بالقول: أنتم تبكون ترشيحا بالدموع وأنا أبكيها بالدم. لا تقولوا هذا خائن وذاك خان، المسألة أكبر من ذلك بكثير. إنها مسألة سياسة عليا.

وذكرأبو نبيل (سامي فاعور) أيضاً أن الصهاينة بعثوا مع نمرأبو النعاج إلى أبي صبري (زعيم البلدة)، قبيل سقوط البلدة، رسالة طلبوا فيها تسليمهم 350 بندقية «ونعيش بسلام معاً». يُقال إنهم أرسلوا إليه أيضاً رسالة مماثلة مع أحد الرعاة. غيرأنّ المتحكّمين بتلك البنادق رفضوا العرض، ما حدا بإبي صبري إلى مغادرة البلدة متوجّهاً إلى لبنان، وتحديداً إلى برج البراجنة القريبة من بيروت العاصمة. وكان تواجد سليم مصطفى (أبو صبري) المبكر في برج البراجنة السبب الرئيس للجوء معظم أهالي قرية ترشيحا على وجه الخصوص والكثير من الفلسطينيين عموماً إلى برج البراجنة لاحقاً.



النزوح

يروي في هذا السياق أيضاً فوزي أبو عيسى نقلاً عن والده علي أبو عيسى فيقول إن والده توجه قبل سقوط البلدة مع أربعة من أعيان ترشيحا (منهم أحمد البدوي وكمال عبد الرازق) إلى القرية المجاورة معليا ليتباحثوا هناك مع اللجنة القومية في مسألة تسليم البنادق (البواريد) مقابل عدم المغادرة. هناك فوجئوا بمسعد القسيس يقول بانفعال: «لو بتروح هالرقبة ما منسلم ولا بارودة». تبيّن لاحقاً أن مسعد القسيس هذا كان على اتصال بالعدو وقراره كان لتسهيل الخروج من البلدة وتفريغها من سكانها، علماً بأن أهل معليا لم ينزحوا مع النازحين.

هكذا غادرنا ترشيحا الحبيبة . . .

وهكذا نزحنا عن فلسطين. . .

وتحوّلنا إلى قضيّة!

القضيّة

«فِلسطين هي القضيّة... هي الأساس... هي المحور... وهي مأساة العصر. والفلسطينيون هم الأخوة المظلومين الذين يعانون غبن العالمين. قضيتهم أعدل القضايا، ونكبتهم أفظع النكبات...» هكذا يردّد المذياع صباح، مساء، وبلا كلل يُنشد الشعراء، ويخطب الزعماء، والأمراء وكلّ أسياد النفاق والرياء. لكن الواقع الأليم شاهد على عالم يتشدّق بحقوق الإنسان وهو يبارك اغتصاب الأرض وقضمها، ويغض الطرف عن هدم البيوت واقتلاع الأشجار وحصارالأبرياء أو قتلهم بصواريخ الطائرات والقنابل الفسفورية المحرّمة. الواقع الأليم شاهد على تشريد الأبرياء أو تقتيلهم، أمام سمع وبصرجميع دول العالم تقريباً، مع عدم مبالاة من الأخوة والأشقاء والأهل، بل وبمشاركة هؤلاء أحياناً في الإضطهاد، والظلم، والحصار، والتنكيل، والإذلال، والمهانة لإجبارأبناء هذا الشعب المنكوب على الهجرة والتشتّت في جميع أرجاء الأرض!

إنّ مَن يراجع وقائع الستين سنة التي أعقبت خروج الفلسطينيين من بلادهم يتبيّن أنّ قلوب جميع العرب تقريباً مع فلسطين والقضية الفلسطينية، لكن سيوف بعضهم وخناجرهم على الفلسطينيين.

- فهذه دولة عربية تمنع دخول الفلسطينيين للعمل فيها وهي التي تستوعب عمالة تفد إليها من أكثر من مئة دولة بدءاً من الهند والفيليبين والصين وحتى أمريكا وبريطانيا وكندا...
- وتلك دولة عربية خليجية تجبر كلّ شاب فلسطيني على مغادرة البلد والابتعاد عن أهله إن بلغ سناً معينة ولم يجد عملاً يزاوله (!)

- وثالثة تتشدّد في منع دخول الفلسطينيين إلى أراضيها وحتى لو بلغ الأمر إلى منع دخول زوجة فلسطينية للالتحاق بزوجها بعد وفاة زوجته الأولى وهو الذي خدم البلد أكثر من ثلاثين عاماً...
- ورابعة تمنع الفلسطيني من عبور أراضيها أثناء انتقاله من دولة إلى أخرى...
- وخامسة تتعطف وتسمح للفلسطيني بدخول أراضيها إذا زاد عمره عن الخمسين سنة...
- وسادسة تُبعد الفلسطينيين بسبب اتفاقيات أوسلو..
- وسابعة تتخلص من الفلسطينيين العاملين فيها لأن أبو عمّار أيد الغزو العراقي...
- وثامنة تضطر الشركات الكبرى فيها إلى الاحتيال على القانون والحصول على إذن عمل للموظف الفلسطيني الذي تحتاج إلى كفاءته تحت مسمى «عامل نظافة» أو يضطر الطبيب الفلسطيني فيها إلى تغيير ديانته لكي يحصل على الجنسية ويسمح له بمزاولة المهنة!! الخ.

بعض هذه الدول وغيرها من البلدان العربية الأخرى ـ كما هو معروف ـ تسمح للاسرائيلي بدخول أراضيها مرّة بجواز سفر أوروبي أو أمريكي.. وأخرى بجواز سفره الاسرائيلي (!) **أي أن حكام العرب في واقع الحال يقاطعون الفلسطينيين عموماً بدلاً من مقاطعة الاسرائيليين**، بل ويطبّعون معهم (!!)

- يقول الأمير حسن بن طلال «إن الأردن بلد كلّ العرب».. ولكن باستثناء الفلسطينيين طبعاً، وأعني بهم المعذبين المشردين الذين يعيشون خارج الأردن... (صحيفة الجمهورية، 6/ 11/ 2013)
- بل ومن المضحك المبكي أن تسمع رئيس وزراء دولة عربية وهو يطالب إسرائيل ودول العالم بضرورة إعطاء الفلسطينيين حقوقهم، فيما هو نفسه لا يعطي الفلسطينيين أبسط حقوقهم الأنسانية! (حق العمل

مثلاً أو التنقل أو تملّك شقة يسكنها مع أفراد أسرته..). إنّ المرء ليعجب كيف لا يتحوّل بعض هؤلاء المحرومين من العمل القانوني الشريف والسكن اللائق إلى أفواج من المنحرفين واللصوص والقتلة المأجورين!

يقول رئيس مجلس القضاء الأعلى في لبنان القاضي جان فهد: «يمكننا أن ننظر إلى حقوق الإنسان من وجهتين: وجهة نظر المستفيد منها، ووجهة نظر الملزم بها. فهي من الوجهة الأولى مجموعة من الامتيازات والضمانات المستحقة لكلّ شخص لمجرّد كونه إنساناً. وهي من الوجهة الثانية مجموعة مسلمات يقرّ بها الجميع لما للإنسان من قيمة أساسية وكرامة أصيلة لصيقة بشخصه. ويترتب على ذلك أنه لا يمكن أن تكون هذه الامتيازات والمسلمات موضوع تعرّض من الآخر. كما أنه لا يمكن حتى للإنسان نفسه أن يتنازل عنها وإلا يكون كمن يتنازل عن إنسانيته». ويضيف بأنّ الرجالات الكبار من اللبنانيين الذين «طبعوا البشرية جمعاء في ما يخصّ حقوق الإنسان» قد نادوا بالمساواة «من دون تمييز عرقي أو فئوي.. وبإدخال الأجانب في إطار المواطنة مع ما تعطيه من حقوق وواجبات وحريّات عامّة وشخصيّة».

(البلد والجمهورية ـ عدد يوم الثلاثاء 16 تموز 2013)

هذا من الناحية القانونية والإنسانية، لكن الأمور في الواقع لم تكن كذلك. ففي أيلول 1995 (على سبيل المثال) أصدرت الحكومة اللبنانية قراراً يفرض على الفلسطيني الذي يحمل وثيقة سفر لبنانية أن يستحصل على إذن بمغادرة البلد والعودة إليه (خروج وعودة)، ثم ألغت حكومة الرئيس سليم الحصّ هذا القرار في كانون الثاني 1999.

ولمن لا يعرف، أكتفي بذكرمثالين يبيّنان بعض نتائج ذلك القرارعلى حياة الفلسطينيين.

الأول: في صيف عام 1997 عدت إلى لبنان لقضاء إجازة الصيف، حيث كنت أعمل حينذاك في الإمارات. في اليوم التالي لوصولي ذهبت إلى

الأمن العام لوضع تأشيرة الخروج والعودة على الجواز بعد أن علمت بأن الاجراءات تستغرق ثلاثة أسابيع. بعد انقضاء الأسابيع الثلاثة ذهبت لاستلام الجواز فقيل لي: راجعنا بعد يومين. وبقيت أراجع حتى لم يبق على موعد عودتي إلى عملي سوى يومين، فسارعت أبحث عن مساعدة. وجهني قريبي طبيب الأسنان إلى أحد الأشخاص فقصدته في مساء اليوم نفسه، حيث استقبلني أحسن استقبال وقال مهوّناً عليّ الأمر: تكرم. تعال غداً واستلم الجواز. ذهبت في الموعد المحدّد فسلمني الجواز وهو يقول: آخذ عادة مئة دولار، لكن كرمال الدكتور يكفي خمسين! وللحقيقة أقول لو أنهم طلبوا مني في الجوازات مئتي دولار بدل رسوم لدفعت المبلغ عن طيب خاطر. لكنه الاذلال المتعمّد والمضايقة... وتحميل أمثالنا وزر تشجيع ونشر آفة الرشوة البغيضة!

الثاني: في تلك الفترة توفي فجأة الصديق الدكتور نزيه سامي فاعور الذي كان يدرّس مادة الرياضيات في الجامعة اللبنانية فحضر شقيقه الدكتورنبيل على وجه السرعة للمشاركة في الجنازة وتعزية والديه بفقيد الاسرة. غير انه لم يتمكن من الدخول لعدم وجود تأشيرة الخروج والعودة على جواز سفره، فعاد من حيث أتى ولم يتمكن من تشييع شقيقه...!

في 28/ 5/ 1997 نشرت صحيفة السفيراللبنانية (المحليات ـ ص.9) دراسة قانونية مطوّلة بيّنت فيها بالتفصيلات القانونية والإنسانية والدولية، بل وبما هو مدوّن على وثيقة السفر اللبنانية نفسها، أنّ «قرارالتأشيرة (تأشيرة الخروج والعودة) مخالف للقوانين والإتفاقات والمعاهدات العربية والدولية» واللبنانية أيضاً، حيث إن القرار أخذ طريقه إلى التنفيذ دون نشره في الجريدة الرسمية!

وكان لبنان قد رحّب في عام 1948، شعبياً ورسمياً باللاجئين الفلسطينيين عندما قام الرئيس بشارة الخوري آنذاك باستقبال آلاف اللاجئين في صور مخاطباً إيّاهم حرفياً: «ادخلوا بلدكم لبنان». كما رحّب بهم الرئيس رياض الصلح، وقال وزير خارجية لبنان يومها، «حميد فرنجية»: «سنستقبل في لبنان اللاجئين الفلسطينيين مهما كان عددهم، ومهما طالت إقامتهم، ولا يمكن أن نحجز عنهم شيئاً، ولا نتسامح بأقل امتهان يلحقهم

دوننا، وما يصيبنا يصيبهم وسنقتسم في ما بيننا وبينهم آخرلقمة من الخبز». لكن عندما قُدّرت أعداد اللاجئين الفلسطينيين في لبنان سنة 1952 بنحو 140 ألف (10% من إجمالي السكان تقريباً) تملّك القلق الكثير من اللبنانين على الرغم من أن قسماً لا بأس به من هؤلاء الفلسطينيين راح يعمل في الخارج.

وهكذا أخذ الموقف اللبناني الرسمي يتحوّل بمرور الوقت شيئاً فشيئاً حتى وصلنا إلى عام 1959 الذي شهد قمة التضييق على الفلسطينيين. ففي ما بين عامي 1959 و1969 طُبقت الأحكام العرفية في المخيمات وكانت تقضي بعدّة ممنوعات منها:

- ممنوع التجوّل في شوارع المخيّمات وأزقتها لأكثرمن شخصين.
- ممنوع قراءة جريدة أو سماع نشرة أخبارفي مكان عام.
- ممنوع السهر وبقاء الأضواء مشتعلة بعد الساعة العاشرة ليلاً.
- ممنوع التنقل من منطقة إلى أخرى أو مخيم إلى آخر إلا بإذن خطي من السلطات اللبنانية.

(راجع كتاب أحمد علي الحاج علي «مخيم برج البراجنة ظلّ الموت والحياة»، ص. 46)

وفي هذا السياق كتب براند (ص. 231) واصفاً الحياة في المخيمات بأنها «تخضع لمراقبة دقيقة من قِبل الأمن الداخلي اللبناني..». غير أن الأمور اختلفت منذ اتفاقية القاهرة (1969) التي سمحت للمقاومة الفلسطينية بتحمّل مسؤولية السلطة والإشراف على المخيمات، علاوة على السماح بانطلاق العمل الفدائي من جنوب لبنان. وللإنصاف فإن اتفاقية القاهرة تُعتبر ـ من الناحية الأخرى ـ مجحفة بحق لبنان كدولة مستقلة، إذ لا يجوز منازعته حقه في السيادة على جميع أراضيه.

وفي دراسة أخرى نشرتها السفير(في 24/ 6/ 1997 وفي الصفحة 9 ـ محليات) حول «أزمة البطالة عند القوى العاملة الفلسطينية في لبنان»، خلصت الدراسة إلى ما يلي:

«5% فقط يعملون بشكل مستقر والباقون إمّا عاطلون عن العمل وإمّا مياومون». علاوة على أنّ مَن يعملون «يتقاضون أجوراً متدنية ويُحرمون من حق التعويض... ويتم استغلالهم بطريقة منافية لأبسط القوانين.» هذا، عدا عن الاضطهاد والمضايقات المقصودة والمتعمّدة «حتى لا يستطيب الفلسطيني الإقامة في لبنان» ويسعى، بدلاً من ذلك، إلى الهجرة ومغادرة لبنان.

وبالاجمال فإن الفلسطينيين في لبنان، دون سائر الدول العربية، يعيشون عموماً «في وضع مأساوي لا يليق بإنسان... فهم لا يسمح لهم بإدخال مواد بناء لإصلاح منازلهم (داخل المخيمات) ولا يحق لهم:

- العمل في 73 مهنة.
- تملك أي عقار.
- التمتع بالنظام الصحي في المستشفيات اللبنانية.
- العمل في أي وظيفة حكومية.
- والكثير من الحقوق الإنسانية والاجتماعية والمدنية، حيث يتعرضون لأبشع أنواع التمييز العنصري ويعاملون كأناس بدرجة أدنى.

وفي تقرير لها عام 2007 شجبت منظمة العفو الدولية «الظروف الاجتماعية والاقتصادية المروّعة» التي يعيشها الفلسطينيون في لبنان...»

(راجع كتاب «بلا عنوان» لعصام عبد الرحمن، ص. 108)

يقول مدير «وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين ـ الأونروا» في لبنان، سلفاتوري لومباردو (السفير، 15/ 5/ 2012): إنّ لبنان يتحمّل مسؤولية الأوضاع المزرية للفلسطينيين، ويشير إلى عدم وجود رؤية واضحة لدى الدولة اللبنانية في إدارة الملف الفلسطيني، «ويعتبر أنّ إدارته أمنياً لن تعود بالنفع على المجتمع اللبناني، بل إنّ الفلسطينيين لا بدّ أن يُشكّلوا خطراً أمنياً إذا استمرّت عملية منعهم من «الحياة». ويرى أنّ أسباب منع

الفلسطيني من العمل «ليست سياسية بقدر ما هي تمييزية». وأخيراً يتوجّه إلى الدولة اللبنانية مناشداً مسؤوليها بضرورة حلّ الملف الفلسطيني من منظار اقتصادي واجتماعي وإنساني، لأنّ الأوضاع المزرية التي يعيشها الفلسطينيون في لبنان لا تنال منهم بل تُسجّل على لبنان».

يقول الدكتورمحمود فارس مصطفى الذي درس الطب في مصر: كنا عندما نصل لبنان عائدين من مصرنشاهد فرحة العودة على وجوه الجميع باستثنائنا نحن الفلسطينيين بسبب الإذلال وسوء المعاملة التي كنا نلقاها في أثناء معاملات الدخول. وأذكرأن أحد الفلسطينيين لم يتمكن من اجتياز الحدود البرية والدخول إلى لبنان إلا بعد أن انتهت نوبة عمل أحد الضباط وجاء ضابط آخرمكانه!

كما وأذكر أنّ إبني نزار لم يتمكّن في عام 1989 من عبورالأراضي العراقية في طريقه من تركيا إلى الكويت (حيث كنت أعمل وأقيم) ما اضطرّه إلى السفرجوّاً. كما أنّ الوالد والوالدة والأخوة لم يُسمح لهم بدخول الأردن لحضور حفل قران شقيقي زياد بإبنة إحدى العائلات الأردنية الكريمة، وذلك في صيف عام 1984، ما اضطرهم إلى عقد القران في بريطانيا التي سمحت لهم بالدخول. وكانوا قبل ذلك قد حُرموا من دخول الكويت لحضور حفل زفاف شقيقي غازي. وفي عام 2011 لم تتمكّن إبنتي مها من الحصول على تأشيرة دخول إلى عدّة بلدان عربية (كقطر مثلاً التي تتشدّد كثيراً في مسألة دخول الفلسطينيين إلى أراضيها) برغم أنها كانت ذاهبة في مهمّة عمل، ما اضطر الشركة العالمية التي كانت تعمل لحسابها إمّا إلى تغييرمكان الإجتماع أو عقده في غيابها (تسعى حالياً للحصول على الجنسية الكندية).

أخيراً وليس آخراً، أذكرأنني ألغيت إقامة إبني بسام في الكويت عندما توجّه إلى أمريكا لمتابعة دراسته الجامعية هناك، وذلك في عام 1985، على أمل ووعد بتمكنّه من الحصول على تأشيرة زيارة لأهله عندما يرغب في ذلك. لكن عند أوّل محاولة لي للحصول على تلك التأشيرة في صيف العام التالي (1986) قال المسؤول بأنّ مرسوماً صدر من مجلس الوزراء مؤخراً يحظرعلى الفلسطيني دخول الكويت! بل وصدرعقب ذلك قرارٌ يُلزم الشاب

الفلسطيني المقيم هناك بمغادرة الكويت بعد حصوله على شهادة الثانوية العامة إنْ لم يتمكّن من الحصول على إقامة عمل، ذلك لأنه كان يتعذر عليه الالتحاق بجامعة الكويت، وهي الجامعة الوحيدة آنذاك في البلد. وهذا يعني أنه كان يتوجب على هؤلاء الشباب مغادرة البلاد والإنفصال عن أهلهم ومعيليهم ليتوهوا في بلاد الله الواسعة(!)

هذا الواقع الأليم لا يتعارض ـ كما يبدو (!) ـ مع تصريحات الحكّام بتأييدهم لـ «القضيّة» وعطفهم على الفلسطينيين ومساعدتهم على تخفيف الظلم عنهم (بالمزيد من الظلم طبعاً!). يقول محمد حسين المجدلاوي (16 عاماً) إنّ جدّه بكى بحسرة وهو «يتذكّر شجرالزيتون والفواكه في قريته، وصار يتحدّث لنا عن معاناة الناس التي هربت من البطش الصهيوني، وكيف ظلّ اللاجئ الفلسطيني مطارداً وغير مرغوب فيه في كثير من الدول ومنها العربية».

(السفير، 15/5/2012)

وفي العقد الأول من القرن الحادي والعشرين طُرح في مجلس النواب اللبناني مشروع لإعطاء الفلسطينيين في لبنان بعض الحقوق الإنسانية مثل حق العمل، لكن المشروع فشل ولم يمرّ. وعندما سؤل رئيس جمهورية سابق عن التصويت ضدّ المشروع، قال ما معناه: لا نستطيع إعطاء الفلسطيني هذه الحقوق حتى لا يستطيب العيش في لبنان ويبقى هنا! كما وأذكر في هذا السياق أن حاكم ليبيا رمى بمئات الفلسطينيين على حدود ليبيا مع مصرلأكثر من سنة ونصف بعد إتفاق أوسلو عام 1993، بحجة أنه أصبح لهم دولة فليعودوا إلى وطنهم مصرّحاً بأنه يضغط بذلك على «أبو عمار» لأنه لم يكن راضياً عن ذلك الإتفاق. هذه الأمور ليست غريبة عن حكام العرب والسياسيين. لكن الغريب أن يجاهر شاعرملهم رقيق الإحساس، مثل سعيد عقل، بالدعوة إلى قتل الفلسطينيين في لبنان (كلّهم بدون استثناء!!)

السفير، 6/2/1998

وهو القائل: «اللي بيقول عن الجيش الاسرائيلي إنه جيش غزو بدو قص راس. أنا باسم كلّ لبنان أقول لك هذا الوحيد جيش الخلاص».

(بلا عنوان، ص. 120)

بل وقيل إن هناك رجل دين معروف في لبنان، يدين مثل الفلسطينيين بدين الإسلام، كان يتنقل أثناء مشاركة الفلسطينيين في الحرب الأهلية (1975 ـ 1982) من ضيعة إلى أخرى ليقول لأهالي تلك الضيع: الفلسطيني الذي لا تستطيعون قتله، اكسروا له يديه ورجليه! وحلل رجل دين آخر مال الفلسطيني ودمه!

هذا من حيث التمييزالعنصري والمضايقات والإذلال والإضطهاد والتبشير بالقتل. لكن هناك ما هو أفظع وأشدّ إيلاماً ومرارة؛ هناك المذابح الوحشيّةالحقيقية التي لاحقت الفلسطينيين في الدول العربية بدءاً من الأردن (أيلول 1970) وحتى تلّ الزعتر (12/ 8/ 1976) وصبرا وشاتيلا (أيلول 1982)، وحرب المخيمات في لبنان وحصارها لمدة 3 سنوات (مايو/أيار1985 ـ 1987) والتي ذهب ضحيتها ـ بحسب احصائية رسمية للحكومة اللبنانية ـ 3781 قتيلاً «معظمهم من الفلسطينيين المدنيين» (بلا عنوان، ص. 124). ونظراً لبشاعة ووحشية مجزرة صبرا وشاتيلا، التي حققت جزءاً ولو ضئيلاً من أحلام الشاعرسعيد عقل وتمنّياته لإخوانه في الإنسانية والخلق (!) والتي أثارت اهتمام العالم، سوف أشيرفي ما يلي إلى بعض ما كُتب عنها.

(السفير ـ ملحق فلسطين ـ العدد 17، الجمعة 16 أيلول 2011)

صبرا وشاتيلا

نشرت مجلة ديرشبيغل الألمانية(14/ 2/ 1983) شهادة لأحد عناصرالميليشيات (نمورحزب الأحرار) التي شاركت في مجازر صبرا وشاتيلا، وفي ما يأتي مقتطفات من نصّ الشهادة:

تجمعنا في المكان المذكور(وادي شحرور). مسؤولون في حزب الكتائب أوضحوا لنا أنّ وجودنا هنا من أجل «عملية خاصّة»... عبّئنا بشكل جيد. بعدها حضرنحو إثني عشر إسرائيلياً بالزيّ الأخضر ولكن بدون أية علامة تشيرإلى رتبهم، يحملون الخرائط.. وعند ظهر اليوم التالي اجتمعنا لأداء القسم بعدم البوح لأيّ كان بظروف وملابسات العملية. وفي حوالى

الساعة العاشرة ليلاً أقلتنا شاحنات عسكرية أمريكية قدّمها لنا الإسرائيليون. انتقلنا إلى مستديرة المطار... بعض الإسرائيليين بلباس الكتائب اللبنانية التحقوا بمجموعتنا. مسؤولونا شرحوا لنا أنّ «أصدقاءنا الإسرائيليين هؤلاء هم أيضاً متطوعون ولم يُعلموا جيشهم بذلك..» وأوضح لنا المسؤولون انه من الأفضل عدم استخدام الأسلحة «معكم فقط ثلاث ساعات ويجب أن يكون كلّ شيء قد انتهى، ولكن بهدوء وصمت». في الرابعة صباحاً عادت مجموعتنا إلى الشاحنات... مررنا بجثث متناثرة وأخرى مكوّمة بعضها مقتول بالرصاص والبعض الآخرمطعون بالحراب. الآن أول جرافة إسرائيلية وصلت. «أحرقوا الأرض، لا تتركوا أي شاهد حيّ، إعملوا كل شيء بسرعة» هكذا كانت أوامر قادتنا، لكني تساءلت هل نستطيع أن نقوم بكلّ هذا العمل بسرعة؟!

وكتب جونثان راندل (حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي ـ 1984) أنه جاء في مجلة الجيش الإسرائيلي الشهرية: طيلة ثمان وثلاثين ساعة متواصلة، من دون انقطاع، ذبحوا بكلّ أعصاب باردة الرجال والنساء والأطفال حتى الخيول والكلاب والقطط...

كما كتب الأديب الفرنسي جان جينيه: لقد أمضيت أربع ساعات في شاتيلا، ولا يزال في ذاكرتي أربعون جثة تقريباً. وهي كلها ـ ألحّ على أنها كلها ـ قد تعرّضت للتعذيب غالباً، وسط نشوة المعذبين، وأغانيهم، وضحكاتهم، ووسط رائحة البارود... إنّ قتلة قد أنجزوا العملية، لكن جماعات عديدة من فرق التعذيب هي، في غالب الظن، التي كانت تفتح الجماجم وتشرّح الأفخاذ، وتبترالأذرع والأيدي والأصابع، وهي التي كانت تجرّ، بواسطة حبال، محتضرين معاقين، رجالاً ونساءً كانوا لا يزالون على قيد الحياة.

أمّا بيغن فقد أعلن أمام الكنيست: «أشخاص غير يهود ذبحوا آخرين غير يهود، ففي أيّ شيء يعنينا ذلك؟».

وأما روبرت فيسك فكتب: إنّ الذي أبلغنا هو الذباب. إذ كان طنين

الملايين منه أبلغ من الرائحة. هذا الذباب الأزرق الكبيرتهافت علينا في البداية وكأنه لا يفرّق بين الأحياء والأموات.

... وضعنا المناديل فوق أفواهنا وأنوفنا. وفي حين أنّ رائحة الموتى في صيدا سبّبت لنا الغثيان، فإنّ رائحتهم في شاتيلا جعلتنا نتقيّأ... إنه أفظع عمل إرهابي في تاريخ الشرق الأوسط الحديث، وهو الأكبر حجماً وزمناً، وارتكبه أفراد يعرفون تمام المعرفة أنهم يذبحون أناساً أبرياء. كان عرفات في دمشق عندما شاهد شريط فيديو للجثث، فقال غاضباً إنّ فيليب حبيب نفسه وقّع على تعهد كتابي بحماية الفلسطينيين الذين يبقون في بيروت الغربية. وكان ما قاله صحيحاً. وفي خريف 1987 وبينما كنا حول مائدة قرب أكسفورد، اعترف فيليب حبيب بأنّ عرفات كان محقاً. (انتهى كلام فيسك).

ذلك أن المجزرة حدثت «على الرغم من تعهد أميركا كجزء من اتفاقيتها مع منظمة التحرير بحماية المدنيين الفلسطينيين بعد خروج قوات المنظمة من لبنان». وكان الفلسطينيون في لبنان عموماً وبيروت خصوصاً «يشعرون بالأمان بوجود المقاتلين على الرغم من أن معظمهم كان قد عانى من تجاوزاتهم...»

(بلا عنوان - ص. 120 - 121)

أخيراً نورد ما كتبه د. جيرمي سولت الذي لخص الرواية كلها في التالي:

في 14 أيلول 1982 اغتيل بشيرالجميّل، وخلال الجنازة ذكر أخوه أمين كلمة «الإنتقام». (لا أحد يعلم لماذا تمّ الانتقام من الفلسطينيين الذين لم يتهمهم أحدٌ بمقتل بشيرالجميّل! تماماً كما لا أحد يعلم لماذا يعاقب الصهاينة والعالم الفلسطينيين على المحرقة التي ليس لهم أي علاقة بها!) كان يكفي ما قاله «لِتَسُنّ الإدارة جميعها سكاكينها»... (بعد ذلك أقام الإسرائيليون) نقاط تفتيش على مخيميّ صبرا وشاتيلا فيما جُلب حوالي 1500 من رجال الميليشيا (الكتائبيين مع بعض ميليشيا سعد حداد) وتجمعوا قرب مطار بيروت.. من أجل تصفية المخيّمين من «الإرهابيين»

الذين قال شارون إنهم مختبئون فيهما. وفي حوالي الساعة السادسة مساء يوم 16 أيلول/ سبتمبرأدخل الإسرائيليون مرتزقتهم المحليين، مسلحين بالبنادق والفؤوس والخناجرإلى مخيميّ صبرا وشاتيلا، فأمضى هؤلاء 36 ساعة في قتل ما استطاعوا من الرجال والنساء والأطفال الفلسطينيين. ولكن لفظة (القتل) هي كلمة عديمة المعنى كثيراً بالنسبة إلى الطريقة التي قتلوا بها. بقروا بطونهم ونزعوا أحشاءهم. لم يظهروا أية رحمة لا للشيوخ ولا لصغارالسن بل ولا حتى لحيوانات المخيمين... لم يكن هناك أيّة «مقاومة» تقريباً من قِبل «الإرهابيين»، لأنه لم يكن أحد منهم هناك.

وبما أنّ الكثير من عمليات القتل كانت بالسكاكين لم يعلم الجيران ماذا كان يجري إلا عندما جاء دورهم.

بعد ساعتين من دخول الكتائبيين المخيّمين، تسلم أحد ضباط المخابرات الإسرائيليين تقريراً بأن أحد أفراد المليشيات سأل ضابط الإرتباط الكتائبي (إيلي حبيقة) ماذا يفعل بـ (45) شخصاً يحتجزهم؟ فقيل له: «إفعل مشيئة الله» أو كلمات بهذا المعنى... بعد ذلك سؤل حبيقة: ماذا نفعل بخمسين امرأة وطفلاً؟ فأجاب: «هذه آخر مرّة تسألني فيها مثل هذا السؤال.. تعرف تماماً ماذا عليك فعله». وعندما اشتكى الكتائبيون من ضعف الإضاءة أطلق الإسرائيليون قنابل ضوئية طيلة ليلتي الخميس والجمعة فبدت المنطقة «مثل ملعب رياضي مضاء من أجل مباراة بكرة القدم.

يوم الجمعة بدأت البولدوزارات عملها في حفر قبور جماعية، ومن ثم قامت الشاحنات بنقل الجثث إلى خارج المخيم لدفنها وطمرها. وفي وقت متأخر من بعد الظهر، أمر «إيتان» الكتائبيين «بالإستمرار في العمل...» فاستمر القتل حتى صباح يوم السبت. وعندما طُرح سؤال عن عدد الفلسطينيين الذين ماتوا؟ أجاب أحد رجال الميليشيات «ستعرف عندما يتم حفر أنفاق للمترو في بيروت». لقد قُدّرعدد الموتى بين 3000 - 3500 قتيل. (كان من بينهم عدد من اللبنانيين.).

(المرجع: كتاب تفتيت الشرق الأوسط ص. 326 - 333)

عبّرمحمود درويش عن مذبحة صبرا وشاتيلا بقصيدة عنوانها «مديح الظل العالي»، نقتطف منها ما يلي:

(راجع السفير، ملحق عدد الجمعة 16 أيلول 2011)

صبرا ـ بقايا الكفّ في جسد قتيل

ودّعت فرسانها وزمانها

واستسلمت للنّوم، من تعبٍ،

ومن عربٍ رموها خلفهم.

. . . .

صبرا تنام. وخنجرالفاشيّ يصحو

صبرا تنادي.. مَن تنادي

كلّ هذا الليل لي، والليل ملح

يقطع الفاشي ثدييها..

يرقص حول خنجره ويلعقه.

يغني لانتصار الأرز موّالاً،

ويمحو

في هدوء.. في هدوء لحمَها عن عظْمها

. . . .

صبرا ـ تقاطع شارعين على جسد

صبرا ـ نزوح الروح في حجر

وصبرا لا أحدْ

صبرا ـ هويّة عصرنا حتى الأبدْ..

علّق طلال سلمان على ذلك كله بالقول: منذ «النكبة» والشعب

الفلسطيني يعيش ـ غالباً ـ في الوقت الفاصل بين مجزرتين.. وحتى بعدما طرد الإحتلال الإسرائيلي الفلسطينيين من بلادهم، أو اتخذهم أسرى فيها، وهم أهلها الذين عمّروها وخضرّوها، فقد ظلّت المجازر تترصّدهم في ديار اللجوء، في ظلّ تقاطع المصالح بين إسرائيل و«أنظمة الصلح» العربية المعادية ـ بالتكوين ـ للثورة بوصفها طريق العودة.

(المرجع السابق نفسه)

الظلم والاضطهاد

كتبت أوكتافيا نصر في جريدة النهار (4/ 12/ 2012) بمناسبة حصول فلسطين على عضوية غير كاملة في الأمم المتحدة في أواخر شهر نوفمبر/ تشرين الثاني 2012 مقالة جاء فيها:

«.. هل يقبل أحد أن يتعرّض للتمييز طوال أربعة أجيال لمجرّد أنه لاجئ فلسطيني من غير أن يكون له أيّ ذنب على الإطلاق؟..هل كنا لنشهد القسوة التي تعامل بها بعض الحكومات (العربية) الفلسطينيين الذين خسروا أرضهم ومنازلهم وأرزاقهم؟.. يستحق الفلسطيني، مثل كلّ الشعوب الأخرى، العيش بكرامة... (ونحن) ندين لهم بالاحترام لنضالهم الطويل... إلخ».

ويقول رشاد أبو شاور (القدس العربي ـ 30/ 10/ 2012) تعليقاً على قول السودان بأنها أصبحت تعتبر نفسها دولة مواجهة بعد إغارة الطائرات الاسرائيلية على مصنع للاسلحة في جنوب الخرطوم:

«الحقيقة أنّ أيّ دولة عربية إقليمية لا يُمكن أن تكون دولة مواجهة، سواء كانت على حدود فلسطين المحتلة، أو على المحيط البعيد، لأنها في جوهرها، في نشوئها، في مصالح حكامها، لا يشغلها الخطر الصهيوني، بل هي متصالحة معه. ولذا رأينا على مدى عقود نشوء هذا الكيان، أدوار هذه الدول التخريبيّة في القضية الفلسطينيّة، وتآمرها الدؤوب لتخريب القضيّة الفلسطينيّة لإنهائها...».

«وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة على النفس من وقع الحسام المهنّد!».

يقول ميخائيل نعيمة: «في إمكاننا احتمال المرض أمّا الظلم فيدفعنا إلى هدم العالم».

وأقول:

هناك..

غاصب وقح، وحقد محموم

وهنا..

ظلم ذوي القربى، وسهم القدر

وخنجر مسموم.

أمامنا ظلام...

وخلفنا اتهام

وعن جانبينا تتعالى جدران

إذلال وحرمان!

نحزن..

كلّما غرّد بلبل

أو شدا عندليب،

وكلّما جرت السواقي

وتمايلت سنابل الحقول.

نحزن..

كلّما حضرنا فرحاً

أو التقينا مظلوماً...

أو محروماً

وكلّما...

هبّت نسائم الجليل.

يقول وليد قصاب:

يا صديقي

خانك العشق وجفّت كلّ هاتيك السنابل

وتنامى حولك البغض، وأدمتك الصياقل

جمعوا حقد أبي جهل، وجاؤوا بالمعاول

ووحيد متعب في الدرب تُقصيك القبائل

لم يعد من ملجأ يحميك من تلك الجحافل

ويقول علي الزناتي:

أرادوني لهم جسراً إلى الآفاق

أرادوني لهم جسراً إلى الحانات

أرادوني لهم بوقاً

....

فصاح الوغد في طربٍ

على السّفود يا لحم الفلسطيني على السّفود!

ويقول محمود درويش:

لماذا يكرهني إخوتي يا أبي؟

ألأنني قلت إنّي رأيت إثني عشر كوكباً

والشمس والقمر لي ساجدين؟!

إن ما ذكرته عن معاملة الفلسطيني في لبنان لا يختلف كثيراً عما يلاقيه الفلسطيني في معظم البلدان العربية إلا في النوعية والدرجة؛ درجة المعاناة والاضطهاد. وأعني بالطبع الحكومات العربية وليس الشعوب العربية. ويكفي التذكير بعدم السماح للفلسطيني بدخول تلك الدول، أو بإلقاء الفلسطينيين على الحدود بين ليبيا ومصر، أو بعدم السماح بالعمل الفدائي عبر الحدود العربية (باستثناء لبنان بعد اتفاقية القاهرة)، أو بتسخير المنظمات الفدائية الفلسطينية لمآرب وأغراض الدول التي ترعاها وليس لأغراض الكفاح ضد العدو الغاصب، والأمثلة كثيرة لا تُعدّ ولا تحصى...

أكتفي بما ذكره أنيس النقاش (أسرار خلف الأستار ـ ص.62 ـ 79) الذي قاتل مع الفلسطينيين حول «دور أجهزة الاستخبارات العربية..» واختراق التنظيمات الفلسطينية، حيث يقول إن أحد أعضاء مجموعة وهمية مندسة مكونة من أربعة أشخاص اعترف له بما يلي (عام 1968): «إن المسؤول عن هذه المجموعة فلسطيني وضابط في قوات القادسية، أرسلته المخابرات العراقية ليقوم بهذا العمل في لبنان (توزيع منشورات وجمع تبرعات)، أما أنا فخالي في جيش التحرير الفلسطيني بسورية أرسلني كي أتجسس، وأكتشف ماذا يريد العراق». ثم يتابع أنيس النقاش فيقول: «اكتشفت بعد مرور الأيام أن الشاب الذي أرسلته المخابرات العراقية أصبح مسؤولاً في القوة 17، ومسؤولاً عن أمن الرئاسة قرب جامعة بيروت العربية، والآخر الذي أرسل من سورية أصبح مرافقاً لنايف حواتمة في الجبهة الديمقراطية». وفي مكان آخر من الكتاب (ص. 124) يقول أنيس النقاش: «المتطوعون كانوا يأتون إلى التنظيمات الفلسطينية المختلفة من مصادر شتى، وأحياناً ترسلهم أنظمة عربية..»

فلسطين عبر التاريخ

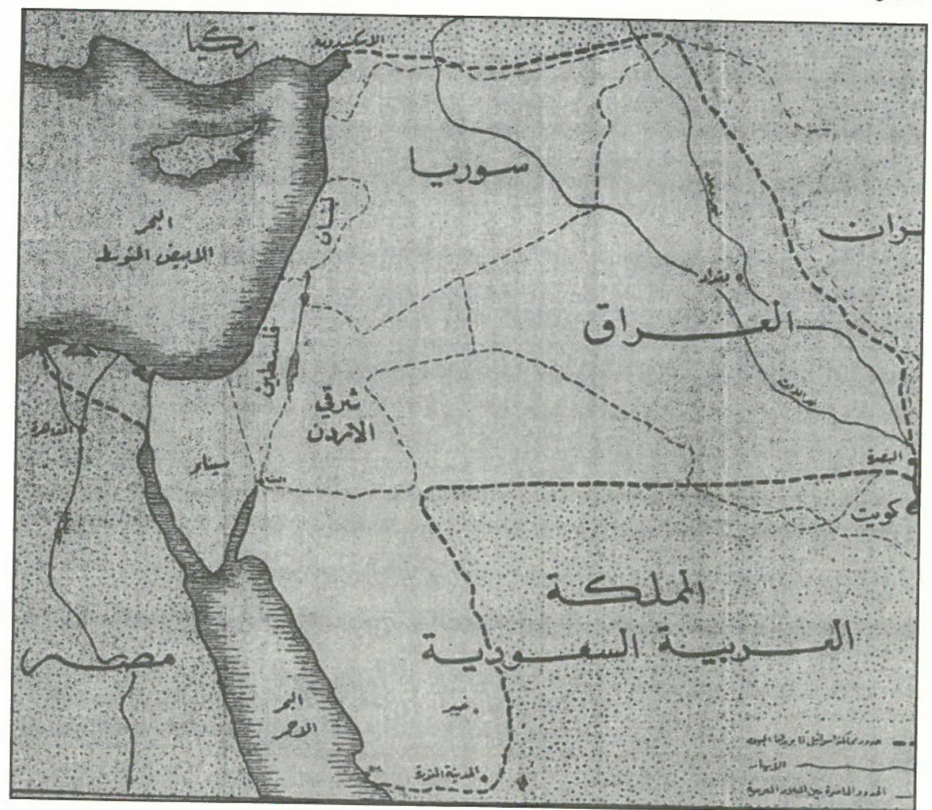
(فلسطين.. تاريخها وقضيتها، مؤسسة الدراسات).

إنّ مَن يراجع التاريخ يتبيّن أنّ بعض قبائل الكنعانيين الساميّة كانت قد هاجرت من الجزيرة العربية ونزلت أرض فلسطين منذ سنة 3500 قبل الميلاد

تقريباً. بعد ذلك دخلت البلاد قبائل الفلسطينيين القادمة من جزر بحر إيجه وأعطوا البلاد اسمهم فعُرفت منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا بـ «فلسطين». وقد امتزج الفلسطينيّون بالسكان الأصليين ـ الكنعانيين ـ وأخذوا عنهم حتى لغتهم... وبين سنتي 1400 ق.م. و1200 ق.م. دخلت فلسطين جماعات «عبيرو» أو «العبرانيون»، الذين ارتحلوا عن فِلسطين وذهبوا إلى مصر حيث بَقَوا هناك إلى أن طردهم المصريون فتاهوا في سيناء قبل أن يصلوا فلسطين ويدخلوا أريحا في سنة 1186 ق.م. ويقتلوا كلّ سكّانها ـ حتى البهائم ـ . ولقد اصطدم اليهود بسكان فلسطين القدماء في حروب عديدة. وفي سنة 1004 قبل الميلاد أسّس الملك داود أوّل وآخر مملكة يهودية موحّدة في فلسطين حكمها هو وابنه سليمان الحكيم (976 ق.م. ـ 936 ق.م.) من بعده. وقد دامت هذه المملكة 80 سنة فقط قبل أن تنقسم إلى دويلتين متنازعتين هما يهوذا في الجنوب والسامرة أو إسرائيل في الشمال. وكانت هذه الفترة القصيرة في حياة الشعوب هي الفترة الوحيدة التي سيطر اليهود فيها على فلسطين، أو بالأحرى على جزء من فلسطين لأنّ الأجزاء الساحلية ظلت في أغلبها بيد الفلسطينيين، كما ظلّ الجزء الشمالي من فلسطين بيد الكنعانيين. وقد تم تدمير دويلة إسرائيل (عاصمتها السامرة) على يد الآشوريين (722 ق.م.) وتدمير دويلة يهوذا على يد الكلدانيين(نبوخذ نصّر)، وذلك في سنة 586 ق.م. حيث سباهم نبوخذنصّر إلى بابل، ولم يبق في القدس بعد ذلك سوى عدد ضئيل من اليهود.

بعد ذلك دخلت فلسطين في حكم الفرس ثم اليونان فالرومان مع استمرار الوجود العربي فيها ومن حولها. وفي زمن حكم الرومان ولد السيد المسيح عليه السلام، وكانت لغة فلسطين يومها هي اللغة الآرامية التي كان السيد المسيح يعظ بها. وكان اليهود قد انتشروا في عدد كبير من بلاد العالم القديم خارج فلسطين لأسباب تجارية ومعاشية متنوعة، وتشتتوا في أنحاء الأرض بعد اضطهاد الرومان لهم. بعد ذلك انتشرت في فلسطين الديانة المسيحية، وظلت فلسطين تحت حكم البيزنطيين إلى أن فتحها العرب المسلمون بدءاً من سنة 633م. (12 هـ). ثم جاءت الحروب الصليبية، وبعد

خروج الصليبيين من فلسطين في عام 1291 م. (بعد مئتي عام من الاحتلال)، وخروج العثمانيين بعد أربعمئة سنة في نهاية الحرب العالمية الأولى (سنة 1918)، دخل الاستعمار البريطاني فلسطين حاملاً معه الصهيونية، وشرع الاثنان ـ بمساعدة أمريكا ـ في اغتصاب فلسطين وتهويدها.



خريطة إسرائيل كما يحلمون بها

نشوء الصهيونيّة وحقيقتها

نشأت الصهيونية في أوروبة في سنة 1881 عقب اغتيال الاسكندر قيصر روسيا، حيث جعلت السلطات الروسية من اليهود كبش فداء لحادث الاغتيال. في تلك السنة تأسست في روسيا وبولونيا جمعيات يهودية عُرفت باسم «أحبّاء صهيون» وراحت تشجع اليهود على الهجرة إلى فلسطين لاستيطانها، فهاجر عدد منهم وأقام أول مستوطنة صهيونية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر. لكن الدولة العثمانية أصدرت في تلك السنة نفسها أنظمة منعت بموجبها الهجرة اليهودية إلى الأراضي العثمانية.

وفي آب سنة 1897 دعا الزعيم الصهيوني هِرتزل إلى مؤتمر صهيوني عُقد في مدينة بازل في سويسرا حيث «قرّر المؤتمر الذي حضره حوالي مئتا صهيوني من سبع عشرة دولة تأسيس وطن للشعب اليهودي في أرض اسرائيل مؤمّن ومحم بالقانون العام» أي مضمون قانونياً، مع تشجيع الاستيطان في أراضيها بمساعدة دولة كبرى، علاوة على تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية لتكون صلة الوصل بين اليهود في جميع أنحاء العالم والناطقة باسمهم.

(راجع كتاب: بلا عنوان ـ ص. 9 ـ 11، وكتاب د. كريم الزبيدي ـ ص. 18)

حاولت هذه المنظمة الاستعانة في بادئ الأمر بتركيا العثمانية وألمانيا، ولما فشلت اتجهت نحو بريطانيا أكبر قوة استعمارية في العالم آنذاك، وحصلت منها في 2 تشرين الثاني (نوفمبر) 1917 على وعد بلفور بإقامة «وطن قومي» لليهود في فلسطين العربية. وهكذا منح البريطانيون «ما لا يملكون إلى مَن لا يستحق». يومها كان عرب فلسطين يملكون 98 بالمئة من أراضي فلسطين، ويشكّلون 92 بالمئة من مجموع سكانها، ولم تكن «أرضاً بلا شعب» لتصبح وطناً «للشعب بلا أرض» كما أشاعوا ظلماً وافتراءً.

في ما يلي تلخيص لأهم الأفكار التي مهدت للحركة الصهيونية:

1 ـ في عام 1861 نشر الحاخام هيرش كاليشر كتابه (البحث عن صهيون).

2 ـ وفي عام 1867 نشر اليهودي الألماني موشيه هِس كتابه «مشروع استعمار الأرض المقدسة» الذي بشّر فيه بالقومية اليهودية القائمة على أساس الدين والعرق، ودعا إلى تأسيس مستعمرات يهودية «تمتد من السويس إلى القدس، ومن ضفتي الأردن إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط» وتكون تمهيداً للدولة اليهودية في البلدان العربية التي هي عبارة عن بلاد تضم «مجموعة قبائل متوحشة» حسب رأيه.

3 ـ في عام 1878 تمّ إنشاء أول مستعمرة صهيونية في فلسطين، وهي مستعمرة بتاح تكفا (ملبّس) القريبة من مدينة يافا.

4 ـ وفي عام 1882 دعا اليهودي الروسي ليوليف بنسكر في كتابه «التحرّر الذاتي» إلى نبذ فكرة انصهار اليهود في الشعوب التي يعيشون وسطها، وإلى تأسيس دولة خاصة بهم «في أيّ مكان»، وليس بالضرورة في فلسطين. وفي سنة 1884 انتخب ليو بنسكر رئيساً لجمعية «أحباء صهيون» الروسية التي كانت قد تأسست نحو سنة 1870. دعت هذه الجمعية إلى «عودة اليهود إلى أرض الميعاد» وإلى إحياء اللغة العبرية والقومية اليهودية. ولمّا واجه الصهاينة صعوبات في استيطان فلسطين دعا البارون اليهودي موريس دي هيرش إلى تشجيع الهجرة اليهودية إلى الارجنتين، كحلّ ممكن لأوضاع يهود روسيا.

5 ـ في عام 1882 تأسست أيضاً حركة «بيلو» (رجوع آل يعقوب إلى فلسطن) التي استقطبت الطلاب اليهود في الجامعات والمدارس الثانوية، ودعت إلى استيطان فلسطين بالسرعة الممكنة وتوجّه بعض أفراد منها بالفعل إلى فلسطين.

6 ـ في سنة 1891 تأسست «الجمعية اليهودية للاستيطان» باشراف البارون دي هيرش لمساعدة اليهود المعوزين على الهجرة إلى بلاد أخرى، وإقامة المستعمرات الزراعية، وبدء حياة جديدة هناك. في هذه الفترة

قام المتموّل اليهودي الفرنسي ادموند دي روتشيلد بدور مهم في عملية الاستيطان اليهودي في فلسطين. ونحا نحوه قريبه جيمس روتشيلد، فأسس في سنة 1923 «الجمعية الفلسطينية ـ اليهودية للاستيطان» بغرض إقامة المزيد من المستعمرات اليهودية في فلسطين.

(كلمة روتشيلد تعني بالألمانية الدرع الأحمر، وإدموند دي روتشيلد هو منشئ مدينة تل أبيب، وكان آل روتشيلد يؤمنون بأن الحق هو القوّة ـ راجع نفوذهم الكبير في بريطانيا وفرنسا وكذلك في روسيا وأمريكا وخاصة أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية، وذلك في كتاب «الدنيا لعبة إسرائيل» وهو نفسه الكتاب الصادر في طبعة أخرى بعنوان «أحجار على رقعة الشطرنج»)

7 ـ بعد فشل مساعي هيرتزل في ألمانيا اتجه نحو بريطانيا وعقد المؤتمر الصهيوني الرابع في لندن عام 1900، حيث أعلن أن عدد الجمعيات الصهيونية في بريطانيا قد بلغ 39 جمعية، وازداد النفوذ الصهيوني هناك لدرجة أن 60 مرشحاً لمجلس العموم أعلنوا في مطلع شهر تشرين الأول 1900 تأييدهم للصهيونية.

8 ـ يُعتبر تيودور هيرتزل (1860 ـ 1904) الصحافي اليهودي الهنغاري الأصل مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة وواضع أسسها العقائدية والسياسية. وهو الذي نشر في سنة 1896 كتابه «دولة اليهود» الذي قال فيه:

«سوف نشكل هناك جزءاً من متراس أوروبا في آسيا، يكون مركزاً أمامياً للحضارة ضد البربرية. ويتوجب علينا، كدولة محايدة، أن نبقى على صلة بكلّ أوروبا التي سيكون عليها أن تضمن وجودنا».

وفي سنة 1897 نجح هيرتزل في عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل بسويسرا (كما ذكرنا)، ذلك المؤتمر الذي قرّر «أنّ غاية الصهيونية هي خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام». وشرع هيرتسل منذ ذلك الوقت في الاتصال بالدول الأوروبية عارضاً عليها أفكاره

وخدمات حركته الصهيونية. ولمّا فشل في كسب تعاطف ألمانيا واسطنبول اتجه إلى بريطانيا وقابل في سنة 1902 وزير المستعمرات، جوزيف تشمبرلين، ليقنعه بتوطين اليهود في العريش وشمال سيناء، لكن الأخير عرض عليه الاستيطان في منطقة تقع شرقي أوغندا (كينيا) أو في موزامبيق. (كان تشمبرلين معادياً للصهيونية فشهروا به ودفعوه لاحقاً إلى الاستقالة ليستبدلوه بونستون تشرشل المناصر لهم). بعد ذلك قابل هيرتسل في مطلع عام 1904 ملك إيطاليا والبابا بيوس العاشر، لكن محاولاته لم تؤد إلى نتيجة. وتوفي هيرتسل في السنة نفسها من دون أن يتمكن من تحقيق حلمه بالحصول على وعد بإقامة الدولة الصهيونية العنصرية في فلسطين.

ومع ذلك فهيرتزل هو الذي كتب في مذكراته خلال فترة المؤتمر الصهيوني الأول:

«لو كان عليّ أن أختصر المؤتمر بكلمة والتي يجب عليّ عدم إعلانها فسوف تكون ما يلي: في بازل أسست الدولة اليهودية. إذا قلت ذلك بصوت عال اليوم فسوف أواجه بتهكم عالمي، ولكن وربما بعد خمس سنوات وبالتأكيد بعد 50 سنة فإن الجميع سوف يقبلونها».

وبالفعل فقد تمّ الاعلان رسمياً عن قيام الدولة اليهودية في اسرائيل والاعتراف بها عام 1948 أي بعد 51 سنة. **(بلا عنوان - ص. 10)**

تجدر الاشارة إلى أن قرار تقسيم فلسطين (رقم 181) في عام 1947 أعطى اليهود 56 % فقط من أرض فلسطين، لكنهم أعلنوا دولتهم على ما يقارب 78%. **(بلا عنوان - ص. 15)**

9 - بعد موت هيرتزل عام 1904 عُقد المؤتمر الصهيوني السابع في تموز 1905، حيث تولى (حاييم وايزمن) زعامة الحركة الصهيونية وراح يدير نشاطها في بريطانيا بمساعدة عدد من السياسيين الانكليز، ويكثف من الهجرة اليهودية وحركة الاستيطان في فلسطين حتى بلغ عدد اليهود هناك مع نهاية الحرب العالمية الأولى 80 ألف نسمة.

10 - بينما كانت نيران الحرب العالمية الأولى مستعرة توصلت كلّ من بريطانيا وفرنسا في 16 أيّار/ مايو 1916 بموجب معاهدة سايكس - بيكو السرية إلى اقتسام المشرق العربي في ما بينهما. وكان الزعيم اليهودي الصهيوني الروسي الأصل، حاييم وايزمن، قد نجح منذ عام 1906 بإقناع آرثر جيمس بلفور بأن نحو مليون يهودي في فلسطين سوف «يشكلون حرساً فعالاً لقناة السويس». وفي سنة 1915 قدّم الوزير البريطاني اليهودي الصهيوني، هربرت صموئيل مذكرة إلى حكومته اقترح فيها تأسيس دولة يهودية في فلسطين، شارحاً الفوائد الاستعمارية المهمة التي ستجنيها بريطانيا من هذه الدولة. من هذه الفوائد، على سبيل المثال، شطر الوطن العربي إلى شطرين ومنع الاتصال البري بين مشرقه ومغربه عند اللزوم.

11 - كان مندوبو الدول الموقعة على معاهدة فرساي (1919) بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى «كلهم» تقريباً من اليهود. لذا جاءت قراراتها محققة لأهدافهم «الخفية» في:

- بذر بذور الحرب العالمية الثانية والتمهيد لها بهدف تحقيق المزيد من إضعاف الدول الغربية وإحكام السيطرة عليها (مع غض النظر لاحقاً عن تسلح ألمانيا).
- «إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين».
- إنشاء عصبة الأمم (اليهودية - باعتراف أحد المشاركين في إنشائها).

وهذه الأهداف تكرّر تأكيدها وتثبيتها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث تسلل النفوذ الصهيوني إلى هيئة الأمم المتحدة التي حلت محل عصبة الأمم، وتم التمهيد الخفي للحرب العالمية الثالثة المزمع هذه المرة شنها على المسلمين والدول الإسلامية (كما نرى اليوم).

(راجع أحجار - ص. 167 - 182)

12 - في نيسان 1920 نجحت الحركة الصهيونية في مؤتمر سان ريمو بإدخال تصريح بلفور في صك الانتداب البريطاني على فلسطين بحيث

تبنّت عصبة الأمم ذلك التصريح ووافقت على تنفيذه. وكان معظم الذين شاركوا في صياغة صك الانتداب من اليهود، ومن بينهم حاييم وايزمن أول رئيس لإسرائيل بعد إنشائها.

(راجع الزبيدي، ص. 53)

13 ـ يقول الكوماندر في البحرية الكندية وليام كار (1895 ـ 1959) الذي شارك في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وصاحب نظرية المؤامرة الشيطانية للنورانيين، ومؤلف سبعة كتب معظمها حول هذا الموضوع، منها كتاب «الأيدي الخفية في اللعبة» (1955) الذي بيع منه 500000 نسخة في أقل من أربع سنوات والذي تمت ترجمته إلى العربية بعنوان «أحجار على رقعة الشطرنج» (ص. 177 ـ 178): كنت انهيت كتابة هذا الفصل (التاسع بعنوان معاهدة فرساي) عام 1944.. بيد أنه وقع في حيازتي بعد ثمانية أعوام من ذلك بحكم منصبي وثيقة خطيرة.. في ما يلي موجز لها يتضمن بعض الفقرات الحرفية التي يمكنني نشرها.

في 12/ 1/ 1952 ألقى الحاخام الأكبر إيمانويل رابينوفيتش خطاباً سرّياً أمام المؤتمر الاستثنائي لـ (لجنة الطوارئ لحاخامي أوروبا) جاء فيه:

«تحية لكم يا أبنائي. . يجب أن أبلغكم أن الهدف الذي لا زلنا نعمل من أجله منذ ثلاثة آلاف عام قد أصبح في متناول يدنا الآن.. وأستطيع أن أؤكد لكم الآن أنه لن تمر أعوام قلائل حتى يسترد شعبنا المكان الأول في العالم الذي هو حقه الطبيعي المغتصب منه منذ أجيال طويلة فتعود بذلك الأمور إلى طبيعتها ويصبح كلّ يهودي سيّداً وكلّ جوييم (غير يهودي) عبداً (تصفيق حاد).. وسنعمل أيضاً على إلصاق تهمة العداء للسامية بالشعب الروسي ذاته بالرغم من الرابطة الوثيقة بين الشيوعية والصهيونية.. وسنعمل على بقاء إسرائيل حيادية.. (لتشرف على مجموع قضايا الشعوب الباقية)..

وسنكشف آنئذٍ (بعد انتهاء الحرب العالمية الثالثة) عن هويتنا الحقيقية ونسفر بوجهنا للعالم».

«وقد نحتاج في سبيل هدفنا النهائي إلى تكرار نفس العملية التي قمنا

بها أيام هتلر. أي أننا قد ندبّر نحن أنفسنا وقوع بعض حوادث الاضطهاد ضد مجموعات أو أفراد من شعبنا! وبتعبير آخر سوف نضحي ببعض أبناء شعبنا في أحداث سنثيرها ونوجهها نحن من وراء الستار.. (لاستدراج العطف والمؤازرة) ولتبرير المحاكمات التي سنجريها.. لإعدام زعماء المعسكرين المتحاربين معاً كما فعلنا في محاكمات نورمبرغ».

«إنكم ترون النصر النهائي يتوهج كالنور أمام أعينكم.. (وستعملون كلّ في منطقته) حتى يحلّ اليوم الذي ستكشف فيه إسرائيل عن مهمتها الحقيقية: وهي كونها مقرّ النور الذي سيضيء العالم لوحده.».

لكن، غاب عن بال أمثال هذا الحاخام أنه على الرغم من خبث ودهاء وإحكام خطط الصهيونية وأخطارها الحقيقية، فإن التاريخ يذكرنا جميعاً بأن الوهم الذي داعب خيال الاسكندر، وهنيبعل، وجنكيز خان، ونابليون، وهتلر.. بقي وهماً، ولم يتحقق. وكل ما حققه هؤلاء ـ مثل ما حققته وتحققه وستحققه الصهيونية ـ هو القتل والدمار والبؤس والمآسي بدافع الجشع والتعالي وتغليب نزعة الشرّ المتأصل في نفوس هؤلاء الضالين أعداء النور، وليسوا مقرّ النور ومصدره كما يتوهمون!!

14 ـ أخيراً نشير في هذا السياق إلى الضغوط التي أجبرت بريطانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى على السماح بهجرة اليهود إلى فلسطين، ثمّ الضغوط التي أجبرت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الثانية على تسليم فلسطين إلى الصهاينة كما سيتضح لاحقاً تحت سمع وبصر جميع شعوب العالم ومنظمة الأمم المتحدة وسائر المنظمات الإنسانية والعالمية الأخرى.

غير أن الحق سينتصر في النهاية، وسوف يظل في العالم ـ برغم شتى أنواع الضغوط ـ مَن يرفع الصوت عالياً ضد الظلم ويساعد المظلوم إن هو لم يستسلم وظلّ يطالب بحقه تمشياً مع خبرات الشعوب التي تلخّصت في هذا الشأن بكلمات قليلة: **«لا يموت حق وراءه مطالب»**.

هذا، إذا بقي الفلسطينيون موحدين خلف هذا الشعار!

كتب روبرت فيسك في الإندبندنت البريطانية مقالة بعنوان «خمسون عاماً من العار!» بمناسبة احتفالات دولة الإغتصاب بمرور 50 عاماً على وجودها. ومما جاء في تلك المقالة، أكتفي بذكر ما يلي:

يدّعي الإسرائيليون أنّ الفلسطينيين فرّوا من بلادهم لأنّ الجيوش العربية طلبت منهم ذلك.. . لكن المؤرخ الاسرائيلي «بيني موريس» أثبت أنّ العرب فرّوا من بلادهم لأنهم تعرّضوا للإبادة على يد الاسرائيليين.

. . . وهكذا فعندما يقاوم العرب احتلال «اسرائيل» لأراضيهم توجّه إليهم تهمة الارهاب. أما عندما يقوم الجيش الاسرائيلي باقتحام القرى والبلدات العربية فيوصف أفراده بأنهم كوماندوز أبطال، وكذلك يوصف أفراده الذين يقومون بعمليات القتل والاغتيالات بأنهم عملاء سرّيّون. . . وإذا كان مرض اللامبالاة أو اللاموقف يكتسح العالم العربي فإنّ «اسرائيل» مصابة في المقابل بداء التوسع على حساب جيرانها العرب.

وقد أكدّ بن غوريون عام 1948 بأنّ دولته الجديدة تمّ إعلانها فقط على جزء من أرض «اسرائيل». . .

وفي مقالة بتوقيع رينيه باكمان في الجيروزليم بوست بعنوان «المنزل» (23 نيسان 1998) تحدث الكاتب عن داليا أشكنازي التي قدمت مع والديها من بلغاريا إلى فلسطين في عام 1948 وكان عمرها حينذاك سنة واحدة، ثم فوجئت في عام 1967 (عقب انتهاء حرب الأيام الستة) بشاب فلسطيني يقرع بابها ليقول:

«إسمي بشير الخيري. هذا المنزل كان لعائلتي حتى العام 1948. أريد أن أسترجعه. هل يمكنني الدخول؟» ومنذ ذلك اليوم أصبحا صديقين. صرّحت داليا (التي أصبح اسمها عقب الزواج داليا لاندو) انها أحبت البيت الذي نشأت فيه في الرملة من غير أن تعلم شيئاً عن تاريخه. تقول: «كانت الحجرات واسعة ونظيفة، والسقف مرتفعاً، والنوافذ كثيرة..».

ويقول الكاتب بأنّ اليهود الهاربين من أوروبا وجدوا في البيوت التي

استولوا عليها ـ (بعد توزيعها عليهم) ـ كلّ ما يلزمهم لاستئناف حياتهم: الطاولات، والكراسي، والخزانات، والأواني، والصحون، والملابس، والراديوات، وحتى الصورالعائلية.. «لقد فقد الفلسطينيون الذين تم تشريدهم كلّ شيء».

بعد أن علمت داليا بأنّ الفلسطينيين لم يتركوا منازلهم طوعاً ويهربوا (كما كان يُقال لهم)، بل أجبروا على مغادرتها (بشهادة إسحاق رابين ـ ص. 103 في الكتاب)، قالت (ص.105):

«ما حدث لي كان مروّعاً. لقد اكتشفت أنّ المنزل الذي ترعرعت فيه، والذي أحببته، كان ملكاً لعائلة أخرى، وُلد فيه أطفال آخرون، وطُرد منه أصحابه بالقوّة.

أدركت، فوق ذلك كله، بأننا قد خُدعنا. لطالما اعتقدت بأنّ العرب قد فرّوا أمام الجنود الإسرائيليين في عام 1948 وأنهم هجروا منازلهم لفرط جبنهم. هذا الإعتقاد كان مريحاً لنا كي لا نشعر بالذنب أو الندم: فنحن لم نحتلّ بيوتاً طُرد أهلها بالقوة. نحن شغلنا «بيوتاً خالية»، كما قيل لنا في تلك الأيام.

تقول داليا بأنها علمت بأنّ الفلسطينيين الذين رفضوا مغادرة منازلهم كانوا يُقتلون. وقالت لها والدة بشير ذات مرّة، وهي تشكرها على تعاطفها مع إبنها الذي نفاه الإسرائيليون خارج الضفة: «من الجيد أنّ هناك يهوداً مثل عائلتكم. لكن هذا لا يكفي. إسمعيني. سوف أخبرك كيف كانت حياتنا قبل أن يطردونا من منزلنا في الرملة قبل أربعين سنة. لقد غادرنا دون أن نأخذ شيئاً من مقتنياتنا الأساسية. ثمّ أسسنا بيتاً وبيّارة في غزة فعاد الإسرائيليون وأخذوا البيارة وأعطوها لأحد المهاجرين بعد احتلالهم لغزة في عام 1956. كان علينا أن نغادر غزة ونعود إلى رام الله. والآن أخذوا إبني الوحيد بين تسع بنات. أبعدوه عن زوجته، وأطفاله، وعائلته. مَن هم حتى يكون لهم الحق بفعل كلّ ذلك؟ لقد ولدت على هذه الأرض كوالدي ووالده من قبله. أين وُلد شامير، وبيريس، ورابين؟ وأين وُلد أب كلّ منهم؟ «لذلك، تعلق

داليا لاندو قائلة: «لم أتوقف عن محبّة بلدي. لكن محبتي فقدت براءتها».

(المرجع: كتاب لاري تويل: ذ نِ بَلستاين، 1998)

وبمرور الأيام أخذ مزيد من الحقائق والأحداث يوضح كيفية مغادرة الفلسطينيين لبيوتهم.

إذ لدى الصهاينة ألف طريقة وطريقة لاغتصاب الأرض والبيوت. وما حدث في مدينة الخليل مثال لما يحدث في الضفة الغربية بأكملها. فبعد احتلال الضفة الغربية أسكن الصهاينة بالقوة بضع مئات من الاسرائيليين في الخليل التي كانت تضم نحو 35 ألف مواطن فلسطيني. لكنها اليوم (2005) بقي فيها عشرة آلاف فقط «والبقيّة أزعجوا وأذلوا على يد المستوطنين المتعصبين المحميين كلياً من الجيش الاسرائيلي، فرحلوا... بعد أن أغلقت سلطات الاحتلال 1829 منشأة عمل فلسطينية.. بعضها أغلقت بأوامر عسكرية، وغيرها أغلقت بسبب منع مرورالسيارات والمشاة، المتكرّر في المنطقة... أما التهجمات على الفلسطينيين من قبل المستوطنين فشملت الضرب وأحياناً بالعصيّ وبالحجارة وبرمي القمامة والقاذورات والماء والكلورين والزجاجات الفارغة. كما دمّر المستوطنون الدكاكين وكسروا الأبواب وقاموا بالسرقات ونهب الثمار وقطع الأشجار. ولقد تورّط المستوطنون أيضاً في إطلاق النار ومحاولة دهس الناس وتسميم مياه الآبار واقتحام منازل وصب السوائل الساخنة على وجوه الفلسطينيين...»

جاء هذا بشهادة ما كتبه ومن ثم فصله الصحافي الاسرائيلي جدعون ليفي:

الذين لم يزوروا المدينة في السنوات الأخيرة لن يصدقوا عيونهم، وفي المنطقة التي يحكمها الاسرائيليون مباشرة... سيكتشفون مدينة أشباح. مئات البيوت المهجورة كما لو أنها بعد نهاية حرب. عشرات الدكاكين المدمّرة والمحروقة والمحطمة... كلّ يوم يزعج المستوطنون جيرانهم هنا، وكلّ ذهاب إلى المدرسة بالنسبة لطفل فلسطيني أصبح رحلة إذلال. أولاد المستوطنين يرفسون النساء الكبيرات السن... والمستوطنون يهوّشون كلابهم

على كبار السن العرب، والنفايات والغائط تُرمى من شرفات المستوطنين إلى ساحات البيوت الفلسطينية... والحجارة تقذف على كل فلسطيني مارٍ هناك. هذا هو روتين الحياة في المدينة. مئات الجنود والبوليس العادي يشهدون ما يجري وهم واقفون يشاهدون الأمر... وأحياناً يتبادلون النكات مع المشاغبين ولا يقفون أبداً في طريقهم.

ومع الحجارة والشتائم يأتي نداء «الموت للعرب» و«اقتلوا العرب بالغازات السامّة»... هكذا تحولت نجمة داود رمزاً للظلم والاضطهاد.

(تفتيت.. ص. 443 ـ 444)

هذا ما يقوله ويكشفه بعض من الإعلاميين اليهود أنفسهم. فماذا يقول حكام العرب وقادة الدول الغربية والشرقية؟!!

هذا، علاوة على ما نشهده اليوم على شاشات التلفزة في أراضي 1948 والأراضي المحتلة بعد سنة 1967 من هدم لبيوت الفلسطينيين بحجة أنها «غير شرعية»، ومن اقتلاع للأشجار، واستيلاء على مساحات واسعة من أرض فلسطين لبناء المستوطنات (التي تقول أمريكا إنها غير شرعية، من جهة... وتموّل، من الجهة الثانية، بناءها وتضع الفيتو على قرارات إيقاف بنائها!) ناهيك بقطع المياه وتجفيف الآبار، ورش الحقول والبساتين بالمواد القاتلة لاتلاف المزروعات ودفع الأهالي إلى التخلي عن أراضيهم ومغادرتها، وكذلك إجبار الفلاحين على الرحيل عن أرضهم بحجة «إجراء مناورات عسكرية» وألف حجة أخرى وحجة.

في مساء يوم الجمعة 21/ 6/ 2013 عرضت شاشات التلفزة مأساة صاحب أقدم مقهى في القدس. قال بأنّ الصهاينة حاولوا إغراءه بالمال ليبيعهم المقهى، فلما رفض كل الاغراءات لجأوا إلى إقامة بوابة حديدية عند أوّل الزاروب المؤدي إلى المقهى ومنعوا الدخول بذريعة المحافظة على الأمن. بعد ذلك بدأوا يطالبون صاحب المقهى بدفع ما يتوجب عليه من ضرائب للدولة (!) قال بأن المقهى لا يعمل وليس لديه أموالاً يدفعها، فقالوا هذا ليس من شأنهم... والباقي معروف. هذه عيّنة لما يتمّ يومياً بحق أهل

الأرض في شتى أرجاء الوطن المغتصب... وأمام جميع حكام العالم وبخاصة الدول الكبرى الحامية للكيان الغاصب والمهتمة بحقوق الإنسان... بل وبحقوق الحيوان كذلك!!

وفي مساء 2/ 11/ 2013 أذاعت الأخبار أنه تم حرق 100 شجرة زيتون جنوب نابلس من قبل المستوطنين أمام عيون أفراد الجيش الاسرائيلي وبلغ عدد الأشجار المدمّرة أو المقتلعة منذ سبتمبر في العام نفسه 1200 شجرة زيتون.

واليوم (نوفمبر/ ديسمبر 2013) نسمع عن الضجة التي تثيرها خطة برافر لتهجير نحو 40 ألف فلسطيني من النقب لإقامة مستوطنات لليهود هناك.

وهكذا دواليك يومياً...

حقيقة الاحتلال والعدوان

عبّر رأفت مُرّة عن حقيقة الصهيونية، ومأساة الفلسطينيين ونزوحهم من فلسطين (1948) بما يلي:

ليس من المبالغة على الإطلاق القول إنّ ما تعرّض له الشعب الفلسطيني من مخططات وإجراءات لاحتلال أرضه وطرده من وطنه كانت من أعظم وأخطرالجرائم والأعمال العدوانية التي ترتكب بحق الجنس البشري في هذا الكون. إذ على مدار سنوات طويلة تعرّض الشعب الفلسطيني لسلسلة من الأعمال والإجراءات المنظمة على أيدي الإحتلال البريطاني والمنظمات الصهيونية. وكان الهدف من ذلك توفيرالأرضية الملائمة لقيام الكيان الصهيوني فوق أرض فلسطين، تحقيقاً للمشروع الصهيوني.

فقد عمل الإحتلال البريطاني على تهيئة الظروف المناسبة لتمكين الصهاينة من احتلال فلسطين، عبر إصدار قوانين تخدم مخططهم وغض النظرعن تزوّدهم بالسلاح (وتزويدهم به).

وتلقيهم التدريبات وتأمين غطاء سياسي لأعمالهم.

شكّلت الحركة الصهيونية منظمات عسكرية متخصصة في عمليات

القتل والتخريب والتفجير والإغتيال والإحتلال. وكان أبرز هذه المنظمات: «الهاغاناه» و«شتيرن» و«الأرغون» و«البالماح». وأعضاء هذه المنظمات من العسكريين المحترفين الذين عملوا في جيوش ألمانيا وبريطانيا وغيرهما.. . كان مخطط تنفيذ المجازر المنظمة هو أبرز الوسائل لاحتلال الأرض وإجبار أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين على الرحيل عن أرضهم.. . (إذ) تحت نيران الرشاشات وقذائف المدفعية وصواريخ الطائرات الحربية الإسرائيلية وصدى المجازر، اضطرآلاف اللاجئين الفلسطينيين إلى مغادرة فلسطين والتوجّه نحو الدول العربية المجاورة.. . (حيث) تؤكد الوقائع أنّ الفلسطيني ما كان ليغادر موطنه لولا فظاعة الإرهاب الصهيوني وعمليات القتل والقصف والتدميرالإسرائيلية، وشعوره بإمكانية العودة السريعة إلى دياره بعدما تكون الجيوش العربية قد حرّرت فلسطين. (انتهى كلام رأفت مرّة)

(راجع دليل اللاجئين الفلسطينيين في لبنان / دراسة ميدانية 2006)

وهكذا نجد أنّ الصهيونية التي ادعت بأنها جاءت رداً على اضطهاد اليهود والتمييز الديني الاجتماعي ضدهم في بعض المجتمعات الأوروبية، تحوّلت إلى قوّة تكرّس الاضطهاد والظلم وتغذي نزعة الانغلاق العرقي والتعصب العنصري بين اليهود ضدّ مَن حضنهم وتسامح معهم وتعايش، في جميع البلدان العربية؛ من فلسطين، وحتى الأندلس...

لقد ألقت الصهيونية الفرد اليهودي وسط دوامة ازدواج الولاء القومي، بمعنى توزّع ولائه بين المجتمع الذي يعيش فيه كمواطن وبين الصهيونية ومشاريعها وأفكارها المدمّرة المتمثلة بـ: «شعب الله المختار»، و«العنصر اليهودي النقي»، و«الرسالة اليهودية»، و«محافل النور» وسواها. تلك الأفكار المضرّة باليهود أولاً، وبكلّ من يحتك بهم أو يتعامل معهم، بل وبكل شعوب العالم ثانياً.

يردد البروفيسور اليهودي ستيفن روز القول بأن الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني ليس شأناً إسرائيلياً صرفاً، بل هو قضية تهم الجميع في العالم،

لأن القمع والتنكيل اللذين تمارسهما إسرائيل ضد الفلسطينيين هما وصمة عار على جبين الإنسانية كلها. ومن سخريات القدر أن اليهود الذين تعرضوا لأبشع صنوف التنكيل في أوروبة هم الذين يمارسون هذه السياسة ضد الفلسطينيين.

(السفير ـ فلسطين، السنة الرابعة، عدد 43، السبت 2013/11/16).

أخيراً نشير إلى أنه لم يكن من قبيل المصادفة أن يأتي نشوء الصهيونية مترافقاً مع ظاهرة الاستعمار الأوروبي الاستيطاني واندفاعه لاغتصاب أجزاء من افريقيا وتوطين المستعمرين البيض الغرباء فيها (بريطانيا في جنوب أفريقيا مثلاً، وفرنسا في الجزائر) تماماً كمحاولة الصهيونية استيطان فلسطين ولكن بشكل أكثر بطشاً وظلماً وعنصرية.

بهذا نخلص إلى القول؛ إنّ القضية الفلسطينية، في حقيقتها، يمكن إيجازها في التالي: قامت الصهيونية على مزج الدين بالقومية، محوّلة اليهودية من مجرّد ديانة سماوية إلى رابطة سياسية ـ دينيّة، تهدف إلى جمع يهود العالم فوق أرض شعب آخر في دولة يهودية عنصرية خاصة بهم. هكذا بدأت الحكاية بحلم صهيوني بالتجمّع، ومرّت بوعد بلفور ومساعدة الإنتداب البريطاني وأمريكا وروسيا وفرنسا وسائردول العالم الخاضعة للنفوذ الصهيوني الإعلامي والمالي ولشتى فنون الضغوط الارهابية، علاوة على قلة حيلة الفلسطينيين، وضعف العرب وتفرقهم مع حرص حكامهم على مناصبهم، لتنتهي بمجازر إجراميّة أدّت إلى ترهيب أصحاب الأرض وإجلائهم، واحتلال وطنهم، وإنشاء ما يُسمّى بدولة إسرائيل التي اعترفت بها معظم دول العالم!! (155 دولة حتى اليوم) وما إصرارإسرائيل حتى اليوم على إستمرارها في احتلال الأرض واغتصاب الحقوق إلا نتيجة للدعم الأمريكي الظالم، والخلل في موازين القوى والمعطيات الدولية والعربية التي لا بدّ أنْ تتغيّرفي يوم من الأيّام.

ومما هو جدير بالذكر أن الإسرائيليين أنفسهم هم الذين يدحضون الرواية التوراتية ويدعون إلى إعادة النظر في الروايات الإسرائيلية الشائعة التي منها أسطورة أرض الميعاد. فعلم الآثار الإسرائيلي هو الذي سدّد ضربات

شبه قاتلة للرواية التوراتية عندما عجزت جميع مكتشفات علماء الآثار عن أن تبرهن عن وجود داوود وسليمان وأسباط بني إسرائيل في فلسطين. يقول زئيف هيرتسوغ ويسرائيل فنكلشتاين ونيل سيلبرمان ـ وهم أرفع علماء الآثار في الجامعات الإسرائيلية ـ «إن علم الآثار يبرهن يوماً بعد يوم أن قصص التوراة مجرّد حكايات. ويبرهن زئيف هيرتسوغ بقوة أن صنائع الآباء التوراتيين هي محض أساطير... وهذه الحقائق معروفة منذ سنين طويلة، لكن الإسرائيليين قوم عنيدون ولا يريد أحد منهم أن يسمع شيئاً عن ذلك... بل إن قصص التوراة كلها لا تصمد أمام النقد العلمي.. فعلى سبيل المثال ورد في قصة داوود أنه قتل دبّاً وأسداً.. لكن علماء الطبيعة يؤكدون أن الدب لا يعيش في المناطق التي يعيش فيها الأسد».

(راجع السفير ـ فلسطين: السنة الرابعة، العدد 43، السبت 16 تشرين الثاني 2013)

نختم بهذا التلخيص البليغ للقضيّة الفلسطينية كما صاغته الشاعرة المبدعة جوهرة السّفاريني:

يا أرضُ في عينيك دمعة غاصبٍ هاتي الحديثَ وعن شجونك بوحي

لا تذهلي من صمت أهلي إنهم في تيههم ولجوا بلا تصريح.

وحضارة أكلت لباب نفوسنا ورمَت بنا عظماً وبعض فتات

فغدا بنا عزّ العقيدة ذلّة بعد التنكر وانتحار الذات.

ما هزّنا أنّا وجدنا ثُلّة ركعت لمن سرقوا الديار وجاروا

هي فترة ملأ الزمانَ دخانُها تمضي، وتصعد بعدها الأنوارُ

سأفجّرُ.. مَن أباحوا لكلاب الساح أرضي

رجسهم أزكم أنفي

لم يعد في جسدي الملهوف غير النّار تغلي كالأتون

كيف أرضى. . كيف نرضى. . كيف يرضى العالمُ الموبوء هذا. .

لذئاب قرضت قبر المسيح؟

حيّ الصغارَ وقد تناسوا لعبة ومسرّة لهواً وحلو مذاق

ألعابهم حمر الحجارة تزدهي بين الأصابع جرعة الغسّاق

بدمائهم كتبوا بطولة شعبهم لم يركعوا إلا إلى الخلّاق

أطفالنا عظماؤنا. . أسيادنا أقوى من الأغلال والأطواق

قد حرّرونا من خنوع نفوسنا ومن الخضوع يشدّ بالخناق

حانت الساعة وانشقّ الحجر. .

واستطالت نبتة القمح. . وغذاها القمر

كلّ ما حولك سيلٌ. . من صغار تتوهّج

وعيونٌ أبرقت ثأراً. . وأعداءٌ تفرّ

إنهم أطفالنا. . دون طفولة

عرّفوا العالمَ والأقزام ما معنى الرجولة.

أقوال

عندما سؤلت غولدا مائيرذات يوم عن أسوأ يوم وأسعد يوم في حياتها، أجابت:

إنّ أسوأ يوم في حياتي كان يوم إحراق المسجد الأقصى، لأنني خشيت من ردود الفعل ولم أنم في تلك الليلة. أما أسعد يوم في حياتي فكان اليوم التالي لحريق المسجد حيث لم يحدث شيء.

لم تكن تعلم غولدا مائير يومها أنّه «ما لجرح بميّت إيلام..».

أمّا دافيد بن غوريون، أول رئيس وزراء لدولة اللصوصية والإرهاب، فقال:

نحن شعب صغير وإمكاناتنا ومواردنا محدودة، ولا بدّ من اختزال هذه المحدودية في مواجهة أعدائنا من الدول العربية من خلال معرفة وتشخيص نقاط الضعف لديها وبخاصّة العلاقات القائمة بين الأقلّيات الإثنية والطائفية حتى نضخّم ونعظّم هذه النقاط لتصبح معضلة يصعب حلها أو احتواؤها.

(شكراً بن غوريون لأنك لم تبخل علينا بالتوعية، لكننا لا نقرأ، ولم نتعظ لأننا لم نستيقظ بعد!)

يقول ربّ العالمين: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا»، ويقول أعداؤنا: «فرّق تسد».

نحن نطيع أعداءنا! ونحرص على رضاهم! ولعلّ أساس مصائبنا الكبرى يكمن في هذه الفرقة والتفرقة!

قال بن غوريون أيضاً، في أعقاب حرب الخامس من حزيران 1967، «إنّ إسرائيل تريد التوسع كما اتسعت أمريكا من 13 ولاية إلى 50 ولاية».

وكان بن غوريون يقول لقادة الهاجاناه: «لاحظوا أن خطوط التقسيم هي البداية وليست النهاية»!

(العروش، ص. 59)

وفي 6/ 6/ 1967، أي في اليوم الثاني لحرب الأيام الستة دخلت القوات الإسرائيلية القدس فصرّح وزير الدفاع الإسرائيلي يومها بأنهم استولوا على أورشليم وأنهم في الطريق إلى بابل.

وأما موشي دايان الذي سؤل: ألا تخشون العرب وكثرتهم؟ فأجاب:

«نحن نبدأ بخشية العرب عندما يعرفون كيف يقفون في الصّف..».

وقال في مناسبة أخرى (عقب حرب 1967) «إنّ العرب لا يقرأون».

وإلى أن نتعلّم كيف نقرأ، وكيف نقف في الصف، لمَ لا يظلّ

الصهاينة يقتلون العرب، ويهجّرونهم، ويحتلّون أرضهم، بعد أن يهدموا منازلهم ويقتلعوا أشجارهم ويتحكّموا في مصائرهم! علماً أنّ الشعارالوقح «من النيل إلى الفرات دولتك يا إسرائيل» ما زال قائماً!

(صحيفة الخليج، العدد 9741)

جاء في بروتوكولات حكماء صهيون:

«لا بدّ أن نهدم دولة الإيمان في قلوب الشعوب... سنعمل على إنشاء مجتمعات منحلة مجرّدة من الإنسانية والأخلاق، ناقمة أشد النقمة على الدين ليصبح رجاؤها الوحيد هو تحقيق الملذات الماديّة وحينئذٍ يُصبحون عاجزين عن أيّة مقاومة، فيقعون تحت أيدينا صاغرين.. لقد أوجدنا بذور الشقاق في كلّ مكان بحيث لا يمكن اجتثاثه، وأوجدنا التنافر بين مصالح الأمميين الماديّة والقوميّة، وأشعلنا نار النعرات الدينيّة والعنصريّة في مجتمعاتهم، ولم ننفك عن بذل جهودنا في إشعالها منذ 20 قرناً، ولذلك فإنه من المستحيل على أيّة حكومة أن تجد عوناً من أخرى لضربنا، والدول لن تقدم على إبرام أيّ اتفاق دون موافقتنا، لأنّ محرّك الدول الآن في قبضتنا. سنكثرمن إشاعة المتناقضات، ونلهب الشهوات، ونؤجج العواطف، ولا بدّ من الإنتفاع بالعواطف المتأججة لخدمة أغراضنا. ولا بدّ أن نشغل غيرنا بألوان خلابة من الملاهي والألعاب والجنس والمخدرات لتلهيهم عن مخالفتنا أو التعرّض لمخططاتنا . . . سنفكك الأسرة، وننفخ روح الذاتية في كلّ فرد، ونمحو كلّ ما هو جماعي، ونولي عناية كبيرة بالرأي العام إلى أن نفقده القدرة على التفكيرالسليم، ونشغله حتى نجعله يعتقد أنّ الشائعات التي نطلقها حقائق ثابتة، ونجعله غير قادرعلى التمييز بين الوعود التي يمكن إنجازها والوعود الكاذبة».

أخيراً وليس آخراً، قال أدولف هتلر: «كان بإمكاني إحراق كلّ اليهود في العالم، لكني تركت أقلية منهم ليعرف العالم لماذا أحرقتهم».

وكان العاهل السعودي (الملك عبد العزيز آل سعود) قد قال للدبلوماسيين الأجانب في فبراير/ شباط عام 1945:

- على أمريكا وبريطانيا أن تختارا بين أرض عربية يسودها السلام والهدوء.. وأرض يهودية غارقة بالدم! **(حقائق، ص. 336)**

بقي أن نقول إنّ تأييد العالم للمجرمين الصهاينة أمر طبيعي لا غرابة فيه، وهو يتماشى مع قوانين الطبيعة: البقاء للأقوى، والقوي يأكل الضعيف، والناس تخاف القوي وتعمل له ألف حساب، بل وتحترمه! هذه قوانين الطبيعة منذ بداية الخليقة وحتى النهاية. كما أنّ صمت الأهل والأشقاء وضعفهم، بل ومشاركتهم في الظلم أحياناً - وفي ظلم شعوبهم أيضاً - يصب في الخانة نفسها.

أضف إلى أنه لا يحق لأي فلسطيني بعد اليوم أن يعتب على أحد عقب الذي جرى من انقسام بين الفلسطينيين أنفسهم في غزة والضفة! إنّ الفلسطينيين هم لبّ القضية. وعندما يكونون على قدرالمسؤولية سوف يوفقهم الله ويتلقون المساعدة من كثير من أحرارالعالم وشعوبه، علماً أن الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني هو في حقيقته صراع إسرائيلي - عربي وليس فلسطيني فحسب..

لماذا تكره الشعوب جنس اليهود؟

وبعد، هناك تساؤل أبدي... لماذا يكره الناس اليهود؟ كجنس عنصري وليس كديانة سماوية. الأسباب تعود إلى التعالي (شعب الله المختار)، والبخل، والعنصرية، واستغلال الآخرين وظلمهم، علاوة على أوهام السيادة على العالم بأسره. وفي ما يلي عينة مما قاله كبار رجالات التاريخ في كل زمان ومكان كدليل على هذه الحقيقة:

- فعلاوة على ما سبقت الاشارة إليه من أقوال بعض اليهود أنفسهم وبعض الكتّاب ورجال الفكر والسياسة، قال القديس ثوماس أكوينوس (القرن 13):

يجب عدم السماح لليهود بالاحتفاظ بما حصلوا عليه من الآخرين عن طريق الربا.

- وقال رئيس وزراء أستراليا (1919): ما فائدة كوننا أمة غنية إذا كانت ثروتنا كلها في أيدي اليهود الألمان؟

- قال فرانز لست: سوف يأتي يوم تقوم فيه كل الأمم التي يقطن اليهود أراضيها بطردهم لأن ذلك يشكلّ مسألة حياة أو موت، مسألة صحة أو مرض مزمن.. بالنسبة لتلك الأمم.
- مارتن لوثر: اليهود لا يصغون لأحد. إنهم جنس خبيث مؤذٍ.. يجب الاحتراس منهم دوماً.
- ماريا تريزا (ملكة هنغاريا ـ القرن 18): لا يُسمح لأي يهودي منذ الآن بالبقاء هنا دون إذنٍ خطي مني. هذا الجنس تسبب في إفقار الناس عن طريق الربا وبالتالي يجب طردهم من هنا بأسرع ما يمكن.
- جورج واشنطن: اليهود عملوا ضدنا أكثر من جيوش أعدائنا. إنهم خطر على حريتنا.
- قيصر ألمانيا ولهلم الثاني: اليهود مثل الحشرة الضارّة التي يجب إبعادها.
- هنري فورد: إنهم يتحكمون بالأعمال والتجارة وبصناعة السينما في أمريكا وكندا.
- مارك توين: طرُدوا من روسيا وبريطانيا بسبب الربا وإفقار الناس. (لمارك توين كتابات كثيرة ضد اليهود تم إخفاؤها برغم شهرة كاتبها)
- جورج برناردشو: هم العدو الحقيقي. غزاتنا من المشرق. الشعب المختار الذي اغتصب أرض الآخرين في فلسطين.
- جنرال موسلي (1939): اليهود تسببوا في الحرب لإقامة النفوذ اليهودي في كلّ العالم.
- نابليون بونابرت: اليهود أسياد السرقة واللصوصية في عصرنا الحاضر.. لقد مارسوا الربا منذ أيام موسى.. وظلموا جميع الشعوب.
- شارل ديغول (1967): اليهود يظلون كما كانوا في كلّ العصور؛ شعب متعالي، واثق من نفسه، ومتسلّط مستبد.

- فولتير: لماذا اليهود مكروهون؟ لأنهم إما أن يسودوا الجميع أو يكونوا مكروهين بسبب جشعهم وقسوتهم.
- ولنتذكر أخيراً ما قاله أحد الآباء المؤسسين الستة للولايات المتحدة والعالِم الفيزيائي المخترع المتعدّد المواهب والحاكم السادس لولاية بنسلفانيا بنجامين فرانكلين في عام 1787 في أثناء مناقشات وضع دستور الولايات المتحدة وذلك في ما يشبه الخطاب الذي يُعتبر وثيقة تاريخية حول خطر اليهود العظيم الذي يتهدّد الولايات المتحدة. (ذكر عبد الله التل: خطر اليهودية، ص. 210 أن هذا الخطاب ألقي في عام 1789 في مؤتمر إعلان الدستور الأمريكي) وفي ما يلي مقتطفات من ذلك الخطاب:

«أيها السادة، لا تظنوا أن أمريكا قد نجت من الأخطار بمجرد أن نالت استقلالها، فهي ما زالت مهدّدة بخطر جسيم.. يأتينا من جراء تكاثر عدد اليهود في بلادنا، وسيصيبنا ما أصاب البلاد الأوروبية التي تساهلت مع اليهود وتركتهم يتوطنون في أراضيها. إن اليهود بمجرد تمركزهم في تلك البلاد عمدوا إلى القضاء على تقاليد ومعتقدات أهلها، وقتلوا معنويات شبابها بفضل سموم الإباحية واللاأخلاقية التي نفثوها فيهم.. وبالتالي سيطروا على اقتصاديات البلاد، وهيمنوا على مقدراتها المالية، فأذلوا أهلها، وأخضعوهم لمشيئتهم.. ومن ثم يتعالون على أهلها. لقد رأينا في الماضي كيف أذلوا أهل اسبانيا والبرتغال وما يفعلونه اليوم في بولونيا وسواها من البلاد..

(في القرن الرابع عشر منحت إسبانيا المرابين اليهود حق جباية الضرائب من الشعب مباشرة كضمانة للقروض التي كانوا يقدمونها للحكومة. مما وضع الأهالي تحت رحمتهم المطلقة فاستغلوا هذا الوضع أبشع استغلال بقسوة ووحشية ـ راجع موضوع «أقة اللحم» المقتطعة من جسم المدين في كتاب «أحجار على رقعة الشطرنج، ص. 57»، ومسرحية تاجر البندقية لشكسبير...).

أيها السادة: في كلّ أرض حلّ بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي وأفسدوا الذمة التجارية فيها، ولم يزالوا منعزلين لا يندمجون بغيرهم، وقد أدّى بهم الإضطهاد إلى العمل على خنق الشعوب مالياً.. لذا أتوسل إليكم جميعاً أيها السادة لاتخاذ هذا القرار وتطردوا هذه الطغمة من البلاد قبل فوات الأوان ضناً بمصلحة الأمة وأجيالها القادمة وإلا سترون بعد قرن واحد أنهم أخطر مما تفكرون، وستجدونهم وقد سيطروا على الدولة والأمة ودمروا ما جنيناه بدمائنا.

إذا لم يُبعَد هؤلاء عن الولايات المتحدة «بنصّ دستورها» فإنّ سيلهم سيتدفّق إلى الولايات المتحدة في غضون مئة سنة إلى حدّ يقدرون معه على أن يحكموا شعبنا ويدمّروه ويغيّروا شكل الحكم الذي بذلنا في سبيله دماءنا وضحّينا له بأرواحنا وممتلكاتنا وحرّياتنا الفرديّة. ولن تمضي مئتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا في الحقول لإطعام اليهود على حين يظلّ اليهود في البيوتات الماليّة يفركون أيديهم مغتبطين.

وإنني أحذركم أيها السادة، انكم إذا لم تبعدوا اليهود نهائيّاً فسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبوركم. إنّ اليهود لن يتخذوا مُثلنا العليا ولو عاشوا بين ظهرانينا عشرة أجيال، فإنّ الفهد لا يستطيع إبدال جلده الأرقط.. لا تظنوا أن اليهود سيقبلون يوماً الانصهار أو الاندماج في مجتمعكم، فهم من طينة غير طينتنا، ويختلفون عنا في كلّ شيء.

إنّ اليهود خطرعلى هذه البلاد، إذا ما سُمح لهم بحرية الدخول. إنهم سيقضون على مؤسساتنا وعلى ذلك لا بدّ من منعهم من الهجرة بموجب الدستور».

(انتهى الاقتباس)

هذا، علاوة على ما قاله بحقهم السيد المسيح، والنبي محمد، وعدد من باباوات روما، وآخرون كثر مثل رئيس إسبانيا الجنرال فرانكو، ورئيس وزراء بريطانيا تشامبرلين. . . إلخ.

مَن يتحمّل المسؤوليّة

لا شكّ في إنّ اغتصاب إسرائيل لثلثي الأراضي الفلسطينية واحتلالها للضفة وغزة والجولان ومزارع شبعا.. وإصرارها على عدم عودة أهل الأرض إلى أرضهم منافٍ لكل الشرائع ومنها شرعة الأمم المتحدة وشرعة حقوق الإنسان، والإتفاقيات الدولية المختلفة، والقرارات الصادرة عن جمعية الأمم المتحدة، وبخاصة القرار194 الصادرفي 11/ 12/ 1948، والذي ينص البند 11 منه على ما يلي:

«تقرّر وجوب السماح بالعودة في أقرب وقت ممكن للآجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقرّرون عدم العودة إلى ديارهم وعن كلّ مفقود أو مصاب بضرر، عندما يكون من الواجب وفقاً لمبادئ القانون أن يُعوّض عن ذلك الفقدان أو الضرر من قبل الحكومات أو السلطات المسؤولة. وتصدر تعليماتها إلى لجنة التوفيق بتسهيل إعادة اللآجئين وتوطينهم من جديد وإعادة تأهيلهم الإقتصادي والإجتماعي وكذلك دفع التعويضات، وبالمحافظة على الإتصال الوثيق بمدير إغاثة الأمم المتحدة للآجئين الفلسطينيين، ومن خلاله بالهيئات والوكالات المتخصصة المناسبة في منظمة الأمم المتحدة».

(السفير، عدد الإثنين 16 أيار 2011)

وفي كتاب زهير مارديني (فلسطين والحاج أمين الحسيني) ورديفه كتاب (حقائق عن قضية فلسطين) وكتاب (المفتي..) للباحث كريم الزبيدي نقرأ قصة القضية الفلسطينية وبخاصة منذ العام 1919 وحتى العام 1949، وهي القصة التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بقصة حياة المفتي الحاج محمد أمين الحسيني (1897 ـ 1974)، رئيس اللجنة العربية العليا لفلسطين منذ نيسان

1936، ومن ثمّ رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين التي شكلتها الجامعة العربية في حزيران 1946. كما وتولى منصبي الافتاء ورئاسة المجلس الاسلامي الأعلى، علاوة على ترؤسه للمؤتمر الاسلامي العام الذي انعقد في القدس في السابع من كانون الأول 1931 والذي حضره نحو مئة وخمسين مندوباً من اثنين وعشرين بلداً اسلامياً، واستمرّت جلساته السبع عشرة حتى السابع عشر من كانون الأول. تجدر الاشارة إلى أن العلامة الشيعي السيد محمد حسين آل كاشف الغطاء هو الذي أمّ جموع المصلين في المسجد الأقصى عشية افتتاح المؤتمر. كما وتجدر الاشارة إلى تأييد مسيحيي فلسطين العرب للمؤتمر وترحيبهم «بدخول مسلمي العالم فريقاً مباشراً في قضية فلسطين.» . **(راجع الزبيدي ص. 63 و67 وسواها)**

دور الفلسطينيين

لا أحد يستطيع أن يعفي الفلسطينيين ولو من جزء ضئيل من المسؤولية عن خسارة فلسطين. وبرغم أن العرب يتحملون أيضاً جزءاً لا بأس به من المسؤولية عن هزيمتهم وفشلهم، وتآمر بعضهم، في فلسطين، إلا أن القسط الأكبر والأعظم من المسؤولية تتحمله الدول الكبرى وبخاصة بريطانيا ومن بعدها أمريكا اللتين تآمرتا مع الصهيونية في السرّ والعلن تحت الضغط وباسم المصالح المشتركة وسلمتا فلسطين إلى الصهاينة وأمدتا إسرائيل - وما زالتا تمدانها - بأسباب الحياة من سلاح وأموال ورجال دون إعفاء الكثير من الدول الأخرى من مسؤولية التعاطف والمساعدة والتأييد بسبب الضغط والتضليل الذي تمارسه الصهيونية وحلفاؤها على هذه الدول(مثل فرنسا وروسيا وألمانيا وإيطاليا وأستراليا وكندا وبلجيكا وهولندا وسواها) لتحقيق أطماع إسرائيل واستمرار بقائها.

أما مسؤولية الفلسطينيين فيمكن تلخيصها في التالي: برغم شجاعة واستبسال شعب فلسطين في مقارعة البريطانيين والصهاينة كانت قياداتهم - مثل سائر القادة العرب - منهمكة في تعزيز زعاماتهم وطموحهم الشخصي دون الالتفات إلى ضرورة توحيد الجهود بدلاً من الخلافات التي كان من

أبرزها الخلاف بين آل الحسيني ممثلين بالمفتي وبين معارضيهم من آل النشاشيبي بزعامة راغب النشاشيبي، ما أدى إلى الانقسام وتشتيت الجهود والاغتيالات وزرع الأحقاد والضغائن بين قادة النضال وأتباع كلّ منهم في فلسطين. ولعل هذا الانقسام بين الفلسطينيين والاغتيالات التي ذهب ضحيتها نفر من أبناء فلسطين المخلصين أمثال سامي طه زعيم حزب العمال، والدكتور أنور الشقيري إبن الزعيم أسعد الشقيري وشقيق أحمد الشقيري أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية، هو الذي أدّى إلى تضعضع الصف الفلسطيني، وضرورة البحث عن قادة جدد ينهمكون بالتخطيط الناجع والتنفيذ الفاعل بدلاً من النزاعات التي لا تؤدي إلا إلى الخراب والضياع والهزيمة أمام عدوّ حشد مقاتليه من مختلف البلدان والأصقاع وركز جهوده في هدف واحد موحد هو إنشاء دولة. مثل هذه القيادات دفعت الشاعر الفلسطيني ابراهيم طوقان إلى مخاطبة بعض قادة الفلسطينيين آنذاك بقوله:

أنتم المخلصون للوطنية   أنتم الحاملون عبء القضية
ما جحدنا أفضالكم غير   إنّا لم تزل في نفسنا أمنيّة
في يدينا بقيّة من بلاد   فاستريحوا كي لا تطير البقيّة

لاحقاً، انسحب هذا الأمر على المسؤولين الفلسطينيين إبان العمل الفدائي وصولاً إلى حالات الانشقاق، وخلافات حماس وفتح، وتعطيل عمل منظمة التحرير التي تمثل عنوان مستقبل الفلسطينيين والناطقة باسمهم في المحافل الدولية. أضف إلى ذلك كله انحياز كل فصيل فدائي إلى دولة عربية وانغماسه بالتالي في الخلافات العربية ومآسيها، وقد توّج الرئيس عرفات هذه الخلافات بتأييده للرئيس صدام حسين عند غزوه للكويت.

هناك أيضاً تجاوزات بعض أفراد المجموعات الفلسطينية بحق الفلسطينيين أولاً ومن ثمّ الأردنيين واللبنانيين... وتحوّل العمل الفدائي إلى مجرد راتب ونفوذ وشقق ومصالح شخصية وتباهي بالسلاح في الشوارع بعيداً عن العمل السري الذي هو من أول مقومات العمل الفدائي. ولعل اغتيال ثلاثة من قادة العمل الفدائي في شققهم في شارع فردان في بيروت في

منتصف سبعينيات القرن العشرين خير دليل على خطأ علنية العمل الفدائي.

كل هذه الأخطاء والتجاوزات، والجهل وقصر النظر، والأطماع والأنانية، والارتماء في أحضان الغير، وعدم الاعتماد على النفس مع عدم الثقة بعدالة قضيتهم، كلّ ذلك يُلقي دون ريب بعضاً من المسؤولية على الفلسطينيين أنفسهم في فشلهم وخسارتهم لفلسطين.

دور العرب

يجب التأكيد أولاً على أن المقصود بالعرب حكومات الدول العربية وحكامها. أمّا الشعوب العربية فتعتبر القضية الفلسطينية قضيتها، وليس أدلّ على ذلك من أنّ جيش الإنقاذ ضمّ في صفوفه متطوعين من سورية ولبنان (مسلمون ومسيحيون ودروز) ومن العراق والأردن واليمن والسودان وليبيا...علاوة على 17 ألف جندي ومتطوع مصري قاتلوا جميعاً ببسالة في فلسطين عام 1948.

أمّا دخول الجيوش العربية إلى فلسطين فكان ـ كما يبدو ـ لتثبيت قرار التقسيم، ولم يكن للقتال والدفاع وصدّ العدوان وتحريرفلسطين. أي كان لإجهاض نضال الفلسطينيين وتحييدهم، تماماً كما تمّ إجهاض ثورة 1936 عن طريق نداء الحكام العرب الشهيرإلى الفلسطينيين في عام 1938. وهذا أمرمتروك على كلّ حال للمؤرخين المنصفين وللتاريخ.

لكن الواضح أنّ الدول العربية ـ منذ النكبة وحتى اليوم ـ لم تقم بمساعدة الفلسطينيين على الكفاح لاستعادة وطنهم، ولم تزوّدهم بالعتاد والسلاح، إن لم نقل إنها عملت على حراسة حدود إسرائيل ضد هجمات الفدائيين! بل إنّ معظم حكام العرب جعلوا من فلسطين والفلسطينيين مطيّة لتحقيق أغراضهم الخاصّة والضيّقة، فراحوا يتاجرون بالقضيّة ويستغلون حاجة التنظيمات الفلسطينيّة إلى الدعم والمال، فاشتروا بعضها ـ إن لم نقل كلها ـ وأخضعوها لرغباتهم ومصالحهم، وليس لصالح فلسطين. علماً بأنّ تاريخ هذا الشعب المناضل ـ منذ العام 1919 وحتى اليوم مروراً بثورة

1936 ـ عبارة عن سلسلة من الكفاح والإنتفاضات والجهاد ضد البريطانيين، ومن بعدهم الصهاينة كما سيتضح عند الحديث عن دور بريطانيا.

يقول شكيب وهّاب (كتاب «شكيب وهاب ـ سيرة وكفاح») الذي حارب ضمن جيش الإنقاذ:

«إنّ النصرفي فلسطين لا يكون بالكلام، بل هو يحتاج إلى عتاد وسلاح وتنظيم فعلي وتعاون، وعلى العرب أن يتداركوا ذلك». ثم يقول بإن الخطأ الكبيرتمثّل في حلّ جيش الإنقاذ يوم أعلنت الجيوش العربية الحرب في 15 أيار 1948 بعد إعلان قيام إسرائيل، وذلك بناء على طلب من قائد الجيوش الملك عبد الله، ذلك أنّ مجلس الجامعة العربية كان قد اجتمع في 6 تشرين الأول 1947 في عاليه، حيث انتهى الإجتماع إلى ضرورة تكوين قوة من مختلف البلدان العربية، على أن يتم تدريبها وتسليحها وإعدادها بإشراف الجامعة العربية، وقد عُرفت هذه القوة بجيش الإنقاذ الذي تولى قيادته المجاهد فوزي القاوقجي (طرابلس ـ لبنان) والذي دخلت طلائعه إلى فلسطين في الشهر الأول من عام 1948. ثمّ تمّ حلّ هذا الجيش ـ كما أسلفنا ـ في 15 أيار. وسرعان ما تناقلت الأنباء خبر موافقة العرب على قبول الهدنة مع إسرائيل تلبية للضغط الأمريكي والبريطاني، وذلك في 11 حزيران 1948، أي بعد أقل من شهرعلى تاريخ الإعلان عن دخولها لتحريرفلسطين!

ومن هنا القول بان الجيوش العربية دخلت فلسطين لتثبيت التقسيم وليس للقتال والتحرير.

أو بعبارة أخرى؛ قائد الجيوش العربية، البريطاني غلوب باشا ـ وبغطاء سياسي عربي ـ أنهى مهمّة دولته في تسليم معظم أراضي فلسطين للصهاينة، تنفيذاً لوعد بلفور والحكومة البريطانية.

«ومع أنه كان مفهوماً أن الجيوش العربية عندما تدخل فلسطين لن تتجاوز خطوط التقسيم كما قرّرته الجمعية العامة للأمم المتحدة.. فإن

تصرفات الضباط الانكليز في الجيش الأردني تركت لليهود أكثر جداً مما قرّرته لهم الأمم المتحدة. وأن ملك الأردن إذا لم يكن موافقاً على ما جرى صراحة فهو يقرّه سرّاً.». **(أزمة العروش، ص. 36)**

وقبل متابعة الحديث عن الدور الفاعل والحاسم للملك عبد الله وجلوب باشا في ضياع فلسطين، نشير باختصار إلى دور مصرعلى اعتبار أن الجيشين المصري والأردني هما الجيشان المؤثران في حرب عام 1948.

كان من المقرّر عدم دخول مصر الحرب. ففي صيف عام 1946 اجتمع اسماعيل صدقي رئيس وزراء مصر مع إلياهو ساسون في الاسكندرية وأبدى موافقته على تقسيم فلسطين بشروط ثلاثة... كما أنه نظراً لعلاقته الحميمة مع كثيرين من اليهود يعرف أن في إمكان مصر أن تتعاون وتتعايش مع دولة يهودية في فلسطين... وهو يرى هذه الدولة قائمة لا محالة بالتأييد الدولي وتصميم اليهود في العالم. ولا يرى مصلحة أو نتيجة في أيّ موقف تدفع إليه الوطنية التي لا تعرف ما فيه الكفاية عن حقائق الأمور).

(العروش، ص. 35 وص. 49)

غير أن مصر ـ لاعتبارات عديدة ـ دخلت الحرب، وحارب المصريون برغم كل المعوقات حرباً مشرفة في الخليل وبيت لحم وقطاع غزة والنقب وبخاصة في الفالوجا. وقبل بدء المعارك قال النقراشي للقائد العام للقوات المصرية في فلسطين (ص. 458) مهوّناً عليه مسألة الحرب في فلسطين: «إن الاشتباكات ستكون مجرّد مظاهرة سياسية وليست عملاً حربياً.. وإنه يعتقد أن المسألة ستسوّى سياسياً بسرعة وإن الأمم المتحدة سوف تتدخل».

كما وكان علي ماهر باشا رئيس وزراء مصر عند نشوب المعارك يفضل «سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب»، بل وقال شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي أن الحرب أولاً وأخيراً «لا ناقة لنا فيها ولا جمل»!

كما وقيل إن الملك فاروق كان مستعداً لصفقة مع إسرائيل يضم بموجبها إلى ملكه قطاع غزة ومنطقة النقب، وهو في مقابل ذلك جاهز لصلح منفرد مع إسرائيل. **(راجع أزمة العروش، ص. 44)**

وكانت إسرائيل قد أعلنت عن استعدادها «لأن ترى قطاع غزة يُضم إلى مصر تحت سيادة وتاج الملك فاروق». لكنها عارضت مع أمريكا في ضم النقب. ولما أصرّ الكونت فولك برنادوت على مسألة ضم النقب إلى العرب مقابل توريث الجليل لإسرائيل قام يهوديان باغتياله، وكان أحدهما شامير الذي أصبح فيما بعد رئيساً لوزراء إسرائيل. ذلك أن النقب كان بالنسبة لإسرائيل ـ حسب قول بن غوريون ـ «مخرجها إلى البحر الأحمر، وهو الفضاء الفسيح للاستيطان.. علاوة على أن العرب ليسوا بحاجة إلى النقب لأن لديهم الكثير من الصحارى!». **(المرجع السابق، ص. 42 ـ 49 و154)**

ونعد إلى دور الأردن فنشير إلى أنه في صيف عام 1947 قال رئيس بلدية تل أبيب «إسرائيل روكاش» لـ«كرمت روزفلت» بأن الصهاينة ليس لديهم أي خوف من الدول العربية لأنهم غير منظمين... «والجيش الوحيد الذي له أية قيمة هو الفرقة العربية بشرق الأردن... ولدينا تأكيدات أن موقف الملك منّا مريح. إنه رجل معقول». **(كتاب تفتيت الشرق الأوسط، ص. 177)**

ويلخص هيكل موقف الملك عبد الله في تلك الفترة بقوله:

«.. إن صلات نشأت وتوثقت بالفعل بين العرش الأردني، مع الوكالة اليهودية قبل قيام الدولة، ثم مع ممثلين لحكومة إسرائيل بعد قيام الدولة. وقد اجتمع الملك عبد الله فعلاً مع ساسة وعسكريين يمثلون المشروع اليهودي الصهيوني، وكان بينهم ـ قبل نشوب المعارك، وبعدها! ـ شخصيات من أمثال حاييم وايزمان وإلياهو ساسون وجولدا مائير وموشى ديان وغيرهم وغيرهم..

وكانت نقطة الاتفاق في كلّ هذه اللقاءات أن يحصل الملك على الجزء المخصّص للعرب بمقتضى قرار التقسيم، ولم يكن ذلك تراضي الطرفين فقط، بل وكان أيضاً مطلب بريطانيا. وعلى هذه الرقعة للاتفاق كان التنسيق في التخطيط السياسي وفي التحركات العسكرية متواصلاً.

ـ (وبهذا) أصبح الملك عبد الله بين شقي رحى:

- اتفاق بينه وبين إسرائيل على خطوط معيّنة، لكن إسرائيل تغش وتتجاوز وتفرض.
- وتحالف بينه وبين عروش عربية، لكن هذه العروش العربية لم تعد تراقبه فقط ـ وإنما أصبحت تشكّ فيه وتكاد تتهمه!»

(أزمة العروش.. ص. 29 ـ 30)

والمدهش ـ كما يقول هيكل ـ «أن الملك عبد الله لم يكن حريصاً على إبقاء مصر بعيدة عن التدخل العسكري في فلسطين فقط، وإنما سعى لتحذير سوريا ولبنان من الدخول..» حيث قال لرئيس وزراء لبنان حينذاك رياض الصلح في أواخر آذار/مارس 1948:

«لا تغامروا بجيوشكم في فلسطين لأن اليهود أقوى». (العروش، ص. 44)

كما أنه عندما تمّ التصويت على مشروع تقسيم فلسطين في 29/ 11/ 1947 في الجمعية العامة عارضه العرب «باستثناء الملك عبد الله».

(العروش، ص. 175)

قال الملك فاروق إنه تلقى رسائل من الملك عبد العزيز آل سعود، ومن الرئيس السوري شكري القوتلي، ومن مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، وكلها تطالبه بالوقوف أمام «مؤامرات عبد الله»، ثم إنهم فوّضوه «باتخاذ ما يراه من إجراءات». **(أزمة العروش، ص. 37)**

غير أن الملك عبد الله ردّ على منتقديه في اجتماع وزاري عربي عاصف عقد في قصر رغدان في 28/ 7/ 1948 فقال بأن العرب سارعوا إلى الحرب على عكس ما نصحهم به:

«لقد نصحتكم ولم تنتصحوا، وتركتم لـ «الرعاع» من الناس يحركوكم إلى ما لم تكن لديكم الجاهزية له!.. والآن لا تجدون مَن تلومونه غيرنا، وكنت أعرف من البداية أنكم سوف تلقون اللوم كله على قيادتنا العسكرية وعلى جلوب باشا المسكين معكم أيها العرب ـ حاول الرجل أن يخدمكم ولكنكم كالعادة لا تفرّقون بين عدوّ وصديق.. خيركم للعدو وبأسكم على الصديق». **(أزمة العروش، ص. 34 ـ 35)**

وفي 12/ 11/ 1948 خطب الملك عبد الله في القدس فقال ما معناه: دخلنا الحرب إخواناً لكي ننتصر على اليهود ولكن اختلفت النيّات فحلّت بنا الهزائم ولن ننتصر.

في تلك الفترة كتب الشاعر الفلسطيني «أبو سلمى»:

قال الملوك وإنهم   لا يملكون سوى القيود
ذلّت عروش زيّنوها   بالسلاسل والحديد

أما المؤرخ «آفي شلايم» (الاستاذ بجامعة اوكسفورد) الذي أتيح له أن يقرأ كلّ الوثائق الاسرائيلية قبل وبعد إقامة الدولة، فيقول صراحة:

«فور صدور قرار تقسيم فلسطين كان هناك اتفاق مسبق وكامل بين الهاشميين والحركة الصهيونية، وكان جوهر الاتفاق أنه عندما يسري مفعول قرار التقسيم وينتهي الانتداب البريطاني على فلسطين فإن دولة يهودية سوف تعلن على الفور في الجزء المخصص لليهود بمقتضى قرار التقسيم. وأما بالنسبة للجزء المخصص للعرب فإنه ينضم إلى شرق الأردن بحيث لا يكون هناك داع لدولة فلسطينية تنشأ بين إسرائيل وبين نهر الأردن... وبريطانيا كانت موافقة على هذا الاتفاق.».

(راجع كتاب هيكل «العروش والجيوش»، ص.31، ودراسة آفي شلايم الصادرة عن جامعة أكسفورد في عام 1988 بعنوان «التواطؤ عبر الأردن».)

ويعلق هيكل على هذا الاتفاق بالقول:

«وكان الاتفاق يضمن مصلحة الأطراف جميعاً: مصلحة إسرائيل لأنها في هذه الحالة معفاة من الاعتراف بوجود شعب في فلسطين له حقوق تاريخية على الأرض.. والملك عبد الله لأنه في هذه الحالة يستطيع تحويل شرق الأردن إلى مملكة «بحق وحقيق» لها عمقها على ضفتي النهر: شرقاً وغرباً!»

وكان الملك عبد الله، عندما تقررإدخال الجيوش العربية إلى فلسطين لتحريرها (!) قد «أصرّ على أن تكون له قيادة الجيوش العربية، فعارضت أكثرية الدول العربية في هذا، ثم عاد بعضها فوافق تحت تأثير الضغط

البريطاني الشديد، وتسلّم الجنرال جلوب القيادة الفعلية للجيوش العربية، ووقعت كارثة فلسطين على الشكل المعروف». كما سبق وأشرنا.

(حقائق.. ص. 75)

يذكر هيكل (أزمة العروش، ص. 48) أن الملك عبد الله بعث في عام 1948 إلى وزير الخارجية البريطاني بيفن اقتراحاً مفاده: «إن العرب لن يتفقوا على شيء وسوف يظلّ الخلاف بينهم إلى يوم الدين. والحلّ الوحيد هو أن تتفق الدولتان العظميان الولايات المتحدة وبريطانيا على حلّ نهائي يتم فرضه بقوّة نفوذهما في المنطقة».

وفي يوم 26/ 9/ 1948 نقل الجنرال جلوب عن الملك عبد الله رسالة إلى القيادة الاسرائيلية مؤداها: «ما الذي تنتظرونه لتصفية الوجود العسكري المصري على الأراضي الفلسطينية، وهل تنتظرون لكي تروا المفتي (الحاج أمين الحسيني) رئيساً لدولة فلسطينية وأنتم تعرفون أنه السند الحقيقي وراء حكومة عموم فلسطين التي أنشئت تحت الحماية المصرية في غزة؟».

(أزمة العروش.. ص. 52 ـ 53)

ثم قام الملك عبد الله في أواخر سنة 1948 بعقد مؤتمر أريحا لمبايعته بضم الضفة الغربية إلى مملكة شرق الأردن.

ومن طريف ما يرويه الصحافي العريق والمراسل الحربي لصحيفة أخبار اليوم في عام 1948، محمد حسنين هيكل عن الملك عبد الله هذه الحكاية:

أغارت ذات ليلة على عمان طائرة واحدة من طراز «أوستن»، وفي اليوم التالي أعلن في العاصمة الأردنية عن إطفاء الأنوار تلك اليلة. وفي تلك الليلة نفسها صعدت ـ يقول هيكل ـ جبل عمان قاصداً قصر رغدان حيث كان من المقرر أن يقيم الملك عشاء لوزير الخارجية المصري، وكان القصر وسط حديقته يسبح في بركة من الضياء... ثم لمحت الملك عبد الله يتمشى أمام مدخل القصر وبالقرب منه رجل سمعت الملك من قبل يناديه «مناور»، وعرفت أنه تشريفاتي القبائل في بلاطه. اقتربت من الملك أقول له ما مؤداه

«أنه ليس معقولاً أن تكون عمان مظلمة وأن يكون القصر الملكي مضاءً... لأن ذلك يرشد اليهود إلى الهدف الذي يضربونه».

ردّ الملك: «هل تريد للتاريخ أن يسجّل أن ملكاً هاشمياً أطفأ أنوار قصره خوفاً من اليهود؟»

ثم راح يروي لي ما حدث أثناء الغارة ليلة الأمس. فقد خرج بنفسه ـ حسب روايته ـ ومعه مدفعه الرشاش إلى حديقة قصر رغدان وكان «مناور» إلى جانبه، وقال لي الملك:

«كان مناور يرصد الطائرة المغيرة وأنا بالمدفع الرشاش أطخ»!!

(العروش.. ص. 70 ـ 71)

أمّا الجنرال جون باجوت جلوب المشهور باسم جلوب (غلوب) باشا (1897 ـ 1986) فقد قاد الجيش العربي الأردني من سنة 1939 وحتى سنة 1956. ويذكرالتاريخ والوقائع كثيراً من مآثرهذا القائد العظيم (!) في تسليم فلسطين لليهود وجعلهم ينتصرون على الجيوش العربية:

«بدّل الخطة العسكرية التي وضعها رؤساء أركان حرب الجيوش العربية... وسحب الجيش السوري.. إلى جبهة سمخ حيث عرّضه لخسائر فادحة، كما غرّر بالجيش العراقي ووجهه إلى مهاجمة مستعمرة جيشرالتي كانت قاعدة من قواعد الإنكليز المحصّنة خلال الحرب لمقاومة الزحف الألماني، وعاق الجيش الأردني الذي كان معسكراً حول القدس عن الدفاع عنها بضعة أيام لإعطاء الفرصة لليهود لاحتلالها... وقد منع غلوب الجيوش العربية من القتال الفعلي، كما سحب الجيش الأردني من الرملة واللد، بعد أن نزع أسلحة المجاهدين الفلسطينيين ما أدى إلى سقوط منطقة الرملة واللد بيد اليهود... كما أنه هو الذي حال دون إنقاذ الفالوجة... كما حال دون تسلّم القوة العراقية (بقيادة المقدم عمرعلي) لحيفا، ووجه اللوم إلى ذلك القائد الشجاع الذي ضرب القوة اليهودية في جنين ثم أمره بسحب جنوده من جبهة القتال...

(السفير، عدد 12007)

يقول هيكل إن جلوب كتب في مذكراته إنه قال لعبد الرحمن عزام

الأمين العام لجامعة الدول العربية يومها: «إنني ما زلت أستغرب أن يتولى ضابط بريطاني قيادة جيوش الدول العربية في ظروف يمكن أن تؤدي إلى حرب. وكان ردّ عزام أنني سأفعل ذلك ليس بوصفي ضابطاً بريطانياً وإنما بوصفي قائداً للفيلق العربي الذي تريد الدول العربية كلها أن تتولى مسؤولية دعمه باعتباره جيشاً لكل العرب».

(العروش.. ص. 92 ـ 93)

«فكيف النصر لمن يسلم مقاليد أموره لخصومه الألداء، وهم أصل الداء وأساس البلاء؟»

(العروش.. ص. 444)

والحقيقة أن المسألة لم تكن تتعلق بجلوب وحده وضباطه الانكليز وإنما بالتوجيهات التي كانت تأتيهم من لندن وليس من عمان. ففي يوم السبت 7 شباط / فبراير 1948 عُقد اجتماع بين رئيس وزراء الأردن توفيق أبو الهدى وإرنست بيفن وزير خارجية بريطانيا بحضور جلوب حيث طلب الأول من الثاني «أن لا يتجاوز الفيلق العربي حدود ما هو مخصص للفلسطينيين ولا يحاول الاقتراب مما هو مخصص لليهود.. (بل) ويتوقع من الفيلق العربي ما هو أكثر، وهو أن يمنع أية قوات أخرى غيره من اعتراض تنفيذ قرار التقسيم بالنسبة للجزء المخصص للدولة اليهودية».

وقد قام جلوب بما طلب منه وأكثر، ففي نيسان / ابريل عام 1948 بعث رسالة إلى قيادة الهاجاناه قال فيها إنه «على استعداد لتأخير تقدم قوات الفيلق العربي إلى القدس القديمة لإعطاء الهاجاناه فرصة لتثبيت سيطرتها على القدس الجديدة، وحتى إذا اضطر تحت الضغوط لإبداء نوع من المقاومة فإنه يتعهد بأن تلك المقاومة سوف تكون نوعاً من التمويه وليس أكثر».

(العروش.. ص. 45)

وفي بداية سريان الهدنة الأولى أمر دافيد بن جوريون قواته باحتلال مثلث جنين طولكرم اللطرون. يومها زار جلوب المواقع الاردنية والعراقية في اللد والرملة ثم كتب إلى الحكومة الأردنية «يطلب أمراً بالانسحاب قبل أن تنفذ ذخيرته وتضطر قواته إلى التسليم. وحصل جلوب من الحكومة الاردنية على القرار الذي أراده. وبدأ دخول القوات اليهودية إلى مناطق مخصصة

بقرار التقسيم للعرب ودون قتال، وكانت تلك مجرّد بداية ـ تكررت بعد ذلك في الجليل الأعلى وفي النقب حتى شاطئ خليج العقبة».

(العروش.. ص. 257)

وقد نتج عن ذلك الانسحاب من اللد والرملة (أو بالأحرى تسليم المثلث) تشريد نحو مئة وخمسين ألفاً من العرب، ما حدا بإحدى النساء إلى القول:

«بدل ما يطردوا اليهود، قاموا طردونا إحنا... الله ينتقم من ملوك العرب».

(رحلة العذاب ـ ص. 95)

يقول جلوب نفسه ما يلي: «كذلك كنا ممنوعين من دخول أيّ مناطق مخصصة للدولة اليهودية بمقتضى قرار التقسيم، وبالتالي فإن خططنا جميعاً كانت بالتوافق مع أوامر الامم المتحدة وبموافقة من الحكومة البريطانية».

(العروش.. ص. 134)

«.. وحين نفذت القوات اليهودية من قلب النقب إلى خليج العقبة، انسحبت أمامها سريّة أردنية وتركتها تحتل موقع «أم الرشراش» الذي بني عليه فيما بعد ميناء إيلات!» (العروش، ص. 119).

كما أن الجنرال جلوب منع القوات السورية والعراقية المكلفة بفك الحصار عن الفالوجة من المرور بأراضي شرق الأردن.

(راجع العروش.. ص. 445)

وفي 3/ 6/ 1948 وصل الاحتكاك بين الأردنيين والمصريين في الخليل إلى الحد الذي جعل حاكم لواء الخليل العسكري يكلف قائد منطقة الخليل الأردني بإبلاغ قائد القوات المصرية في بيت جبرين «بلزوم مغادرته بيت جبرين حالاً.» وأنه كان هناك خشية من حدوث احتكاك بين الطرفين.

(راجع كتاب العروش.. ص. 220)

هذه عيّنة من جهود جلوب في تنفيذ جزء من أوامر حكومته وتسليم فلسطين لليهود، ما أدّى بالتالي إلى تململ الأهالي في عمان وإبداء عدم

رضاهم عن أداء الجيش الأردني، حيث «تكرّرت حوادث إطلاق النار على الانكليز الضباط. وبدأ الانقسام يدبّ بين الضباط والجنود الأردنيين تجاه القادة الانكليز. وتكرّرت حوادث تعدّي جنود العراق على الأردني لعدم قيام الأردني بواجبه تماماً... وقامت مظاهرات (يوم 19/ 7/ 1948) في عمان ورام الله نودي فيها بسقوط الانكليز وجلوب باشا، وتعدّى الفلسطينيون على البيرق الأردني ومزّقوه في رام الله». **(العروش.. ص. 347 و349)**

أضف إلى ذلك كله أن مجموع الوحدات العربية التي دخلت فلسطين لتحريرها بلغت قرابة 45 ألف مقاتل من سورية (6 آلاف)، ولبنان (2500)، والعراق (4600) والأردن (15 ألف) ومصر(17 ألف بما في ذلك سرايا من الجيشين السعودي والسوداني انضمت لاحقاًإلى الفرق المصرية). إلا أن هذه القوات، مع قلة عددها بالنسبة إلى القوات الصهيونية (70 ألفاً)، كانت تشكو أيضاً من ضعف التسليح وفساد العتاد الحربي وقلة الخبرة مقارنة بالجنود والضباط والجنرالات اليهود الذين خدم بعضهم في الحرب العالمية الثانية وجاء بعضهم من جيوش بلادهم الأصلية وخاصة روسيا.

تحدث دافيد بن غوريون في مذكراته عن وصول 6400 عسكري من رتب مختلفة في شهر واحد فقط (من 12 أيار/ مايو إلى 12 حزيران/ يونية 1948) «هرولوا إلى إسرائيل قادمين من إنكلترا وفرنسا وإيطاليا وبلغاريا وغيرها». **(العروش.. ص. 179)**

في حين كان الحاج أمين الحسيني يشكو قائلاً: «كان علينا أن نحمل السلاح... وما من سلاح». هكذا دخل العرب الحرب لتحرير فلسطين بعد استبعاد المقاتلين الفلسطينيين ومتطوعي جيش الانقاذ بحجّة «حقن دمائهم!»

قال الحاج أمين الحسيني: «روى لي أحد رجال الدين المسيحي المحترمين أنه سمع من سيادة المونسنيور وكيل بطريرك اللاتين في فلسطين أنّ جلوب بعث ببرقية تهنئة لقائد الجيش اليهودي على احتلاله اللد والرملة. ولما صادفه المونسنيورالمذكور وعاتبه على برقيته، أجابه غلوب بقوله: هذه هي السياسة». **(حقائق.. ص. 66)**

يقول الحاج أمين كذلك إنّ الدول العربية قد اتخذت سلسلة إجراءات قبل دخول جيوشها إلى فلسطين. منها: **(راجع حقائق.. ص. 403)**

1 ـ قطعت المساعدات المالية التي قررتها في مؤتمر بلودان عام 1946...

2 ـ وضعت الجامعة العربية يدها على الأموال التي تبرّعت بها الشعوب العربية لمعركة فلسطين.. بحجة تنسيق أعمال الجهاد...

3 ـ أوقفت اللجنة العسكرية التي كان يُشرف عليها الفريق طه باشا الهاشمي توزيع الأسلحة... (راجع الحوارالذي دار في دمشق بين الهاشمي والحاج أمين من جهة، وعبد القادرالحسيني الذي طلب السلاح ولم يحصل عليه من جهة ثانية، قبيل استشهاد الأخيربيومين.) (حقائق، ص.404 ـ 405)، حيث يعلق الحاج أمين على حوار له مشابه مع الهاشمي بالقول: «ولا شك في أنّ موقف الفريق طه كان نتيجة للضغط البريطاني»). **(حقائق، ص. 359)**

4 ـ صادرت اللجنة العسكرية الأسلحة الوفيرة التي دفع ثمنها أهل بيروت عام 1947 لتسليح المجاهدين الذين كانوا تحت قيادة الشهيدين عبد القادر الحسيني وحسن سلامة...

ثمّ يعلق على ذلك كله بالقول:

«ولو لم تنخدع بعض الجهات الرسميّة العربية بوعود المستعمرين وتعمل بوحيهم، ولم تقم عراقيل في سبيل جهاد الفلسطينيين ودفاعهم عن بلادهم، ولم تبذل مساعٍ للتضييق عليهم ومنع السلاح والأموال عنهم.. لما قام لليهود هذا الكيان العدواني في فلسطين الذي أصبح بلاء عظيماً وشرّاً مستطيراً على الأمة العربية». **(حقائق، ص. 354)**

هكذا، عن طريق الضغط السياسي والغدر والخداع، بل وبما يمكن أن نسمّيه دون مواربة بالخيانة، تمّ قلب الأوضاع وهدم الركن الأساسي في خطة دفاع الفلسطينيين عن فلسطين. (علاوة على ما تمت الإشارة إليه سابقاً حول شروط الملك عبد الله من سحب لجيش

الإنقاذ، وكفّ يد الهيئة العربية العليا(والفلسطينيين)، ومن ثمّ توقيع الهدنة الأولى مع العدو في 11 يونيو/ حزيران سنة 1948. ـ والهدنة الثانية في 19 يوليو / تموز 1948).

لقد لخص دافيد بن غوريون تصوراته حول القيادة السياسية العربية فقال: «إن الزعماء العرب سوف يبدأون الحرب ضدنا من موقف معلن واحد، بين أطرافه من يعادينا بكراهية لنا، وبينهم من يتظاهر بعدائنا مسايرة لآخرين: منافسين من الملوك، أو جماهير من الشعوب.

هذه هي المرحلة الأولى وفيها سوف نرى كلّ الزعماء العرب حلفاء لبعضهم البعض. سوف تجيء بعد ذلك مرحلة ثانية يظهر فيها التناقض بين الزعماء العرب، وكذلك ينفضّ تحالفهم، وبالتدريج سوف يصبح بعضهم أعداء للبعض الآخر. وحين يحدث ذلك فسوف تجيء مرحلة ثالثة يصبح فيها بعض الزعماء العرب موضوعيّاً وعمليّاً حلفاء لنا».

(أزمة العروش.. ص. 19 ـ 20)

لقد قال الملك عبد الله لزهيرعسيران، مراسل جريدة المصري آنذاك:

«هل تريدني أن أقاتل أبناء عمومتي اليهود»؟

(السفير، العدد 12007 ـ السبت 8 تشرين الأول 2011، ص. 19)

غير أن رئيس وزراء أبناء عمومته لم يتحرّج عن وصفه بالفأر، عندما قال: «لا أريد أن أعقد اتفاقا مع فأر لكيّ أطمئنه..!» وكان التعبير ـ على حدّ قول محمد حسنين هيكل ـ قاسياً على الملك عبد الله خصوصاً وقد أبدى أقصى ما يستطيع من حسن النوايا. **(أزمة العروش.. ص. 54)**

كما أن بن غوريون هو الذي كان معروفاً عنه أنه لا يحترم الهدنة ولا قرارات مجلس الأمن، ولا المعاهدات والمواثيق، ويجاهر بالقول:

«لسنوات طويلة قادمة فإن حدود الدولة هي المسافة التي يستطيع أن يصل إليها السلاح الاسرائيلي».

(أزمة... ص. 175) (راجع نقض اليهود المستمر للهدنة في كتاب «أزمة العروش..» ص. 37 و151 وغيرها.).

ذكر عصام عبد الرحمن (ص. 53) نقلاً عن الباحث البريطاني يوجين روجر (المحاضر في جامعة أوكسفورد في التاريخ المعاصر للشرق الأوسط) أن الملك عبد الله وافق على قرار تقسيم فلسطين بشرط ضم الأراضي العربية إلى إمارته في شرق الأردن. وأضاف الباحث البريطاني بأن عبد الله قابل سرّاً ممثلي الوكالة اليهودية ومن ضمنهم جولدا مائير...

كما وذكر عصام عبد الرحمن (ص. 23) أثناء الحديث عن حرب أكتوبر 1973، أن الملك حسين، حفيد الملك عبد الله، طار سرّاً إلى اسرائيل ليلة 25 سبتمبر/ايلول ليعلم جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل حينذاك بأن هناك هجوماً وشيكاً على إسرائيل... ولحسن حظ العرب أن جولدا مائير ومن خلفها الموساد لم يعيروا كلام الملك الأردني أي اهتمام «لأنهم كانوا يستبعدون أن يكون العرب هم أصحاب المبادرة في الحرب».

وهكذا نرى أنه في بداية حرب تحرير فلسطين سلم العرب قيادة جيوشهم في 15 أيار إلى ملك الأردن وغلوب باشا، وعندما تشكلت فيما بعد لجنة عربية لإنقاذ القدس سلم العرب رئاسة لجنة القدس إلى ملك المغرب، الصديق الدائم لإسرائيل، فماذا ينتظرون من نتائج؟! إن النتائج والنهايات تعتمد على البدايات وما يرافقها من تخطيط ونوايا...

في ذات مرّة، قال الرئيس الأمريكي نيكسون للسفراء العرب:

«إضغطوا علينا.. إضغطوا علينا حتى نتمكن من مساعدتكم!»

وقال بعد ذلك الرئيس الأمريكي كارتر: «لم أسمع زعيماً عربياً يحدثني عن فلسطين».

أمّا فوزي القاوقجي فقال قبل وفاته بشهرين: «لم يعرف التاريخ أرضاً غالية ومقدّسة، ضاعت بأرخص مما ضاعت به فلسطين».

(السفير، العدد 12007 ـ السبت 8 /10 / 2011)

وقال طه باشا الهاشمي في تصريح أدلى به إلى جريدة الزمان العراقية بتاريخ 29/ 7/ 1952:

«إنّ القوات العربية لم تحارب بالمعنى الصحيح حتى يُقال إنها خسرت الحرب وإن كانت النتيجة بعد القتال أنّ اليهود نجحوا في تأسيس دولتهم فإنّ مردّ ذلك في نظري إلى أسباب سياسية لا لأسباب عسكرية».

هذا، ولا يمكن ختام هذا الجزء دون التذكير بمأثرة الشريف حسين أمير مكة في تسهيل تسليم فلسطين إلى الصهاينة، عندما انتدب ابنه الثالث فيصل الأول (1883 ـ 1933) لينوب عنه ويمثله في مؤتمر باريس للسلام (1919)، حيث وقع هناك الأمير فيصل ممثل المملكة العربية الحجازية مع حاييم وايزمن رئيس المنظمة الصهيونية العالمية «اتفاقية فيصل ـ وايزمن» التي منح(فيصل) بموجبها اليهود تسهيلات لإنشاء وطنهم في فلسطين وأقرّ بوعد بلفور وفقاً لما جاء في البند الثالث من نص الاتفاقية حيث تعهد بـ:

«... تقديم أوفى الضمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية المؤرخ في اليوم الثاني من شهر نوفمبر سنة 1917».

I will afford the fullest guarantee for carrying into effect the British Government Declaration of the 2nd of November, 1917.

وذلك بعد أن رفض الخليفة العثماني عبد الحميد هذا الفعل المشين برغم كل الإغراءات التي عُرضت عليه.

(ولمن لا يعرف؛ فإن فيصل هو شقيق عبد الله «ملك» الأردن، وقد كافأه البريطانيون بتعيينه ملكاً على العراق في عام 1921 قبل أن يعودوا فيقتلوه بسمّ الزرنيخ في سنة 1933).

وكان البريطاني توماس لورنس المشهور باسم لورنس العرب (1888 ـ 1935) قد قال من قبل مبرّراً عدم الوفاء بالعهود:

«الربح مع الاخلال بالعهد أفضل من الخسارة».

وهو الذي وصف الثورة العربية التي أطلقها الشريف حسين في شهر يونيو/ حزيران 1916 إبّان الحرب العالمية الأولى ضد الدولة العثمانية، بقوله: «إنها مفيدة لنا لأنها تتماهى مع أهدافنا الحالية وهي تفتيت التكتل

الإسلامي وهزيمة وتقسيم المملكة العثمانية، ولأن الدول التي سوف يقيمها الشريف حسين للحلول مكان الأتراك لن تكون مؤذية لنا. والعرب هم أقلّ ثباتاً من الأتراك وإذا ما تعاملنا معهم بعناية فسوف يبقون في حالة موزاييك سياسي ونسيج من الامارات الصغيرة التي تغار من بعضها البعض وغير القادرة على التماسك».

فهل يقرأ أصحاب القرار من العرب ويعون ما يقرأون، ثمّ يتعظون؟!

أخيراً، أشير إلى أننا كثيراً ما نشاهد على الجدران رسماً للصخرة في القدس ذُيّل بعبارة:

«فتحها عمر وحرّرها صلاح الدين»، غير أنه ينبغي إضافة: «وسلّمها. . . .» (إلى الصهاينة دون قتال في عام 1967..). فتكتمل العبارة!

وأشير إلى أن «تزويد إسرائيل بالنفط العربي استمر حتى بعد انتهاء حرب فلسطين وإلى سنة 1953.».!! **(العروش.. ص. 161)**

دور بريطانيا

في عام 1838 فتحت بريطانيا قنصلية لها في القدس، وكانت هذه القنصلية ترعى شؤون اليهود في فلسطين. وفي رسالة وجهها بالمرستون رئيس الوزراء البريطاني آنذاك إلى سفيره في اسطنبول شرح فيها المنافع السياسية والمادية التي تعود على السلطان العثماني من جرّاء تشجيع الهجرة الصهيونية إلى فلسطين. **(الزبيدي ـ ص. 16)**

وفي عام 1916 عقدت بريطانيا مع فرنسا معاهدة «سايكس ـ بيكو» السّريّة التي اتفقت الدولتان بموجبها على اقتسام النفوذ في البلاد العربية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، خلافاً للوعود بالاستقلال في حال ساعد العرب الحلفاء ضدّ العثمانيين (تم تشريع الانتداب في مؤتمر سان ريمو في إيطاليا عام 1920). أما العرب فقد ساعدوا الحلفاء فعلاً، وأما الحلفاء فقد نكثوا بالوعد وكذبوا في حين انهم يعتبرون الكذب في بلادهم من الكبائر!

ففي اليوم الثاني من شهرنوفمبر/ تشرين الثاني عام 1917 أصدر وزيرخارجية بريطانيا يومئذ آرثربلفور وعد حكومته (حكومة للويد جورج) بتأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. وفي ما يلي نصّ تصريح بَلفور:

«إنّ حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يُفهم جليّاً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضير بالحقوق المدنية والدينيّة التي تتمتع فيها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا بالحقوق أو بالوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الأخرى».

تجدر الاشارة إلى أن روتشيلد هو الذي صاغ بنفسه وعد بلفور، ففي 18 تموز 1917 كتب اللورد روتشيلد - عميد الفرع الإنكليزي لأسرة روتشيلد - الرسالة التالية إلى بلفور:

ها أنذا أرسل إليك أخيراً نص البيان الذي طلبته مني. فإذا تلقيت رسالة مكتوبة من قبل حكومة صاحب الجلالة تعلمني فيها الحكومة وأنتم شخصياً بتحبيذكم لهذا البيان فإنني سأقوم بإبلاغ ذلك إلى (الاتحاد الصهيوني) في اجتماع خاص سوف يدعى إليه لهذا الغرض خصيصاً... (أما النص المذكور فهو الذي أصبح فيما بعد وعد بلفور - راجع كتاب أحجار..، ص. 159).

وكان اليهودي يعقوب شيف ممثل مؤسسة (كوهين - لوب) في نيويورك قد أرسل رسالة إلى أحد زعماء الصهيونيين المدعو فريدمان في شهر أيلول 1917، جاء فيها:

«إنني أعتقد الآن جازماً أنه أصبح أمراً ممكن التحقيق تأمين مساندة بريطانيا وأمريكا وفرنسا لنا في كلّ الظروف للبدء بهجرة مستمرة واسعة النطاق لشعبنا إلى فلسطين ليستقر فيها. وسيكون من الممكن فيما بعد الحصول على ضمانة من الدول الكبرى لاستقلال شعبنا وذلك حينما يبلغ عددنا في فلسطين مقداراً كافياً لتبرير مثل هذا الطلب». **(أحجار، ص. 160)**

يعلق المؤلف وليم كار (ضابط في المخابرات الكندية والأمريكية) على هذه الرسالة بالقول: «نعتقد أن هذه الحقائق كافية لكشف الستار عن ماهية القوى الخفية التي تتحكم في مصائر الشعوب من وراء الستار وللبرهان على أن الصهيونية ليست ظاهرة عفوية عارضة بل هي وليدة مخطط طويل الأمد.. كوّنه المحفل الذي يوجه المرابين العالميين اليهود والذي يهدف إلى السيطرة على العالم بأسره...

أما في شهر أيلول/ سبتمبرسنة 1918 فقد أتمّت بريطانيا احتلال فلسطين بعد هزيمة الجيوش العثمانية بمساعدة العرب، وأقامت فيها حكماً عسكريّاً موقتاً. ومنذ ذلك الوقت شرع عرب فلسطين في سلسلة من الجهاد والنضال يمكن مراجعتها والاطلاع عليها في الجزء اللاحق بعنوان «استبسال الفلسطينيين واستبعادهم».

لقد حاول الصهاينة عبثاً «شراء» فلسطين من السلطان عبد الحميد... والفلسطينيين. لكنهم لم يجدوا مَن «يبيعهم» فلسطين سوى البريطانيين والأمريكيين. ففي عام 1917 صدر وعد بلفور، وفي كانون الثاني 1920 خطب الوزير البريطاني اليهودي هربرت صموئيل لدى تعيينه مفوّضاً سامياً في فلسطين قائلاً:

«أنا ذاهب إلى فلسطين لتنفيذ الأوامرالمتعلقة بتحقيق مشاريع دولتي الرامية إلى إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين». **(حقائق، ص. 30)**

حيث كان في فلسطين في تلك السنة خمسون ألف يهوديٍّ مقابل مليون عربي تقريباً.

عقب وعد بلفور، وتدفق المهاجرين اليهود إلى فلسطين، وانكشاف خطة الصهاينة لطرد الفلسطينيين من أرضهم، قال موسى كاظم الحسيني (والد المجاهد عبد القادر الحسيني) في عام 1922: «ما يُعمَل الآن سيعني إفناء العرب الفلسطينيين عاجلاً أم آجلاً، فالصهاينة قادمون لخنقهم».

(كتاب تفتيت الشرق الأوسط، ص. 161)

في ذلك العام نفسه (1922) قال تشرشل: «إنّ عودة اليهود إلى فلسطين التي يريدون أن يجعلوا منها وطناً قومياً لهم جديرة بالإهتمام والإحترام. هذه العودة هي حق لهم وليس منحة يُمنحونها».

(حقائق، ص. 52)

وعندما ساعد تشرشل اليهود في تأليف «الفيلق اليهودي» إبّان الحرب العالمية الثانية (في عام 1943) اعترض المرشال ويفل على ذلك فتحدّاه تشرشل وسمح بتأليف الفيلق الذي عاد بعد الحرب مع أسلحته إلى فلسطين... قال تشرشل لاحقاً في مذكّراته ما نصّه: «لقد نصحني ويفل بعدم تشكيل ذلك الفيلق اليهودي خوفاً من إثارة شعورالعرب. ولكني تحديت ويفل، وكتبت إلى الدكتور وايزمن بالسماح بتشكيل الفيلق، ولم يتحرّك كلب عربي واحد بالإحتجاج على ذلك». (!)

وكان تشرشل قد صرّح في عام 1954 بارتباطه المبكر بالصهيونية منذ مطلع حياته، وأعلن مراراً أنه يعتبر نفسه صهيونياً أصيلاً، وأنه يصلي بحرارة لأجل تحقيق أماني الصهيونية العظيمة.

(احجار على رقعة الشطرنج ـ ص. 208، وص. 220)

لقد حاول هربرت صموئيل المستحيل، منذ وصوله إلى فلسطين (1920)، كي يربح عطف المسيحيين ولكن دون نتيجة.

(حقائق، ص. 50)

... وكان الانكليزقد لجأوا إلى وسائل مجرّدة عن كلّ خلق لإيقاف ثورة (36 ـ 38) فحاولوا إيجاد فرقة بين العرب من مسلمين ومسيحيين بأن دفعوا عملاءهم لتوزيع منشورات لهذا الغرض يهاجمون فيها المسيحيين، وعمدوا إلى عدّة جرائم قتل ليبرروا هذه الحملة... كانوا يسهّلون فرارعتاة المجرمين من السجون ويسلحونهم ويدفعون لهم الرواتب ليقوموا بنشاطاتهم الإجرامية في الأمكنة التي يكثر فيها المسيحيون وخاصة في جبال رام الله، ومنطقة القدس...

يومها، كلف الحاج أمين المجاهد عبد القادرالحسيني بتعقب هؤلاء

المجرمين والقضاء عليهم ففعل... أخذ منهم أسلابهم وأعادها لأصحابها، وشكّل محكمة عسكرية كي تقرّرمصيرمن بقي منهم حيّاً...

(راجع حقائق، الصفحات 110 ـ 112)

كما أنه عندما تألفت في عام 1946 (10 ك1) لجنة أنكلو أميركية لدعم تهويد فلسطين اعترفت صراحة «أن المسيحيين العرب في فلسطين من مختلف الطوائف البالغ عددهم 125 ألف نسمة متضامنون تضامناً تاماً مع المسلمين العرب في المطالبة بدولة عربية مستقلة».

وفي هذا السياق، أذكر أنه عندما اندلعت حرب 1967 بين العرب والصهاينة سارع المتطوعون من كلّ البلاد العربية إلى المشاركة في تلك الحرب، وكان من بينهم إبن جارنا المسيحي دون أن يكون إبني ـ مثلاً ـ معهم. غير أن أولئك المتطوعين عندما وصلوا سوريا كانت الحرب قد انتهت!

أما المندوب السامي هربرت صموئيل الذي استمرت فترة عمله في فلسطين نحو خمس سنوات (1920 ـ 1925) فكان أول يهودي يحكم فلسطين، وكان ابنه أودوين عضواً في الفيلق اليهودي الذي تمّ تأسيسه خلال الحرب العالمية الثانية والذي شكل نواة الجيش الاسرائيلي فيما بعد. وكان أول ما فعله صموئيل عند مباشرة عمله هناك تعيين أحد غلاة الصهيونيين (نورمان بنتويتش) نائباً عاماً يتولى وضع القوانين والأنظمة التي تسيّر البلاد.

كما عيّن يهوديين في منصبي المدير العام للمهاجرة والسفر، والتجارة، ثم أضاف إليهما ثالثاً هو مدير المساحة. وأعلن اللغة العبرية لغة رسمية إلى جانب العربية والانكليزية. وقد ترك الوكالة اليهودية تستقل بإدارة معارف اليهود ومدارسهم، في حين جُعلت إدارة المعارف العربية بيد الانكليز. وكتب على النقود والطوابع بالعبرية «أرض اسرائيل» إلى جانب كلمة فلسطين بالعربية والانكليزية. وبدأت عمليات انتقال الأراضي إلى أيدي اليهود، وخصوصاً أراضي الدولة.

كما وأقفلت حكومة الانتداب المصرف الزراعي (العربي)، وحجزت

أراضي الفلاحين ومواشيهم بحجة تسديد القروض، وراحت ترهق المواطنين بزيادة الضرائب ما يضطرهم إلى بيع أراضيهم أو جزء منها لدفع الضرائب، أو لتأمين معيشتهم. وهناك تفاصيل أخرى يمكن مراجعتها في الوثائق والكتب المعنية بتاريخ فلسطين الحديث مثل كتاب مؤسسة الدراسات الفلسطينية «فلسطين، تاريخها وقضيتها» على سبيل المثال لا الحصر.

تجدر الإشارة إلى أنّ حزب العمّال البريطاني عقد في ديسمبر/ كانون أوّل 1944 مؤتمراً اتخذ بموجبه قراراً بالإجماع «**بتحويل فلسطين إلى دولة يهودية، وإخراج سكانها العرب منها إلى الأقطارالمجاورة**».

لقد بلغ عدد الذين دربهم الإنكليز وجندوهم في الجيش البريطاني (1943 ـ 1944) 33 ألفاً، عدا العاملين في البوليس.. والهاجانا وغيرها... واشترت الوكالة اليهودية من مخلفات الجيش البريطاني في الشرق الأوسط ما قيمته خمسة ملايين جنيه معدات وأسلحة مختلفة وأجهزة للأرصاد و24 طائرة للتدريب. أما نواة قوة الطيران اليهودية فكانت 50 طيّاراً يهوديّاً كانوا في عداد فرقة سلاح الجوّ الملكي البريطاني في فلسطين.

(حقائق، ص. 348)

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية كانت قيادة القوات المسلحة البريطانية المعسكرة في قناة السويس تسرّح الجنود اليهود.. وترسلهم إلى فلسطين لينضموا إلى القوات اليهودية هناك...

«بدليل ما حصلنا عليه من وثائق تثبت أنّ الإنكليز أرسلوا 700 جندي مسرّح من جيشهم إلى فلسطين على أربع دفعات ما بين الخامس والثامن من شهركانون الأول / ديسمبر1947، (علاوة على الفيلق اليهودي الذي تمت الإشارة إليه سابقاً)، وهذا غيض من فيض..». لقد قدّرالمستراِتلي رئيس الوزارة البريطانية (1946) قوّات اليهود المسلحة بما لا يقل عن 70 ألفاً، وأن لديهم ذخائر وأعتدة ووسائل حربية حديثة بمقادير عظيمة.

(حقائق، ص. 347)

«... كان الإنكليز يتدخلون في كل معركة يفوزبها العرب (تقريباً)

لحماية اليهود ومنع العرب من الإستيلاء على ممتلكاتهم ومستعمراتهم، بحجة أنهم لا يزالون أصحاب السلطة المسؤولين في فلسطين عن حماية أرواح السكان وممتلكاتهم، غير أنهم لا يتذرعون بهذه الحجة عندما تكون أرواح العرب وممتلكاتهم عرضة للهلاك والدمار». **(حقائق: 351 و394)**

غير أنّ الإنصاف يدعونا إلى القول إنّ الإنكليز أخذتهم الشفقة وهم يشاهدون نزوح العرب من ميناء حيفا إلى المجهول فسهلوا خروجهم عندذاك وحموهم!!

«.. وفي بداية شهر مارس / آذار1948 شرع الإنكليز بالإنسحاب من المناطق اليهودية متخلين عن إدارتها لليهود. وسرعان ما بادرت الوكالة اليهودية بوضع اليد على تلك المناطق متخذة لنفسها صفة «حكومة يهودية» وجعلت تتصرّف فيها تصرفاً مطلقاً..». **(حقائق، ص. 384)**

وظلت بريطانيا ـ حتى آخر يوم لها في فلسطين ـ تسهل وصول الامدادات إلى العدو، حيث رصدت الطائرات المصرية في يوم 15/ 5/ 1948، 20 سفينة مرّة واحدة وهي تفرغ حمولتها من الرجال والعتاد في ميناء تلّ أبيب. **(العروش.. ص. 129)**

يقول الحاج أمين «ما انفكّ الإنكليز ـ منذ احتلالهم لفلسطين ـ يساعدون اليهود بمختلف الوسائل على التسلح والتدرب والتنظيم العسكري، في الحين الذي كانوا يحرّمون فيه جميع ذلك على عرب فلسطين، بل يحكمون بالإعدام على مَن يحوز أيّ من السلاح أو العتاد، حتى أنّ وزير المستعمرات البريطانية مستر كريتش جونز اعترف في تصريح له في مجلس العموم البريطاني أنّ «الذين حكمت عليهم المحاكم العسكرية البريطانية بالإعدام شنقاً من العرب لحيازتهم أسلحة أو ذخيرة كانوا 148 شخصاً... ولمّا سقط في أيدي اليهود والإنكليز معاً.. عمدوا إلى أساليب أخرى كان سلاحهم فيها الخداع والدهاء، وقد سخروا فيها أنصارهم وأذنابهم خارج فلسطين لتنفيذ خططهم الخطيرة بوسائلهم الشيطانية» (كالوعود الكاذبة، والضغط على الحكّام العرب، وإبعاد الفلسطينيين عن ميدان القتال، وفرض

غلوب باشا البريطاني رئيساً للجيوش العربية التي دخلت لتحرير فلسطين... إلخ).

في العاشر من شهر إبريل/ نيسان 1948، كتب ألبرت أينشتاين إلى النيويورك تايمزرسالة جاء فيها: «عندما تحلّ بنا في فلسطين كارثة، فإنّ أوّل من يتحمّل مسؤولية ذلك هم البريطانيون. يليهم المنظمات الإرهابية التي نشأت من صفوفنا (جنسنا). أنا لا أرغب في رؤية أحد يرتبط بأولئك المجرمين الضالين». وفي الرابع من ديسمبر/ ك1، 1948 نشرت الصحيفة نفسها رسالة وقعها (31 يهودياً من بينهم أينشتاين) يستنكرون فيها زيارة «الإرهابي» مناحيم بيغن «رئيس المنظمة الإرهابية الفاشيّة إرغون زفاي ليومي» إلى نيويورك، عقب تفجيرفندق الملك داود في القدس، وعقب مذبحة قرية دير ياسين المسالمة (في 9/ 4/ 1948) التي ذهب ضحيتها 240 قتيلاً. هذا، وقد جاء في الرسالة العبارة التالية: (وبدل أن يخجلوا من فعلتهم راحوا يتفاخرون بالمذبحة).

كما وتجدر الإشارة إلى أنه بعد صدور وعد بلفور تعالت في بريطانيا أصوات قليلة تعلن عدم موافقتها على تهجيرالفلسطينيين. من هؤلاء اليهودي «لوسيان وولف» من الجمعية الإنكليزية ـ اليهودية الذي قال لـ وايزمن بأن عرب فلسطين هم عبارة عن «سلالة مسلمة من الكنعانيين المحليين، ولذا فهم في وطنهم الحق، والذي هو ـ مهما كانوا عاجزين ـ ملكهم هم».

(تفتيت الشرق الأوسط، ص. 160)

وبعد أكثر من خمسين سنة قال عضو البرلمان البريطاني المؤيد لحق الفلسطينيين في أرضهم ووطنهم، جورج غالاوي: المسلمون عبر التاريخ احتضنوا اليهود ولم يسيئوا إليهم لكنّ الغرب دفّع عرب فلسطين ثمن المحرقة التي قام هو بها في أوروبا. وقال العلامّة هنري هينة:

«إنّ مئة سنة من الاغتصاب لا تكوّن سنة شرعية». ونقول بأنّ الصهاينة يعرفون قبل غيرهم أنّ مئات السنين من الاحتلال لا تعطيهم شرعية اغتصاب أراضي وبلدان غيرهم.

دور أمريكا

في عام 1916 أعلن الزعيم اليهودي القاضي برانديز، مستشار الرئيس ولسون للشؤون اليهودية «إنّ القصد من طلب اليهود تسهيل الهجرة إلى فلسطين أن يصبح اليهود أكثرية السكان فيها، وأن يرحّل العرب عنها إلى الصحراء». وكتب اليهودي بن آفي في عام 1921 «إنّ على اليهود أن يطهروا وطنهم (فلسطين) من الغاصبين(!)، وإنّ أمام المسلمين الصحراء والحجاز، وأمام المسيحيين لبنان، فليرحلوا إلى تلك الأقطار». وبعد صدور وعد بلفور تمّ الإعلان عن «موافقة الرئيس ولسون والحكومة الأمريكية على نص تصريح بلفور». وفي عام 1942 أعلن الرئيس روزفلت وغيره من رجال السياسة الأمريكيين علاوة على الصحافة الأمريكية تأييدهم لقرار «تحويل فلسطين إلى دولة يهودية وإجلاء سكانها العرب..».

بعد تسلم ترومان مركز رئاسة الجمهورية خلفاً لروزفلت أصبحت سياسة أمريكا أشدّ إمعاناً في الظلم وإيغالاً في تأييد الصهيونية... حيث سارع ترومان فطالب بريطانيا بإدخال 100 ألف يهودي دفعة واحدة إلى فلسطين، وفتح أبواب فلسطين لاحقاً للهجرة اليهودية دون قيد أو شرط.. كذلك قدمت أكثرية أعضاء مجلس النواب والشيوخ في 2 يوليو/ تموز 1945 طلباً بإنشاء دولة يهودية في فلسطين...

ذكر وايزمن في مذكراته أنّ الأمريكيين كانوا ملكيين أكثر من الملك في تأييدهم لليهود، حيث وافق وايزمن على تقسيم أراضي النقب بين العرب واليهود... لكن ترومان أصدر تعليماته بأن يكون النقب كله من نصيب اليهود، وذلك في أثناء مناقشة مشروع التقسيم في عام 1947، حيث برز يومها دفاع أمريكا عن ذلك المشروع وضغطها مع البريطانيين على كثير من الوفود لتأييد قرارالتقسيم في 29 نوفمبر/ تشرين الثاني 1947... وما زال الضغط مستمراً حتى اليوم... وما زال حق النقض (الفيتو) الأمريكي يلعلع كلما رمى أحدٌ إسرائيل بزهرة... أو في كلّ مرّة يتعرّض فيها الصهاينة للإدانة...

قال وزير الخارجية البريطاني إرنست بيفن: «.. ولو تُرك الأمر لهم في واشنطن لأعطوا لليهود كلّ فلسطين.». (أزمة العروش.. ص. 38)

وقال كمال الدين صلاح أن الوزير المفوّض البريطاني ذكر له أثناء لقاء بينهما بأن بريطانيا «بذلت كلّ جهد لإفهام أمريكا بصراحة تامّة النتائج التي سيؤدي إليها مشروع التقسيم وأن العرب سيقاومونه بكل قواهم، ولكن أمريكا لم تستمع إلينا وأصغت إلى اليهود الذين خدعوها وأكدوا لها أن العرب لن يقاوموا مقاومة جدية، وأنهم سيصيحون ويحتجّون أول الأمر ثمّ لن يلبثوا أن يرضوا بالأمر الواقع..». (العروش، ص. 73)

وفي سبتمبر 1948، في الدورة غير العادية للجمعية العامة للأمم المتحدة (ومجلس الأمن معها) المنعقدة في باريس، حرص أعضاء الوفد الأمريكي على مقابلة رؤساء الوفود العربية وإبلاغهم رسالة واحدة مؤداها:

ـ إن إسرائيل أمر واقع، ولا فائدة ترجى من أي محاولة عربية لإعادة عجلة الزمن إلى الوراء.

ـ من الأفضل لكلّ دولة عربية معنيّة بالأمر أن تتصل وتتفاوض مباشرة مع الحكومة الاسرائيلية وتصل معها إلى حلّ يرضي الأطراف... فإذا فشل الأطراف المعنيين في الوصول إلى حلّ فسوف تقوم الولايات المتحدة بالتعاون مع الحكومة البريطانية.. بإملاء حلّ يكون على جميع الأطراف قبوله، «ومثل هذا الحلّ المفروض من الخارج ليس أفضل للعرب من حلول يتوصلون إليها مع إسرائيل.».! (أزمة العروش.. ص. 40)

مثل هذا الإذلال والتجبّر والإنحياز إلى إسرائيل على حساب العرب ما زال ساري المفعول حتى اليوم!

نشيرفي هذا السياق أيضاً إلى ما يعرفه الجميع عن المساعدات الأمريكية للصهاينة إن من حيث التبرعات بالأموال، أو المعدات الحربية والأسلحة (والمتطوعين أحياناً)، أو التأييد السياسي، علاوة على تسخير الصحف ومحطات الإذاعة (والتلفاز) للدعاية لهم. فمنذ مارس 1947 أنزلت باخرة أمريكية إسمها السهم الطائر ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ في ميناء

حيفا 54 دبابة تحت ستار «جرارات زراعية»! وهناك مليارات الدولارات التي تُدفع سنوياً لإسرائيل على سبيل الهبة. فلقد أعلن مسترأندرسون، وكيل وزارة التجارة في حكومة الرئيس آيزنهاور في 15 مارس / آذار1953، أنّ حكومة الولايات المتحدة وشعبها قدما ليهود فلسطين في المدة الواقعة بين سنتي 1948 ـ 1952 نحو ألف مليون دولار (بليون دولار) هبات وعطايا وقروضاً. وقُدّرت المبالغ التي استلمتها اسرائيل منذ عام 1949 إلى عام 2005 من الادارات الامريكية المتتابعة بنحو 105 مليارات دولار. «وهناك تقديرات أعلى». (تفتيت الشرق الاوسط، جيرمي سولت ـ ص. 445).

وفي 29 مارس / آذار 1953 أعلن رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي «أنّ الولايات المتحدة الأمريكية تعتبرالدولة اليهودية القاعدة الأساسية للشؤون العسكرية والإقتصادية والديمقراطية في الشرق الأوسط». هذا، وكانت الولايات المتحدة قد تجاوزت في مساعداتها لليهود نطاقها الداخلي إلى الحيز الدولي... فحملت حكومة ألمانيا الغربية على القبول بدفع تعويضات مالية عظيمة لليهود.. (وراحت تغدق السلاح إغداقاً على إسرائيل وتزودها بأحدث الأسلحة) فيما هي تمنع السلاح عن البلاد العربية. وفي عام 1998 بلغت المساعدة السنوية الرسمية من الولايات المتحدة لإسرائيل ملياراً و800 مليون دولار، علاوة على التبرعات الأخرى والقروض التي يتم التنازل عنها»، وإضافة إلى الاحترام والتعاطف من قبل الصحافيين الذين يرتجفون رعباً من فكرة توجيه النقد «لإسرائيل» كي لا يُتهموا بالعداء للساميّة» ـ على حدّ قول روبرت فيسك. (السفير، 1998).

وفي 2 فبراير/ شباط 1954، صرّح المستر بايرود، مساعد وزير الخارجية الأمريكية «إنّ إسرائيل وُجدت هناك لتبقى، وإنّ أمريكا هنا لتؤمّن حياتها».

لاحقاً، عندما فاز جون كندي في انتخابات عام 1960 الرئاسية قابله ثلاثون من الزعماء اليهود، وقالوا له: «نعلم أنك في ورطة... نحن مستعدون لدفع فواتيرك إذا سمحت لنا بالتحكم بسياستك الشرق أوسطية». ولقد

اضطرإلى تلبية طلباتهم في كثيرمن التعيينات المتعلقة بهذا الشأن. (تفتيت الشرق الأوسط، ص. 233) لكن عندما اتفق مع الرئيس عبد الناصرعلى مشروع سلام في المنطقة يتضمن بنداً ينص على عودة مَن يرغب من اللاجئين إلى فلسطين، قاموا باغتياله.

بقي أن نشير إلى الخداع والكذب والنفاق الذي تبديه الادارات الامريكية في ما يتعلّق بحقوق الفلسطينيين واستنكارها لإقامة المستوطنات في الأراضي المحتلة فيما هي تموّل هذا الاستيطان وتحميه في المحافل الدولية، وتمنح إسرائيل الوقت الكافي لإقامة المستوطنات وقضم أراضي الضفة الغربية والقدس شبراً فشبرا. «فالولايات المتحدة تُسلّح اسرائيل وتحميها من اللوم والنقد في هيئة الأمم المتحدة، وتوفّر لها كميات هائلة من الأموال التي تحتاجها لتشديد قبضتها على الأراضي المحتلة... وبدون الدعم المالي الأمريكي ما كان باستطاعة اسرائيل تجاوز انهيار اقتصادها في الثمانينات، وما كان باستطاعتها الغزوَ والاحتلال، وما كان باستطاعتها الاستمرار في استيطان الأراضي المحتلة..». **(تفتيت.. ص. 445)**

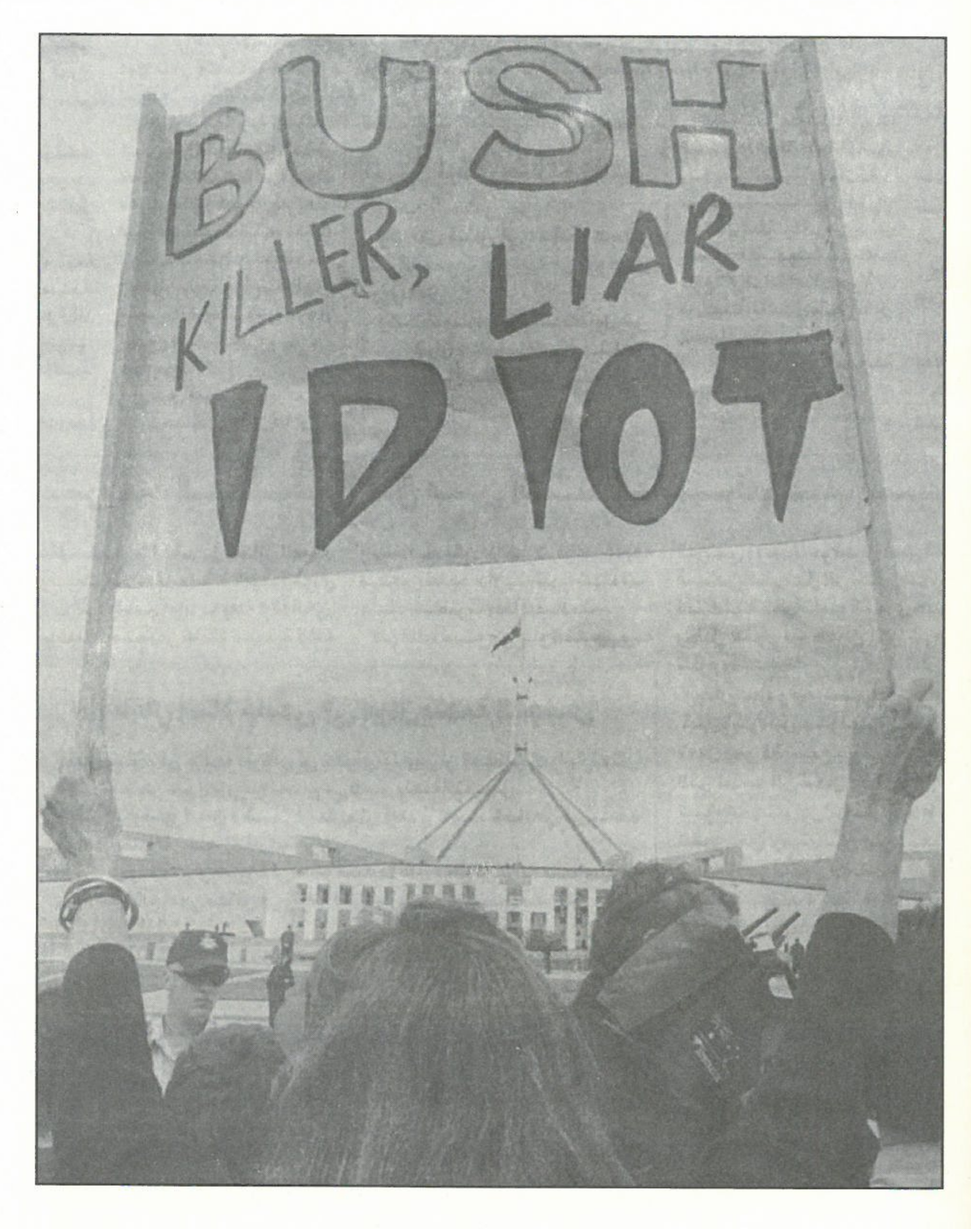
كما ونشرت في هذا الخصوص صحيفة هآرتس في أيلول 2013 مقالة جاء فيها:

«إنّ أمريكا لم تفعل شيئاً كي تدفع قدماً بالسلام في المنطقة، ولو أنها أرادت لأصبح موجوداً هنا، ولو أنها أرادت لانقضى الاحتلال الإسرائيلي منذ وقت..». **(البلد: السبت 14 أيلول 2013)**

وأختم بهذا المثال الرفيع (!) على الكذب والنفاق الأمريكي:

في عام 2005 قال الرئيس بوش (الإبن) أمام وفد فلسطيني: «أنا مُقاد برسالة من الله. يقول الله لي: جورج... إذهب وقاتل هؤلاء الارهابيين في أفغانستان. ففعلت ذلك. ثمّ يقول الله لي: جورج إذهب وانْهِ الطغيان في العراق. ففعلت. والآن مجدّداً أشعربأنّ كلمات الله آتية إليّ: إذهب واحصل للفلسطينيين على دولتهم، واحصل للاسرائيليين على أمنهم، وأقمْ السلام في الشرق الأوسط، وأقسم بالله أنني سأقوم بذلك». **(تفتيت، ص. 427)**

لقد أقسم بوش بالله، دون أن يطلب أحدٌ منه ذلك!!!



بوش قاتل.. كذاب.. غبي

دور روسيا

نكتفي بالقول في هذا المجال: إذا كان الغرب هو الذي دعم الكيان الغاصب عسكرياً ومادياً ومعنوياً وسياسياً وإعلامياً فإن روسيا هي التي أمدت ذلك الكيان بالرجال والضباط والمقاتلين وكبار السياسيين وأكثرهم تعصباً وقسوة وشراسة، علاوة على جمهور المهاجرين والدور المخابراتي المشبوه الذي سوف يتضح في يوم ما. ذلك أن معظم ساسة إسرائيل وضباطها ومقاتليها جاؤوا من الكتلة الشرقية التي تضم بولونيا (بولندا) وبلغاريا وهنغاريا وسائر دول الاتحاد السوفياتي وفي مقدمها روسيا. كما أن معظم المهاجرين إلى هذه الدولة المصطنعة هم من الكتلة الشرقية وعلى رأسها روسيا.

جاء على لسان الملك فاروق أنه كان على قناعة «بأن روسيا تقدم مساعدة مباشرة إلى إسرائيل. ومعلومات المخابرات التي عنده تقول إن هناك 80 ضابطاً روسياً في فلسطين». علاوة على الضباط اليهود الروس.

(أزمة.. ص. 183)

أضف إلى ذلك أن روسيا كانت ثاني دولة ـ بعد الولايات المتحدة الأمريكية ـ تسارع إلى الاعتراف بدولة إسرائيل حالما تم الاعلان عنها في عام 1948. كما أنّ «جميع زعماء الشيوعية الأوائل (الذين قادوا ثورة 17 أكتوبر 1917) وأقطابها المفكرين كانوا من اليهود، باستثناء لينين وبليخانوف فقط».

(وليم كار، ص. 144)

بيد أن زوجة لينين كانت يهودية، (وكذلك زوجة ستالين). أما كارل ماركس نفسه فكان ـ كما هو معروف ـ ألمانياً من أصل يهودي.

إستبسال الفلسطينيين... واستبعادهم

تنبه شعب فلسطين في وقت مبكر إلى مخططات الحركة الصهيونية وأطماعها في الاستيلاء على فلسطين، ففي سنة 1886 اصطدم الفلاحون الفلسطينيون بالغزاة الصهاينة في بتاح تكفا أول مستعمرة يهودية أنشأها الصهاينة في وسط فلسطين. وفي الرابع والعشرين من حزيران 1891 أرسل بعض متنفذي القدس برقية إلى الباب العالي يطالبونه فيها بإصدار فرمان يمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وشراء الأراضي فيها.

وفي سنة 1908 صدرت في حيفا جريدة الكرمل معلنة أن هدفها فضح الحركة الصهيونية وكشف أخطار الهجرة وشراء الأراضي. في تلك السنة سقط السلطان عبد الحميد وانتقلت السلطة إلى حزب الاتحاد والترقي الذي كان بعض أعضائه يعطفون على الحركة الصهيونية، فازداد نفوذ الصهاينة.

في سنة 1919 أسّس عرب فلسطين جمعيات إسلامية ـ مسيحية تولّت قيادة النضال الشعبي ضد الاستعمار وهجرة اليهود إلى فلسطين. وفي ما بين سنة 1919 وسنة 1928 عقد شعب فلسطين سبعة مؤتمرات عبّر فيها عن رفضه للغزو الاستعماري ـ الصهيوني...

ففي سنة 1920 كانت انتفاضة القدس، التي تلتها في سنة 1921 انتفاضة يافا. وفي صيف عام 1929 قام شعب فلسطين بانتفاضة كبيرة دامية عُرفت بثورة «البُراق». والبراق قسم من الحائط الغربي لساحة المسجد الاقصى، ويدّعي اليهود انه هو نفسه حائط المبكى المقدّس لديهم. وقف الانكليز ـ كما هو متوقع ـ إلى جانب اليهود، وبلغت حصيلة تلك الثورة مقتل (133) يهودياً وجرح نحو (339) شخصاً. أما العرب الذين قاتلوا اليهود

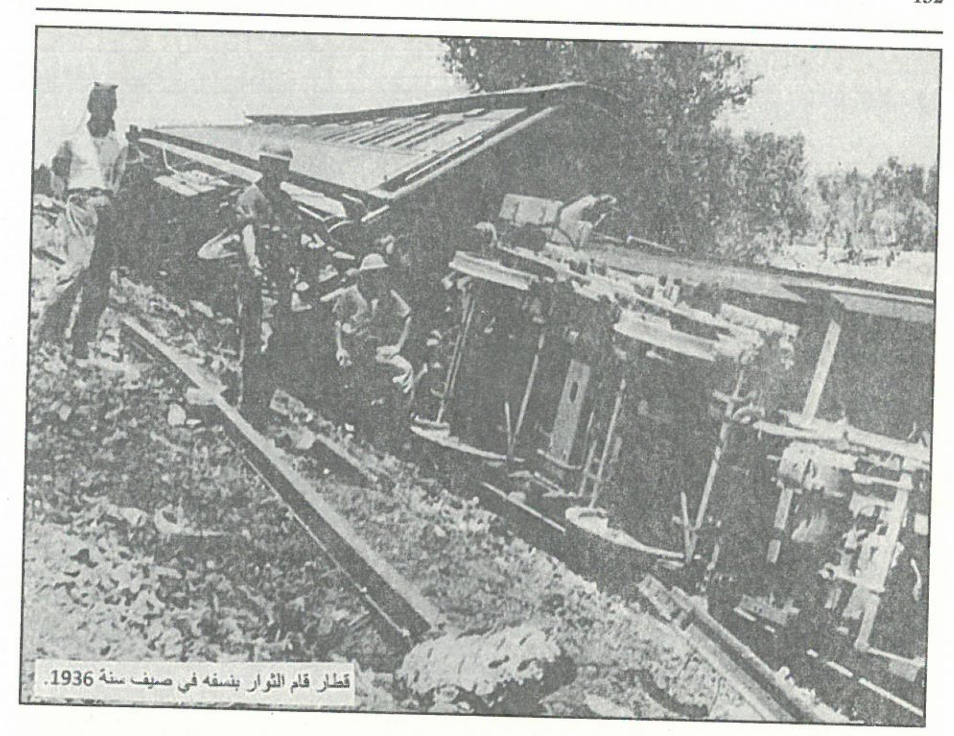
والانكليز معاً فبلغت خسائرهم (116) قتيلاً ونحو (232) جريحاً. كما وألقي القبض أثناء الاشتباكات على أكثر من ألف شخص كان نحو 90 % منهم عرباً، وصدرت خمسة أحكام إعدام ضد العرب تمّ تنفيذها جميعاً.

وفي سنة 1931 عُقد في نابلس مؤتمر لاستنكار تسليح اليهود بعد أن استرسلت حكومة الانتداب «في سياستها التهويدية، باستمرار فتح باب الهجرة، وانتقال الأراضي.. وغض الطرف عن تسلح اليهود. كما وزعت هي كميات من البنادق على المستعمرات، بحجة استعمالها للدفاع، وأخذت تمرّن سكانها على استعمالها». وفي سنة 1935 قام المناضل الشيخ عزّ الدين القسّام بانتفاضة مسلحة ضد الوجود البريطاني ـ الصهيوني وبخاصة بعد تزايد أفواج المهاجرين اليهود إلى فلسطين. بعد ذلك أعلن الفلسطينيون الاضراب العام حتى توافق بريطانيا على وقف الهجرة اليهودية ومنح فلسطين الاستقلال. ثم جاءت ثورة 1936 التي أسهم العرب في إجهاضها بدلاً من تأييدها. إذ تألفت في 20 نيسان (إبريل) 1936 لجان قومية في مدينة نابلس أولاً ثم في مدن حيفا ويافا وغزة.. وأعلنت الاضراب العام في البلاد كلها، مطالبة القيادات التقليدية تناسي الأحقاد والضغينة لمجابهة الخطر الصهيوني. وقد استمر ذلك الاضراب ستة أشهر كاملة، وكان من أطول وأعظم الاضرابات في التاريخ. وفي 25 نيسان تألفت اللجنة العربية العليا برئاسة المفتي محمد أمين الحسيني وأصدرت بيانها الأول الذي جاء فيه: «إن الأمم المتطلعة إلى الحياة والراغبة في توطيد مصيرها هي التي لا تعرف الاختلاف في ساعة الخطر.». ثم ما لبث الاضراب أن تحوّل إلى ثورة مسلحة شاملة لجأت بريطانيا في أثنائها إلى أساليب وحشيّة: فمنعت التجوّل، ونسفت البيوت، وزجّت الوطنيين في السجون دون محاكمة، وبلغت عقوبة من تجد بحيازته سلاحاً الاعدام. هذا، وقد بلغت حصيلة الاضراب والثورة بحسب المصادر البريطانية كما يلي: (1020) إصابة من العرب، منها (197) قتيلاً، ومن اليهود (388) إصابة، منها (80) قتيلاً، ومن القوات العسكرية (125) إصابة، منها (21) قتيلاً، ومن البوليس الفلسطيني وقوة حدود شرق الأردن (47) بريطانياً و(62) عربياً و(9) يهود بين جريح وقتيل.

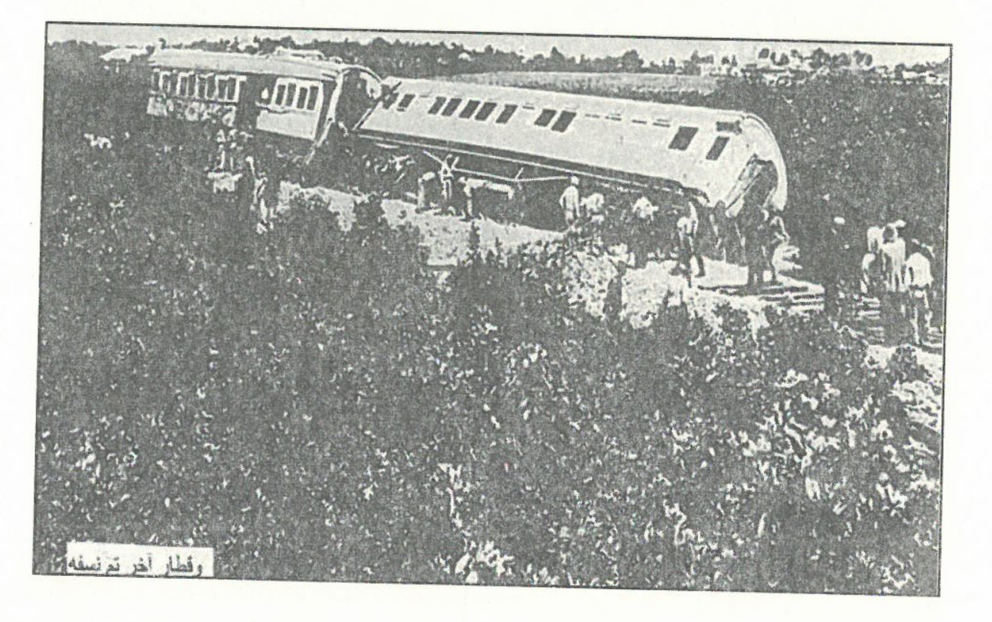
(الزبيدي، ص. 82 ـ 90)



ثلة من رجال المقارمة الفلسطينية ـ آذار/مارس 1948


قطار قام الثوار بنسفه في صيف سنة 1936.

قطار قام الثوار بنسفه في صيف سنة 1936


وقطار آخر تم نسفه

وقطار آخر تم نسفه

ولما عجزت بريطانيا عن قمع الثورة لجأت إلى المراوغة فطلبت من الدول العربية إقناع الفلسطينيين بوقف القتال لاستقبال لجنة تحقيق تدرس الوضع وتقترح الحلول. حيث أصدر ملوك السعودية والعراق واليمن وأمير شرق الأردن نداءً بنصّ واحد موجهاً إلى أبنائهم عرب فلسطين، يدعونهم فيه إلى الاخلاد إلى السكينة حقناً للدماء، واعتماداً على رغبة الحكومة البريطانية المعلنة لتحقيق العدل، واعدين بأنهم سيواصلون السعي في سبيل مساعدتهم (راجع فلسطين ج4 ص. 69). استجاب الفلسطينيون للوساطة العربية وأعلنوا إنهاء الاضراب في 12 تشرين الأوّل (أكتوبر) سنة 1936. بعد ذلك جاءت اللجنة الملكية للتحقيق واقترحت تقسيم فلسطين إلى دولتين فرفض الفلسطينيون التقسيم وتجدّدت الثورة المسلحة بأعنف مما كانت عليه قبلاً، وذلك في 26 أيلول / سبتمبر1937، عندما أطلقت النار في الناصرة على أندروز، حاكم لواء الجليل، فقتل هو وحارسه البريطاني. حيث بادرت السلطة إلى البطش والتنكيل، فكان هذا إيذاناً بتفجير الثورة من جديد، ابتداءً من تدمير المخافر العسكرية والبوليسية وتفجير أنابيب البترول ونسف القطارات والسكك الحديدية والجسور، ما حدا باستقدام 50 ألف جندي من مصر وبريطانيا لإخماد الثورة التي أخذ رجالها يحتلون المدن ويستولون على السلاح من المخافر البريطانية ويعتصمون في الجبال والبراري والقرى.

وفي نهاية سنة 1938 كان الثوّار يسيطرون على جزء كبير من فلسطين سيطرة تامّة، وأصبحوا مضرب المثل في الشجاعة والصمود بوجه أعتى قوة استعمارية في ذلك الوقت. (راجع شهادة هتلر لاحقاً). ولما أخفقت جميع التدابير القمعية لجأت بريطانيا مرّة ثانية إلى الدول العربية فكان نداء الملوك العرب إلى الفلسطينيين بضرورة إنهاء الثورة بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية (وقد وعدنا أصدقاؤنا البريطانيون خيراً بعد انتهاء الحرب!!). وكأننا لم نجرّب كذبهم بعد الحرب العالمية الأولى!! وفي الوقت نفسه أصدرت الحكومة البريطانية في 17 أيار/مايو 1939 الكتاب الأبيض الذي صرّحت فيه «بعبارة لا إبهام فيها انه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية لمخالفة ذلك لالتزاماتها نحو العرب..».

وكأن بريطانيا تفي دوماً بالتزاماتها!!

ومع ذلك فقد اعتبر هذا البيان انتصاراً للثورة واعترافاً نظرياً بحق فلسطين العربية في الاستقلال وعدم تقسيمها إلى دولتين عربية ويهودية.

هكذا يتبين مما تقدم أن كفاح شعب فلسطين، اليوم كما بالأمس، هو عبارة عن سلسلة مأساوية مستمرة شبيهة بمأساة الأسطورة سيزيف الذي لم يتعب ولم ييأس من تكرار دحرجة الصخرة إلى أعلى الجبل.

جاء في أحد التقارير التي كُتبت في عام 1948: «إنّ الصراع عندما بدأ بين العرب واليهود، كاد العرب يكونون عزلاً من السلاح، وكان اليهود مجهزين بأحدث أنواع الأسلحة. وقد وقف العرب موقفاً بطولياً لكنه كان دفاعياً لعدم توفرّالأسلحة المطلوبة... (حقائق، ص. 395)

ثمّ راح الفلسطينيون يهرعون من سائر أنحاء فلسطين إلى دمشق وبيروت والقاهرة للتزوّد بالسلاح والذخائر.. وكثيرٌ منهم كانوا يأتون معهم بأثمان أسلحتهم. (حقائق، ص. 347)

لقد دافع الفلسطينيون عن أرضهم وبلدانهم ببسالة، وتفوقوا على الصهاينة في سلسلة من المعارك التي خاضوها في أواخرعام 1947 والشهورالأولى من عام 1948، بقيادة نفرمن المجاهدين من أمثال عبد القادرالحسيني، والشيخ حسن سلامة، وإبراهيم أبو ديّة، ومحمد الحنيطي... وذلك برغم ضعف وسائلهم وقلة ما كان في أيديهم من أسلحة حديثة وذخائر...

(راجع انتصارات الفلسطينيين في معارك القدس وباب الواد والشيخ جرّاح وعين كارم واستعادة جبل القسطل التي كلفت عبد القادرحياته، وفي معارك مستعمرات النبي يعقوب، ورامات راحيل، ومرج أبن عامر، ومعارك الدهيشة، والخضر، وصوريف، وكفار عصيون، وبيت فوريك، وفي الطيرة وبلد الشيخ والكابري ولوبية وترشيحا ... إلخ).

(حقائق، الصفحات 355 - 363 و386 - 392)

فلمّا رأى الصهاينة ومعهم الإنكليز والأمريكيون انتصارالمجاهدين الفلسطينيين في المعارك وخشوا تفاقم حرب العصابات، لجأوا إلى وسائل ثلاث لتغييرالأوضاع: الضغط السياسي، والدعاية المضللة، والإرهاب.

أولاً، الضغط السياسي

وقد تمثل بالضغوط التي قامت بها بريطانيا وأمريكا على عدد من المسؤولين العرب لانتزاع زمام قضيّة فلسطين من أيدي أهلها وأصحابها... ما أدى إلى الإمتناع عن تسليم المساعدات الضرورية من أسلحة وأموال إلى الفلسطينيين... ومنع مجاهديهم (بالتالي) من الاستمرار في متابعة جهادهم العظيم الذي كاد في شهرآذار/ مارس 1948 أن يقضي على قرار التقسيم... ما دفع بالبريطانيين إلى تقديم مذكرة إلى السلطات العربية الرسمية اعترضوا فيها على تسليح الفلسطينيين وتدريبهم ووصفوه بأنه «عمل غيرودّي».. ثم تابع الإنكليزضغطهم على الحكومات العربية حتى حملوها على تبديل الخطة العسكرية التي تقررت في عاليه... (كان مجلس الجامعة العربية قد قرر في خريف عام 1947 «وجوب وضع عرب فلسطين في وضع مماثل لليهود من حيث تسليحهم وتدريبهم وتحصين مدنهم وقراهم... وجعلهم الأساس في الدفاع عن بلادهم، ووجوب مرابطة الجيوش النظامية للدول العربية على حدود فلسطين دون دخولها، لتقوية الفلسطينيين، ولمساعدة المجاهدين عند الضرورة بالعتاد والضباط وبعض الوحدات الفنية»... وفي هذا المؤتمر تقرّر إنشاء جيش الانقاذ وتدريب المتطوعين في معسكر قطنا القريب من دمشق). بعد ذلك استطاعوا بخداعهم وضغطهم على الدول العربية أن يحملوها على إدخال جيوشها إلى فلسطين (بقيادة الملك عبد الله - غلوب باشا)... ولم تلبث أن ظهرت بعد ذلك سياسة إقصاء الفلسطينيين عن ميادين المعركة ومنع الأسلحة والأموال عنهم.

(راجع حقائق، ص. 17)

يقول الحاج أمين الحسيني: «لماذا أقصي أهل فلسطين ومجاهدوهم الذين أثبتوا جدارتهم واستبسالهم في الذود عن بلادهم، وصمودهم أمام

اليهود والانكليز طيلة ثلاثين عاماً. وما هي أسباب منعهم من القيام بحرب العصابات التي حذقوها.. ولماذا منعت الأسلحة عن قادة المجاهدين.».

(العروش.. ص. 444)

هذا، ولم يقتصر الضغط السياسي على العرب بل تعدّاه ـ كما يعلم الجميع ـ إلى الدول الأخرى كلّما تعلّق الأمربمسألة تريد أمريكا والغرب إقرارها، وبخاصة تلك التي لها صلة بشأن فيه مصلحة للصهاينة. ففي عام 1947 وعند التصويت على قرارتقسيم فلسطين، قال أحد مندوبي الدول التي غُلبت على أمرها (مندوب هاييتي) لمندوب باكستان (ظفرالله خان) «إنّه اضطرللتوقيع على القرار وعيناه تفيضان بالدمع». وأبلغ مندوب الدومنيكان (الدكتورهنريكوس) الوفد الفلسطيني في الأمم المتحدة أنه يرى التقسيم أمراً غير واقعي ولا منطقي ولا ينتج عنه إلا سفك الدماء.

(حقائق، ص. 410)

يشير المؤرخ الإسرائيلي بيني موريس في كتابه الأخير (1948 ـ تاريخ الحرب العربية الإسرائيلية الأولى) إلى أن هناك وثائق تؤكد أن أمريكا دفعت ـ بأمر من الرئيس الأمريكي ترومان ـ رشاوى إلى مندوبي عدة دول من أجل التصويت إلى جانب قرار تقسيم فلسطين عام 1947. (القدس العربي ـ الأربعاء 5/ 2/ 2014). ومن هذه الدول حصل مندوبوها على رشاوي أمريكية نذكر الحبشة والفيليبين ولكسمبورغ وباراجواي وهاييتي.

تجدر الإشارة في هذا المجال إلى الضغط «الناعم» الذي مارسه الأمريكيون قبل ذلك على بعض الحكام العرب. أذكر في هذا المجال ما ورد في الكتاب المذكور (ص. 338 ـ 342) حول الحوار التالي الذي دار في مطلع عام 1945 بين الرئيس الأمريكي روزفلت والعاهل السعودي الملك عبد العزيز، حيث قال الرئيس روزفلت «إنّه يطمع في الكرم العربي للمساعدة في حلّ المشكلة الصهيونية.». فردّ عليه الملك قائلاً: «.. من عاداتنا أنّ المجرم هو الذي يجب أن يؤدي الغرامة، وليس المتفرّج البريء!» وعندما سأل الرئيس الأمريكي:

«هؤلاء اليهود.. ماذا نصنع بهم؟» بادره الملك بسؤاله: «من أين

أتوا؟.. يعود كلّ إلى بلده!» فإذا تعذر ذلك، يعيش الذين لا تواتيهم الفرص في دول المحورالتي اضطهدتهم، أو يُوزعون على دول الحلفاء التي يزيد عددها على 50 دولة...

ثانياً، الدعاية المضللة وفن تشويه السمعة الفلسطينيّة

لقد أنشأ قسم المخابرات البريطانية ـ بالتعاون مع اليهود ـ عدة مراكز دعاية ضد الفلسطينيين لتشويه سمعتهم، مختلقين شتى أنواع الأكاذيب والمفتريات. نذكر منها:

- إن جيوش الدول العربية السبع ستدخل فلسطين قريباً لتحريرها فلا داعي لأن يقاتل الفلسطينيون ويتحملوا الخسائر في الأرواح والأموال!!
- لقد فشل الفلسطينيون وجيش الانقاذ في الدفاع عن أرض فلسطين.
- الفلسطينيون هربوا تاركين بلادهم لليهود.
- الفلسطينيون باعوا أرضهم لليهود...
- الفلسطينيون إرهابيون متوحشون يقتلون الأطفال والنساء.
- الأم الفلسطينية لا تحب أبناءها وتدفعهم إلى الموت (عبر العمليات الانتحارية).
- الفلسطينيون خرّبوا بلادهم وجاءوا يخربون باقي البلاد العربية.
- فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض!
- ....

كتب راجح خوري في مجلة «الحوادث» اللبنانية مقالة بعنوان «فن تشويه السمعة الفلسطينيّة»، جاء فيها:

لم تنجح إسرائيل في شيء بقدر نجاحها في تشويه سمعة الفلسطينيين، وتصويرهم أمام الرأي العام العالمي، وكأنهم مجموعات من عصابات الإرهاب والجريمة المنظمة..

والواقع أنّ تشويه سمعة الناس ليست عملية سهلة وبسيطة، بل إنها عملية معقدة، وهي فنّ قائم بذاته، يحتاج إلى مراقبة مستمرة لتصرفات ومواقف الخصم، وإلى شبكة واسعة من وسائل الاتصال الجماهيري، تنقل عبرها الصورالمدسوسة والأخبارالمغرضة والمشوّهة... إنّ إسرائيل تملك المراقبة وشبكة الاتصالات، وهي في الوقت نفسه تملك ما هو أهم من ذلك، أي «الفرص المتاحة» والتي يتيحها عادة أناس يقولون إنهم ينتمون إلى الفلسطينيين زوراً أو صدقاً.

إن الأمثلة على هذا كثيرة لا تحصى، فعندما أحس اليهود قبل عامين أنّ هناك اتجاه في أوساط الرأي العام الشعبي في بريطانيا لفهم القضية الفلسطينية، قرروا عكس هذا الاتجاه، ولما لم يقيّض الله لهم فلسطينياً واحداً، يرتكب حماقة جديرة بالاستغلال، قرروا استغلال أية حماقة تُرتكب ونسبها إلى الفلسطينيين، وهكذا عندما حدث الانفجارالكبيرفي محلات مارك أند سبنسر(أصحابها من اليهود) في سان مايكل بلندن، خرجت الصحف البريطانية في اليوم التالي وهي تشير بالاتهام إلى الفلسطينيين، خاصة وأنّ أحد اليهود اتصل ليلاً بعدد من الصحف البريطانية مدعياً أنه ينتمي إلى (منظمة) هي التي دبّرت الإنفجار... وقامت قيامة البريطانيين ضد الفلسطينيين والقضية الفلسطينية، ومن ثمّ توصّل التحقيق إلى كشف أبطال حادث الإنفجارفإذا هم من الجيش الإيرلندي، وطبعاً الصحف لم تعتذر للفلسطينيين!

وما حدث في لندن حدث في الأسبوع الماضي في هولندا (قضية البرتقال المسمّم) حيث فبركت الصهيونية اسم منظمة فلسطينية وهمية، وجعلتها تعلن مسؤوليتها عن تسميم البرتقال اليافاوي عن طريق حقنه بالزئبق وذلك بهدف محاربة الاقتصاد الإسرائيلي (!)... إنّ قضية البرتقال المسمم افتعلت فقط، من أجل أن يقف مناحيم بيغن ويقول: «لن نفاوض مسمّمي البرتقال» فيصفق له الأوروبيون على اعتبارأنه عدو الذين لا يتورّعون عن إطعامهم السمّ!

... (وهكذا) فأيّ عمل شنيع يُرتكب تلصقه الصهيونية بالفلسطينيين، إلى درجة أنّ الرأي العام في عدد من البلدان الأوروبية بات لا يحتاج إلى

الصحف الصهيونية لكي يلصق التهمة بالفدائيين الفلسطينيين عند سماعه بأيّ عملية اختطاف أو قتل أو انفجارأو تدمير. **انتهى كلام راجح خوري**

والحقيقة أنّ الصهاينة ليسوا وحدهم الذين يشوّهون صورة الفلسطيني، ولا أريد أن أستطرد في التفاصيل، لكني أكتفي بالإشارة إلى ما ذكره أنيس النقاش (أسرار ـ ص. 78 ـ 79) حول «دور أجهزة الاستخبارات العربية والأجنبية في تغذية الكلام على التجاوزات الفلسطينية وتحديداً في الجنوب.. وبث الشائعات ضد الثورة الفلسطينية». كما حدث في الأردن من قبل، وإلى ما أبدعه كذلك الإعلام المصري إبّان الإحتلال العراقي للكويت، وإلى الحملة المنظمة من قبل صحيفة «السياسة» الكويتية لصاحبها العروبي الأصيل (!) أحمد الجار الله الذي ركز هجومه على الفلسطينيين «الذين فشلوا في تحويل الكويت إلى وطن بديل، كما فشلوا في لبنان» على حدّ قول الفارس الإسلامي الهمام! ومما يحز في النفس أنّ محبي الفلسطينيين في لبنان ـ وفي غير لبنان ـ وجهوا إليهم كذلك الاتهام نفسه!

يقولون توطينٌ...

ووطن بديل!

أحقاً لك يَا وطني في الكون مثيلٌ...

أو بديل؟!!

ثالثاً، الإرهاب وحضارة رعاة البقر

ارتبطت أعمال الدعاية والإرجاف ارتباطاً وثيقاً بأعمال الإرهاب الأثيم الذي قام به اليهود لترويع العرب بنسف المنازل وإلقاء المتفجرات في الأسواق ومراكز تجمّع الأهلين.

وقد حدثت معظم المذابح التي اقترفها اليهود في القرى العربية الضعيفة تحت سمع القوات البريطانية وبصرها كمذابح «دير ياسين» و«حواسة» و«عيلوط» و«الدوايمة» وغيرها.

ومعظم الفظائع الوحشية في هذه القرى اقترفتها عصابتا الأرغون وشترن، اللتان تضمّان كثيراً من اليهود المتديّنين والحاخاميين... فكانوا يقتلون الأطفال والنساء والشيوخ دون رحمة، ويبقرون بطون الحوامل ويُخرجون منها الأجنة على أسنّة حرابهم... (راجع مذبحة ديرياسين، حقائق، ص. 382). كتب مناحم بيغن قائد عصابة «أرغون تسفاي لئومي» يومها (ثم رئيس وزراء إسرائيل لاحقاً) في عام 1951 ما يلي:

«إنّ مذبحة ديرياسين كان لها أثربالغ في نفوس العرب يعادل ستة أفواج من الجنود...». **(حقائق، ص. 349 - 352)**

قام الصهاينة بعد الإحتلال بتدمير418 - 530 قرية، وتسبّبوا في نزوح 700 - 800 ألف نسمة. وما زالوا حتى اليوم يمارسون شتى فنون الإرهاب لتهجير الفلسطينيين واغتصاب بيوتهم في الوقت الذي ينعتون فيه - هم وأمريكا وسائرالدول الظالمة - الفلسطينيين المدافعين عن أنفسهم وبيوتهم وأشجارهم وأملاكهم بالإرهاب! ولنأخذ - على سبيل المثال - الهجوم العنيف الذي شنّته حكومة شارون على مخيّم اللاجئين في جنين من الثالث إلى الثامن عشر من نيسان / إبريل عام 2002. لقد تعلّم شارون من فضيحة «صبرا وشاتيلا» فأغلق المخيّم كلياً أمام الاعلام والمنظمات الدولية حتى انتهى من «تنظيف» المخيم من الجثث. ومع ذلك تسرّبت بعض الحقائق إلى العالم نظراً لأنّ «بقايا الجثث كانت لا تزال تُنتشل من المخيّم بعد شهور من الهجوم. وبقيت أعداد القتلى مجهولة... وكانت تضمّ نساءً وأطفالاً ومتخلّفين جسداً وعقلاً؛ وكلّهم قُتلوا بالصواريخ ونيران المدرّعات والدبابات والقوات البرية، أو سُحقوا عندما دُمّرت بيوتهم بآليات البلدوزر، وكثير من الأجساد طُحنت وتجزّأت تحت الدبابات والبلدوزرات العسكرية، المصنوعة في شركة كاتربللر الأمريكية..

ولقد استُعمل عدد من الفلسطينيين كدروع بشريّة عندما اقتحم الإسرائيليون البيوت.

أما البيوت التي لم تُدمّر فقد خرُبت ونُهبت... كانت المساند الخلفية للكراسي والأرائك مقطّعة وممزّقة، والصورالفوتوغرافيّة مجرّحة بالسكاكين.. وكان أعضاء التحقيق يمشون على تلال: من الأرز والسكّر والزجاج المحطّم.. خزائن الثياب ومفروشات البيت الأخرى كانت مُكسّرة، وكثيراً ما كانت الأبواب وقبضات الأبواب مُخلّعة، والكتب منثورة...

وأما الممتلكات التي أعلن عن سلبها ونهبها فكانت تضمّ أموالاً نقدية ومجوهرات شخصية وتلفزيونات وآلات كومبيوتر وآلات تسجيل وهواتف نقّالة. وفي البيوت التي احتُلّت طيلة فترة الاجتياح تبوّل الجنود الإسرائيليون وتغوّطوا على المفروشات وفي طناجر الطبخ أو على البلاط والسجاجيد... كما انّ مسجد المخيّم خرّب ونُهب، وتُركت نُسخ من القرآن ممزقة أو مخترقة بالحراب أو بالرصاص... عدا عن الاعتقال والتعذيب..».

(راجع كتاب جيرمي سولت: تفتيت الشرق الأوسط. ص. 439 - 441)

حضارة رعاة البقر

(مستوحاة من الهجوم على مخيم جنين)
أضرب يا شارون ودمّر
واحصد الرؤوس وفجّر.
اِهدم «جنين» بيتاً.. بيتاً
بحثاً عن مخرّبين!
أقتل أطفالنا الارهابيين
اقصفهم بالطائرات
اسحقهم بالدبّابات
ولا تخشَ شيئاً
فوراءَك بوش وبلير
وكلّ رعاة البقر!
بيريز قتل أطفال قانا
في حضن الأمم المتحدة

فمنحوه جائزة نوبل!

وأنت اجتحت «جنين»،

بعد صبرا وشاتيلا،

فتوّجك بوش زعيماً للسلام!

سر يا شارون فوق الجماجم..

والركام.

اِزرع الأرض بالألغام

اِذبح أصحابها الطيّبين

اقتلع أشجارهم...

دمّر بيوتهم...

جوّعهم.

اِقفل المدارس، والطرقات

وحاصر القرى والمدن والساحات

لكن...

تذكّر أنّ التتار والمغول

مرّوا من هنا قبل قرون

ورحلوا مدحورين.

تذكّر...

أنّك طوال سنين،

لم تفلّ عزيمة أطفالنا

ولم تُخف صغارنا..

ولا نساءنا.

فأنت يا سارق الأرض،

والتاريخ،

والأحلام.

سوف يجافيك المنام.

أنت لن تعرف طعم الأمان

ما دام شعبنا يُعاني الغبن

والظلم..

والآلام.

هذه الأرض لنا

سترجع..

مهما يطول الزمان.

ومن الصحافة الاسرائيلية أختار القائمة التالية من العمليات الارهابية الاسرائيلية: **(نقلاً عن يديعوت أحرونوت ـ البلد، 2005/8/8)**

الإرهاب اليهودي من عامي بوبر إلى باروخ غولدشتاين:

- 11/ 4/ 1982، القدس ـ ألن غودمان، أميركي هاجر إلى اسرائيل في الثلاثين من عمره، اقتحم بالعيارات النارية الحرم وهو يلبس البزة العسكرية.. وقتل إثنان وأصيب تسعة...
- 28/ 10/ 1984، القدس ـ دافيد بن شيمول، كان في حينه جندياً في الجيش الاسرائيلي، أطلق صاروخ لاو نحو باص فلسطيني.. فقتل شخص واحد وأصيب عشرة...
- 20/ 5/ 1990، عامي بوبر، في حينه إبن 21 سنة قتل 7 فلسطينيين وأصاب 11 آخرين حينما كانوا ينتظرون حافلة الباص في مفترق الورود في ريشون لتسيون...
- 25/ 2/ 1994، الحرم الابراهيمي ـ د. باروخ غولدشتاين، الطبيب من كريات أربع، وصل في الفجر إلى الحرم الابراهيمي.. وفتح النار من سلاحه الأوتوماتيكي على المصلين.. فقتل 29 فلسطينياً وأصيب 125. أربعة مخازن تمكن غولدشتاين من التبديل قبل أن يُضرب حتى الموت على أيدي المصلين.

- 1/ 1/ 1997، الخليل - نوعام فريدمان، الذي كان نفراً إبن 22 سنة في الجيش الاسرائيلي، فتح النارعلى الفلسطينيين في سوق الخليل.. التي كانت تعج بالناس، ولكن أحداً لم يُقتل، وأصيب 7 فلسطينيين...
- وبالأمس،(آب 2005) انضمّ عيدان تسوبري، المخرّب الذي نفذ العملية في شفا عمرو، إلى سلسلة متطرفين يهود اختاروا تنفيذ الإرهاب ضدّ السكان العرب.

وفي مقالة نشرتها «هآرتس» بعنوان «لم يعد قتل الأطفال مسألة هامة»، نقرأ: «في ظلّ قتل الأطفال الفلسطينيين على أيدي الجنود الإسرائيليين، كان من المفترض أن تتحوّل مسألة «مَن هو الإرهابي» إلى مسألة مزعجة منذ زمن بالنسبة لكلّ إسرائيلي... ولكن لا أحد يهتمّ بهذه الأمور».

(البلد، 2004/10/20)

ونشرت «هآرتس» كذلك قضية مقتل شادن أبو حجلة من نابلس في باحة منزلها بزخة رصاص أطلقت عليها في 11/ 10/ 2002 خلال عملية فرض حظرالتجوّل...

وفي هذه المقالة نقرأ: «التحدّي الآخر الذي ينتظر حالوتس هو حماية أملاك وحياة السكان الفلسطينيين من اعتداءات جيرانهم اليهود. في عهد يعلون قام «شبيبة الجبال» وزعرانهم بقطع زيتون الفلسطينيين، ولم تفعل الشرطة شيئاً...

كما ونشرت الصحيفة نفسها مقالة بعنوان: «حاجز ووتش... طريق الإذلال اليومي» جاء فيها: «ان الأرض امتصت دم الوالدة رلى اشتية التي ولدت في أيلول طفلاً مات في الطريق إلى المستشفى، بعد عدم سماح الجنود لها بالمرور».

(البلد، 2004/3/4)

كما ونشرت «هآرتس» أيضاً: «تطبيق قانون أملاك الغائبين لمصادرة أملاك سكان المناطق في شرق القدس خطوة يصعب وصفها بكلمة غير كلمة

النهب والسلب». والعبارة نفسها تقريباً وردت في صحيفة «معاريف»: «أعلنّا صراحة عن أنّ المشروع الصهيوني هو مشروع سلب. لماذا يُوجّه الاتهام إلى المستوطنين أنفسهم؟»

(البلد، 2005/2/3)

كلّ هذا من غير أن ننسى حوادث التسميم بدءاً من تسميم عرفات وحتى محاولة تسميم خالد مشعل، وإحراق الجرحى والمحاصيل والبيوت، علاوة على الحرب الجرثومية التي تذكرنا بتاريخ هذا العدو في الاجرام. ذلك أن حرب العام 1948 شهدت عدة محاولات لتلويث مصادر المياه التي يستقي منها الجيش بميكروب التيفوس والدوسنطاريا... وقد دافع«دافيد بن غوريون» عن تطوير كلّ أنواع الأسلحة في الوقت نفسه لأن سلامة الدولة ليس لها أن تقيّد نفسها بأيّة قيود من أيّ نوع سياسي أو أدبي أو أخلاقي وحجته - كما قال في مذكراته - أن أعداءنا لن يردعهم شيء عن تدميرنا إذا استطاعوا!!

متناسياً تاريخنا المتسامح والأخلاقي المشرّف في الحروب!

(راجع العروش، ص. 174 و280 و287 و306)

وكان اسحاق رابين قد قام وحده - كما روى بنفسه في مذكراته - بطرد ما بين خمسين إلى ستين ألف رجل وامرأة وطفل من عرب فلسطين من منطقة القطاع الأوسط ما بين اللد والرملة وحولهما.

(العروش، ص. 60)

هذا غيض من فيض حول الارهاب الصهيوني، وبأقلام كتّاب إسرائيليين...

شهادات

أخيراً، نشيرفي هذا السياق إلى بعض الشهادات التي أثنى أصحابها فيها على شجاعة الشعب الفلسطيني ونضاله الذي لم يتوقف منذ رمته الأقدار بهذا المشروع الصهيوني الأثيم.

ففي صيف عام 1939 قال محمد رستم حيدر، وزير مالية العراق

حينذاك، عقب عودته من أوروبا: «لقد كنا في زياراتنا الماضية لأوروبا نتحاشى التظاهربأننا عرب. ولكنا هذه المرة، بعد جهاد عرب فلسطين وبطولتهم التي طبق ذكرها آفاق أوروبا، أصبحنا نفخربعروبتنا وصرنا نلقى من الأوروبيين كلّ إجلالٍ واحترام». **(حقائق.. ص. 13)**

وقال هتلر في عام 1938 «إنه معجب كلّ الإعجاب بكفاح عرب فلسطين وبسالتهم». كما جاء في بيان رسمي وجهه هتلر إلى الألمان في السوديت حينما كانوا يحاولون الخلاص من حكم تشيكوسلوفاكيا والإنضمام إلى ألمانيا ما معناه: «اتخذوا يا ألمان السوديت من عرب فلسطين قدوة لكم فهم يكافحون إنكلترا أكبر إمبراطورية في العالم، واليهودية العالمية معاً، ببسالة خارقة، وليس لهم في الدنيا نصيرأو مساعد. أما أنتم فإني أمدكم بالمال والسلاح، وإن ألمانيا كلها من ورائكم».

(حقائق.. ص. 13 ـ 14)

وجاء في كتاب ألّفه الجنرال هنري ميتلاند ولسون الذي شارك في معارك ثورة 36 ـ 39 ضد عرب فلسطين: «إنّ 500 من ثوارعرب فلسطين يعتصمون في الجبال ويقومون بحرب العصابات، لا يمكن التغلب عليهم بأقلّ من فرقة بريطانية كاملة السلاح (أي 15 ألف جندي).

وفي خطاب ألقاه في غزة خلال أيام عيد الفطرسنة 1956، قال الرئيس جمال عبد الناصر:

«.. إني أريدكم أن تعرفوا أنّ كلّ ما قيل من أنّ أهل فلسطين لم يُحسنوا الدفاع عن وطنهم، كلام قصد به الخداع والتضليل. لقد جرّبتكم بنفسي وأنا أعرف أكثر من غيري حقيقتكم.

إنّ الذين قاتلوا منكم معي قاتلوا بشرف. كذلك عرفت أهل فلسطين بنفسي ورأيتهم بعيني وليس ذنبهم أنهم لم يكن في أيديهم سلاح، وكانت أيدي أعدائهم مليئة به... «كما ووجّه بعد ذلك إلى قائد كتيبة من الفدائيين العبارة التالية: «إنّ رجالك رفعوا رؤوسنا». **(حقائق.. ص. 24)**

وقال عبارات مماثلة عقب معركة الكرامة التي انتصرفيها الفدائيون والجيش الأردني على الإسرائيليين بعد نكسة العام 1967.

هناك أخيراً شهادة الكاتب طلال سلمان صاحب جريدة السفير اللبنانية الذي كتب مقالة طويلة بعنوان «الفلسطينيون جوهرة الشرق الأوسط»، أجتزئ منها ـ بتصرّف ـ ما يلي:

لا يتخيّل الكثير منكم حجم الدور الذي لعبه، وما زال الفلسطينيون يلعبونه حتى اليوم في اقتصاد لبنان وإن كان ذلك عليه تعتيم شديد. فالفلسطيني في لبنان إن كان مخطئاً فهي فضيحة وعليها شهود وإن كان منجزاً فتكتّمٌ على الأمر... هذه هي الحقيقة...وعندما تدخل الجامعة الأمريكية فهذه قاعة طلال أبو غزالة وهذه قاعة كمال الشاعر وهذه قاعة حسيب صبّاغ وكلهم فلسطينيون، كما أنّ أول رئيس عربي مقيم للجامعة الأمريكية هو الفلسطيني الدكتور إبراهيم السلطي. (ثم ذكرالكاتب أسماء كوكبة من الذين درّسوا في الجامعة).

إن الإزدهار اللبناني بدأ فعلاً بعد نكبة فلسطين في سنة 1948. فهناك اليد العاملة الفلسطينية المدرّبة، والرأسمال النقدي... فمن الذين أسهموا في الإزدهار اللبناني يوسف بيدس (مؤسس بنك إنترا وكازينو لبنان وطيران الشرق الأوسط واستديو بعلبك)، وحسيب الصباغ وسعيد خوري (مؤسسا شركة إتحاد المقاولين سي سي سي)، ورفعت النمر (البنك الإتحادي العربي ثم بنك بيروت للتجارة وفيرست بنك إنترناشونال)، وباسم فارس وبدر الفاهوم (الشركة العربية للتأمين)، وكمال الشاعر (دار الهندسة)، وزهير العلمي (شركة خطيب وعلمي)، وريمون عودة (بنك عودة)، وتوفيق غرغور (توكيل مرسيدس وشركة ليسيكو و..). كما أن أول شركة لتوزيع الصحف والمطبوعات في لبنان أسسها فلسطيني، وكذلك أول سلسلة محلات لتجارة الألبسة الجاهزة، وأول محلات السوبر ماركت (أبيلا)، وأول شركة لتدقيق الحسابات (فؤاد سابا)، وأول مباني الشقق المفروشة (سبتي، وبوتاجي، وفستق، وعبد المحسن قطان..). ومن الذين طوّروا بساتين الجنوب

(والشمال) آل عطايا... وبرز من بين الفنانين التشكيليين جوليانا سيرافيم وبول غيراغوسيان وناجي العلي واسماعيل شموط وتوفيق عبد العال وسواهم. وفي الصحافة نذكر غسان كنفاني ونبيل خوري ونايف شبلاق وتوفيق صايغ وجهاد الخازن وسمير صنبر والياس سحاب وخازن عبود ومحمد العدناني وسواهم. وأول من وصل إلى القطب الجنوبي ورفع علم لبنان هناك كان الفلسطيني جورج دوماني. ومن رواد العمل السياحي في لبنان سامي كركبي الفلسطيني الذي كان أول من جعل مغارة جعيتا على مثل هذا البهاء.. وأول من قاد طائرة جامبو في شركة طيران الشرق الأوسط هو حنا حوا الفلسطيني. ومن أوائل مؤسسي مراكز البحث العلمي في بيروت الفلسطيني وليد الخالدي. ومن روّاد العمل الإذاعي كامل قسطندي وغانم الدجاني وصبحي أبو لغد وناهدة الدجاني وعبد المجيد أبو لبن وشريف العلمي ورشاد البيبي. واشتهر في مجال النقد الأدبي الدكتور محمد يوسف نجم والدكتور إحسان عباس. ومن روّاد الفرق المسرحية والعمل الإذاعي أيضاً صبري الشريف. ومن روّاد علم الآثار ديمتري برامكي مدير متحف الجامعة الأمريكية. ومن رواد الموسيقى في لبنان الفلسطينيون سليم سحّاب، وفريد وحنا وريشارد السلفيتي، ورياض البندك، وعبود عبد العال وسلفادور عرنيطة وعبد الكريم قزموز... وأول فرقة للرقص الشعبي أسسها الفلسطينيان مروان جرّار ووديعة حداد جرار... واشتهر في التربية قيصر حداد وصادق عمر(من أبناء ترشيحا) وجورج شهلا. وهذا كله غيض من فيض. **(السفير، عدد 2008/8/7)**

ونشر د. موسى أبو مرزوق مقالة مماثلة في صحيفة القدس العربي (4/4/ 2014) بعنوان: الفلسطيني المفترى عليه!

لقد صادرت إسرائيل الأرض والجغرافيا والتاريخ والتراث... وجاءت الشائعات الظالمة فصادرت سمعة الفلسطينيين وشوهت نضالهم وجهودهم وهويتهم وكيانهم.

مسألة بيع الأراضي

نأتي أخيراً إلى مسألة بيع الأراضي لليهود. في 15 أيار1948 لم يكن يملك اليهود رغم كلّ المساعدات (والتسهيلات) البريطانية إلا حوالي 7 % من مجموع الأراضي الزراعية في فلسطين ـ كانوا يملكون مليوني دونم (في أحسن التقديرات) من أصل 5، 27 مليون دونم.

ذكرت التقارير المقدمة إلى لجنة الإنتداب في عصبة الأمم أنّ المجلس الإسلامي الأعلى يجعل شراء الأراضي مستحيلاً من قبل الصهيونيين.

(راجع التفاصيل في حقائق،ص 74 ـ 79)

وكان قد عُقد في كانون الثاني / يناير 1935 في القدس مؤتمر علماء فلسطين برئاسة محمد أمين الحسيني وسُمي «مؤتمر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وهو مخصص «للبحث في ما يجب عمله لحماية البلاد المقدسة من أخطار تسرّب الأراضي العربية إلى اليهود بواسطة السماسرة والخونة من الوسطاء» وحضر الاجتماع 400 من القضاة وأئمة المساجد والوعاظ والمدرسين وبقية رجال الدين، وكان أهم القرارات إصدار فتوى بتحريم بيع أيّ شبر من الأراضي لليهود، وعدّ البائع والسمسار والوسيط المستحلّ للبيع مارقين من الدين، خارجين من زمرة المسلمين وحرمانهم من الدفن في مقابر المسلمين، ومقاطعتهم في كلّ شيء للتشهير بهم». **(الزبيدي ـ 79 ـ 80)**

ومع ذلك تمكن اليهود خلال سبعين عاماً ـ عن طريق سماسرة تمّ نبذهم واغتيال بعضهم وتحريم الصلاة عليهم ـ من شراء 250 ألف دونم (وفي مرجع آخر 65 ـ 150 ألف دونم) من أصل المليونيّ دونم. أما الباقي فقد استولت عليه الوكالة اليهودية بأساليب عديدة:

650 ألف دونم استولوا عليها من أملاك الدولة في عهد العثمانيين بحجة استصلاحها وتأسيس مدرسة زراعية.

300 ألف دونم منحتها السلطات البريطانية لليهود دون مقابل (مجاناً).

200 ألف دونم ـ من أملاك الدولة ـ منحتها حكومة الإنتداب لليهود لقاء أجرة إسمية.

600 ألف دونم اشتراها اليهود من بعض السوريين واللبنانيين الذين كانوا يملكون أراضٍ في فلسطين. (كمرج ابن عامر ووادي الحوارث والحولة وغيرها). **(حقائق.. ص. 12)**

(سبقت الإشارة إلى أن أهل ترشيحا سبقوا اليهود، واشتروا سهل جعتون من آل سرسق. . . راجع في صور آخر الكتاب وثيقة شراء أرض من آل سرسق.).

تجدر الإشارة كذلك إلى أنّ ورثة هؤلاء الملاكين السوريين واللبنانيين لم يكونوا يعرفون أين تقع أراضيهم... كما أن الوكالة اليهودية اشترت من آل سرسق أراضي عشرين قرية عربية بعد طرد الفلاحين العرب الذين كانوا يعملون فيها... وقد استولى اليهود على بعض الأراضي بالقوة الإنكليزية... كما حدث عندما تمّ طرد قبيلة الحوارث من 40 ألف دونم كانت تملكها أسرة تيّان البيروتية. لقد كتبت مجلة الشباب القاهرية في عددها الصادرفي 9 شباط / فبراير1935 ريبورتاجاً حول طرد العرب من قراهم وأراضيهم، نقتطف منه ما يلي:

. . لقد بتنا نعرف مستقبلنا... سنُطرد من القرى قرية بعد قرية... قافلة إثر قافلة.. لقد وجدنا أولئك المطرودين من أرضهم، نساء وأطفالاً وعجزة على هضبة وقد فقدوا في صباح واحد كلّ ما يملكون، الأرض والبيت... إلخ.

(راجع لمزيد من التفصيل ـ في الكتاب نفسه (حقائق) ـ الصفحات 74 ـ 76).

وما زلنا حتى اليوم نشاهد على شاشات التلفزة مواطنين يقفون على

أنقاض منازلهم التي اجتاحتها البلدوزرات وعلى مرمى حجر من الأراضي المصادرة بألف حجة وحجة!

هذا، وعلى عكس مقالة طلال سلمان المشار إليها سابقاً، نشرالموقع الإلكتروني للكاتب شارل أيوب، صاحب جريدة الديار اللبنانية، بتاريخ 20/ 5/ 2012، مقالة أورد عنوانها بالخط العريض وباللون الأحمركما يلي:

«مذكرات سمسار أراضٍ صهيوني» تفضح الفلسطينيين الذين

باعوا أراضيهم للإسرائيليين قبل «النكبة»

وفي ما يلي أهم ما تضمنته:

أصدرت «دار الحصاد السورية» كتاباً وثائقياً بعنوان «مذكرات سمسار أراضٍ صهيوني» تمّت ترجمته عن كتاب «يوسيف نحماني: رجل الجليل». (غير ان الكتاب لم يذكر سوى بضعة أسماء لفلسطينين، ومثلها لسوريين، وما تبقى من اللبنانيين، وفقاً لما وثقه الكتاب بحسب المقالة). وهذه أبرز الأسماء التي وردت في المقالة:

- الفلسطينيون: أحمد الأسعد ومحمود الأسعد وصليب صبح من صفد، علاوة على كامل الحسين زعيم «عرب الغوارنة».
- السوريون: آل اليوسف، وآل القوتلي، وآل الجزائرلي، وآل الشمعة، وآل العمري، وآل المارديني (الذين باعوا أملاكاً لهم في صفد).
- اللبنانيون: عبد الحسين بزي من بنت جبيل، والياس نمور من بيروت، ونسيب غبريل من حاصبيا، ونعيم شقير من ميس الجبل. وهناك: الياس قطيط، وآل فرحات، والمطران عقيل المقرّب من البطرك الماروني، وخليل فرنسيس، وعلي العبد الله، وخليل فرحات، وعادل بدير، ومحمد بيهم الذي باع أرضاً له في الحولة... وآل القباني الذين باعوا في سنة 1929 «وادي القباني». أمّا صفي الدين قدّورة، وجوزيف خديج، وميشال سارجي، ومراد دانا (اليهودي)، والياس الحاج فقد

أسسوا مع رئيس وزراء لبنان خير الدين الأحدب - في سنة 1935 - شركة لشراء الأراضي في جنوب لبنان وشمال فلسطين. وهناك الأمير خالد شهاب الذي شاع عنه أنّه «جاع وما باع»، غير أنّ وسيط الأمير الياس بشوتي تفاوض مع نحماني وباعه 4 آلاف دونم في قرية الغابسية بسعر19 ليرة للدونم.

وهناك آل سرسق الذين باعوا بين عام 1921 و1925، 400 ألف دونم، بعضها في مرج إبن عامر علاوة على آل تيّان (وبخاصة أنطون وميشال)، وآل تويني (بخاصة ألفرد تويني) الذين باعوا أراضٍ منها الأرض التي بُنيت عليها نهاريا. (هناك أيضاً آل أبيض وآل حوا ولم يرد ذكرهما) ثمّ يشير نحماني إلى شرائه أراضي العديسة في سنة 1938، وشرائه في عام 1945 أراضي ميس الجبل، والمطلة، والمنارة، والمالكية، وعولم وسواها... إلخ.

(وبرغم ذلك كله فالكتاب حسب «صاحب الديار» يفضح الفلسطينيين دون سواهم!!)

أخيراً نذكرأنّ الكتاب يشير إلى أن ما كان يملكه اليهود قبل سنة 1948 لم يتعدّ 5،7 % من مساحة فلسطين. ويذكر الكتاب أن ما اشتراه اليهود من الفلاحين الفقراء بالإحتيال عن طريق السماسرة (الذين اغتيل بعضهم كما أشرنا) لم يتعدّ 68 ألف دونم (وفي بعض المراجع: 68 - 150 ألف دونم، أي نحو ربع ما اشتروه من آل سرسق وحدهم).

كما ويذكرالكتاب أيضاً إنّ دافيد بن غوريون لم يكن متحمساً لعمليات شراء الأراضي لأنه كان يخطط للإستيلاء عليها بالقوة (مجاناً).

مستقبل إسرائيل

هناك مَن يرى أن عدم الاعتراف بإسرائيل وعدم التطبيع معها وإبقائها معزولة يشكل سلاحاً فتاكاً لإنهاء وجود الدولة الصهيونية. إذ برغم عقد اسرائيل عدّة اتفاقيات أو معاهدات صلح مع دولتين عربيتين مجاورتين لفلسطين هما مصر والأردن، وإقامتها علاقات دبلوماسية معهما ومع بعض الدول العربية والاسلامية الأخرى، وبرغم احتلالها بعض الأراضي العربية المنتزعة من مصر وسوريا ولبنان والأردن، برغم ذلك كله لم ينل الصهاينة «أيّ قدر من الأمان والاطمئنان طالما أنه لم يتم الاعتراف بهم (من قبل الفلسطينيين والشعوب العربية كافة). وهنا سوف يكون المقتل لاسرائيل».

(بلا عنوان - ص. 33)

هنا أيضاً أكتفي بالتطرق إلى بعض المقتطفات المختارة من الصحافة الإسرائيلية حول مستقبل إسرائيل.

يقول البروفيسور أرنون سوفير، رئيس المركز الجيوستراتيجي ونائب رئيس مركز أبحاث الأمن القومي في جامعة حيفا (66 عاماً): «إذا استمرّ الوضع السياسي والسلوكي الراهن في إسرائيل على وتيرته الحالية، فإنه يتبقى لنا فقط خمس عشرة سنة حتى خراب الدولة». وسبق له أن حذر مراراً زملاءه في المؤسسة العسكرية من أنه إذا استمر الوضع على حاله، فإنّ إسرائيل ستواجه الدمار.

(معاريف 2002/2/15)

وفي مقالة بعنوان: «لا يمكن العيش هكذا»، يقول إيلي كميرفي العدد نفسه من الصحيفة نفسها: «.. وهم يتذمرون ويحتجون على أنهم سئموا هذا

الوضع، وأن الدولة تهرب، والشعب يهرب وكلّ شيء يتحطم أمام أنظارهم..».

وفي مقالة أخرى بعنوان «هل لنا مستقبل؟» في العدد نفسه من الصحيفة نفسها، يقول أمنون دنكنر:

«وأحياناً يُثار الشعور الغامض بأننا نتصرّف هنا كساكني البيت، في أفلام الرعب الأمريكية، الذي بُني على مقبرة هندية تحمل اللعنة. ففي الوعي الأسفل للكثيرين، وربما في الوعي الأسفل الجماعي، ينبض الظلم الذي اقترفناه بحق الفلسطينيين الذين عاشوا هنا وطردناهم، فالقرى التي محوناها أبقت ذكريات الظلم على شاكلة أسيجة الصبار هنا أو خرائب وقبور أولياء هناك». (البلد، 18/ 2/ 2002).

ويقول عوزي بتريمان (هآرتس، 5/ 10/ 2003) في مقالة نشرها بعنوان: «نهاية معروفة مسبقاً»، حيث جاء فيها: «الجدار الفاصل الآخذ في الامتداد يهدف إلى إحباط إمكانية إقامة دولة فلسطينية ذات قدرة على البقاء. لهذا السبب قبل به قادة المستوطنين في الضفة الغربية. الجدار في صيغته التي قررتها الحكومة سيخلق هنا واقعاً جنوب افريقياً ذا نهاية معروفة مسبقاً».

أما المؤرخ الإسرائيلي بيني موريس فيقول: «كان هناك انتصار في العام 1948، لكن ذلك لا يضمن بقاء دولة إسرائيل».

(القدس العربي، 6/2/2014)

ولقد بدأ العالم مؤخراً يدرك فعلاً حقيقة «دولة إسرائيل» ويغيّرموقفه منها ومن تعنّتها وصلفها وعنصريتها واستعلائها ومجافاتها للعدالة والإنسانية حتى أصبحنا نقرأ في صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية نفسها مقالة بتوقيع جدعون ليفي يلوم فيها حكومة إسرائيل على تجاهلها لحقوق الفلسطينيين ومماطلتها في التوصل إلى حلّ لمشكلتهم ومشكلة احتلال الضفة وغزة برغم كلّ التنازلات التي قدموها، حيث يقول:

«تصعب المبالغة في أهمية التغييرالذي أخذ ينصاغ إزاء أعيننا الدهِشة التي كانت مغمضة طوال تلك السنين. لكن منذ الآن سيضطركلّ إسرائيلي

وفي ضمنهم رئيس الحكومة إلى إدراك أنه لا يمكن حلّ لا يُصغي إلى أشواق الطرف الثاني.. والإستجابة لشيء من أشواقه. إن تحمّل مسؤولية أخلاقية عن 1948 وحلّ مشكلة اللاجئين وحدود 1967 هي أقلّ القليل بطبيعة الأمر.

إنّ مَن لم يُرد 1967 تلقّى الآن 1947. ومَن لم يُرد مصالحة تاريخية تلقّى الآن ملف 1948 على بابه... هكذا تكون الحال عندما نتأخر ونتردّد ونضلل؛ عندما نظن أن عدم الفعل هو الحلّ، وعندما نؤجل ونؤجل النهاية، نهاية الإحتلال».

(صحيفة «البلد»، الجمعة 20 أيار2011)

ويقول سميح حمّودة (محاضرفي جامعة بير زيت ـ السفير، 15/ 6/ 2012): «هناك اليوم في إسرائيل ارتفاع لأصوات سياسية وأكاديمية ودينية وأدبية تدين الاحتلال واضطهاد الفلسطينيين وتنادي بتجاوز الأطروحات الصهيونية والبحث عن علاقة شراكة وتعايش مع العرب قبل أن تحلّ الكارثة على رؤوس الشعب اليهودي. وصحيح أنّ هذه الأصوات ما زالت غيرذات تأثير كبير في السياسة والمجتمع الإسرائيليين، ولكن اللافت للنظر تناميها... هذه الأصوات ستصبح هي السائدة، وستصاب الفكرة الصهيونية بانهيار داخلي».

واليوم ـ في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ـ بدأ أعتى عتاة الكيان الغاصب تعصباً ووحشية يدركون، بل ويعترفون عملياً، أنّ إسرائيل لا تستطيع تحقيق كلّ ما تريده. فها هو ملك التطرف، المتوحش شارون ينسحب من غزة ويفكّك المستوطنات المقامة فيها، بعد أن سبق وقال «إنّ مستوطنة نتساريم (المقامة سابقاً في غزة) لها الأهمية نفسها التي تملكها تلّ أبيب». وها هو باراك اليوم يدعو إلى الإنسحاب من الضفة الغربية (ولو أنّ الحلم الصهيوني بدولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات لم يفارق خيالهم يوماً!)

(صحيفة السفير، ملحق فلسطين العدد 26، الجمعة 15 حزيران 2012)

كما ونقرأ في الصحف أن وزير خارجية إسرائيل سؤل في باريس عقب

توقيع اتفاقيات أوسلو (1993): «هل ارتحتم الآن؟ لقد اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بدولة إسرائيل» فأجاب: «لقد مكث الصليبيّون في هذه البلاد مئتي سنة قبل أن يرحلوا، ومكث الأتراك أربعمئة سنة ثمّ رحلوا. لذا ليس هناك من شيء يدعوا إلى الارتياح!»

هذا، ونقرأ أيضاً في صحيفة (نيويورك تايمز) الأمريكية مقالة بعنوان: «لم يعد لإسرائيل أصدقاء غير واشنطن».

(البلد، 20 أيّار2011).

ومَن يتمعّن في خفايا الأمور وبواطنها يدرك أنّ هذا الصديق الوحيد مجبرعلى موقفه!

ولنتذكر ما قاله بنجامين فرانكلين في عام 1787 عن اليهود.

(راجع خطابه في فقرة: لماذا يكره الناس جنس اليهود).

كما أنّ مَن يتمعّن في حقيقة الأمور يجد أنّ إسرائيل عبارة عن كذبة كبرى وكيان زائف. فهي تبحث عبثاً عن دليل واحد يربطها بأرض فلسطين (لم تجد حتى اليوم أثراً لهيكل سليمان... على سبيل المثال). وهي تسرق تراث وأزياء وتاريخ الفلسطينيين وتنسبها إليها. ولعلّ من أبرز مظاهرهذه الكذبة تسميتها لجيشها باسم جيش الدفاع الذي تثبت الوقائع يوماً بعد يوم بأنه جيش للهجوم والعدوان والغدر...

بقي أن نذكر في هذا السياق المقالة الرائعة التي كتبها الشاعر الفلسطيني محمود درويش في الذكرى الخمسين للنكبة بعنوان: «يوم تجديد الإيمان بفلسطين وبالسلام أيضاً»، والتي جاء فيها:

«وعلى الرغم من نجاح المشروع الصهيوني عام 1948، في احتلال الأرض وتشريد غالبية الشعب الفلسطيني، بقوة السلاح وارتكاب المجازرالكبيرة والصغيرة، وفي تغيير معالم الأرض الطبيعية والديموغرافية، وتدمير 418 قرية للتدليل على أننا لم نكن هنا أبداً ولم نوجد ... على الرغم من ذلك، بقيت الحقيقة الفلسطينية حيّة في بحث العرب عن ذاتهم وعن

وجودهم في التاريخ، ... وذلك بفضل صمودنا الجسدي والثقافي والمحافظة على ذاكرتنا الجماعية، وبعدنا العربي والإنساني.

... نحن المطعونين بليل خمسين عاماً من الإحتلال والتشريد، المجروحين من الوريد إلى الوريد، نعلن حضورنا المدوّي في المكان والزمان، رغم الأعاصير التي تحاول اقتلاع جذورنا من الأرض التي نحن أول أسمائها. لم نهبط من ليل خرافة أو أسطورة، بل ولدنا في وضح نهار التاريخ على هذه الأرض... وإذ نقف اليوم أمام جرحنا المفتوح منذ نصف قرن من «النكبة» والمقاومة، بقلوب يعصرها الألم لما انطوى عليه الماضي الممتدّ من مصائرمأسوية، فإننا نتطلّع إلى المستقبل المرفوع على سواعدنا، بقلوب يغمرها الأمل بانتصار الحريّة والعدالة، بعدما انتصرنا على مشروع الإبادة والتغييب ومحو اسم فلسطين عن خريطة فلسطين».

(ملحق السفير، السبت 19/2/2011)

وفي المعنى نفسه كتب رشاد أبو شاور:

«.. مع ذلك فالتشاؤم لم يحتلّ نفسي، فعقلي متفائل، ويقيني بنهوض الأمة لن يتزعزع، وثقتي بهزيمة الكيان الصهيوني لا تقبل النقاش، مع إيماني بأنّ كلّ هذا سيتحقق عندما ينتهي زمن الدولة العربية الاقليميّة المُفتّتة للقوة العربية، والعائق في طريق النهضة العربية، أي عندما تنتهي الحدود، ويلتقي ملايين العرب في دولتهم الواحدة، وتمتلك هذه الملايين ثرواتها المنهوبة، وتنظف أرضها من القواعد الأمريكيّة..».

(القدس العربي ـ الثلاثاء 30/10/2012)

هذا الأمل بالإنتصار واستعادة أصحاب الحق لحقهم في وطنهم يترجمه في كلّ يوم أبناء فلسطين من كلّ الأجيال وفي جميع البقاع. فها هي اللاجئة الفلسطينية، الحاجّة أم إنعام تتذكّر قريتها دير طريف. «تحفظ حجارتها، بيوتها، أزقتها، ساحاتها، وحدائقها... عمري اليوم 75 عاماً... لقد هجّرونا وقتلونا. لن ننسى. وأحفادنا من بعدنا سيحملون المفتاح». وها هو محمد حرب (75 عاماً) من قرية مسكة الذي «كان يقيم

في بيت مبنيّ في أرض تقارب مساحة المخيّم الذي يعيش فيه الآن... ومسكة هي القرية التي حملت اسمها من رائحة زهر البرتقال الذي اشتهرالفلسطينيّون بزراعته في المناطق الساحلية...» يقول الحاج محمد إنه عندما غادر فلسطين كان في العاشرة و«كان القمح غزيراً. كنّا نمشي في الحقول ونغرق في السنابل... رائحة فلسطين تسري في عروقي. تسري في دمي». هذا ما أحدّث به أحفادي في كلّ يوم. أمّا الحاج يوسف عودة المجدلاوي (78 عاماً) فيتذكّر كيف هاجمت العصابات الإجرامية منازل قريته سمسم، وكيف قتلت ودمّرت ما يمتلكه سكان القرية. . وهو لا يكفّ «عن تذكيرأحفاده بما جرى في يوم النكبة، ولا يملّ من تكرارالحديث لهم عن معاناة اللاجئين الفلسطينيين بعدها، وذكريات البلاد الجميلة التي تركوها عنوة واستوطن فيها أغرابٌ ومرتزقة. . . حلم العودة بالنسبة لأبي جمال ليس صعب المنال ولا بعيد التحقيق، فهو يؤمن بالقول الخالد للزعيم جمال عبد الناصر: ما أخذ بالقوّة لا يُستردّ إلا بالقوّة. وهو يوصي أحفاده بعدم نسيان فلسطين».

(السفير، 15/5/2012)

أما الأحفاد فهم أيضاً لم ينسوا فلسطين، بل ونرى معظمهم أكثر تمسكا وحبّاً وشوقاً إلى فلسطين! إذ كثيراً ما تسأل طفلاً فلسطينيّا في أستراليا أو السويد أو كندا أو بريطانيا.. من أين أنت؟ فيسارع إلى مفاجأتك بإجابته: من فلسطين! وها هو إبن أخي نبيل الذي ولد وعاش في بريطانيا يشكّل هناك فرقة للدبكة الفلسطينية ويفاخر بممارستها وتعريف البريطانيين عليها في حفلات جامعته والمناسبات الأخرى.. كما أن هذا الكتاب ليس سوى لبنة على طريق حفظ الذاكرة وتأسيس المستقبل الجديد لفلسطين على أيدي الأجيال الناشئة..

هذا، ونقرأ أيضاً للشاب نصري دكور أحد أبناء ترشيحا الذين لم يغادروها مقالة بعنوان «القضاء على ترشيحا التاريخية قبل عام 1948» يدعو فيها إلى التمسك بعروبة ترشيحا ورفض تهويدها. وفي ما يلي بعض ما جاء في تلك المقالة:

... وفي عام 1963 تم دمج معالوت مع ترشيحا. وفي عام 1995 تم الاعلان عن مدينة معالوت ـ ترشيحا وبدأت الحكومة بمصادرة الأراضي حيث صادرت ما يقرب من 1500 دونم.

... ولكي تعود ترشيحا لتكون عروساً للجليل علينا بالتكاتف وعلينا بوحدة الصف وعلينا بالعمل جنباً إلى جنب، ففي عروس الجليل لا مكان للضعف. وفي عروس الجليل لا مكان للإنهزامية. وفي عروس الجليل لا مكان لنفسية الاستسلام. وفي عروس الجليل لا مكان للتفتت لأن عروس الجليل تحفظ مكانة خاصة لأصحاب العزة والكبرياء، أصحاب الكرامة وأصحاب الانتماء...

فلنتمعّن جيداً ـ وليتمعّن معنا عتاة الصهاينة ـ بما يقوله ويفكر فيه مثل هذا الشاب المسيحي ممن ولدوا وعاشوا في ظل ما يسمونه بدولة إسرائيل!

كما وأن هناك مَن يرى أنّ قضيّة فلسطين عموماً هي عبارة عن قضيّة إحتلال ولا بدّ لكلّ احتلال من نهاية. ويرى أنّ الفلسطينيين ليسوا هنوداً حمراً بدليل صمودهم وكفاحهم وعدم يأسهم واستسلامهم للأمر الواقع. فالفلسطيني عموماً ما زال يطلب العلم ويحيا على الأمل، ويترك أثراً في جميع البلدان التي لجأ إليها أو هاجر. كما أنّه ما زال يصبرعلى هدم منزله واقتلاع أشجاره، بل ويُقارع الدبابة بالحجر، ويعضّ على تراب وطنه بالنواجذ، وينقل عشقه لوطنه وتمسّكه بحقّه فيه إلى أحفاده برغم توزع الفلسطينيين في شتى أنحاء المعمورة.

إنّ نجاح أمثال وليد الخالدي، وإدوارسعيد، ومحمود درويش،(وبقية الأسماء التي ذكرها طلال سلمان في مقالته المشار إليها سابقاً) علاوة على آلاف الفلسطينيين المنتشرين في كلّ بقاع العالم، والناجحين في شتى مجالات الإبداع والاختراع والطب والهندسة والأعمال...

وعلاوة على عشرات العلماء الذين يعمل معظمهم في أمريكا وأوروبا في مجال الفيزياء والكيمياء والذرّة في أكبرالشركات والمؤسسات ك: ناسا وجنرال موتورز وشِل ويونيليفر وسواها دون أن يتخلوا عن قضيّتهم

وتمسّكهم بحقهم في فلسطين لهو خير مثال على أن هذا الشعب لن يموت برغم أنه يقف وحيداً بلا نصيرأو معين أمام جبروت ونفوذ الصهيونية، وظلم دول العالم «الحضارية» التي تتشدّق بالحرية والعدالة وحقوق الإنسان!

تلك الأيام نداولها بين الناس..

ولكلّ أمّة أجل.

إنّ دوام الحال من المحال...

ولا بدّ لكلّ ليلٍ من آخر.

إذا الشعب يوماً أراد الحياة.. فلا بدّ أن يستجيب القدَر.

ولن يموتَ حقٌ وراءه مُطالب.

خروج الفلسطينيين من الكويت

في أواخر صيف عام 1963 توجّهت إلى الكويت للعمل في وزارة التربية هناك. وكنت قد سمعت الكثيرعن ارتفاع درجة الحرارة في الكويت صيفاً، ولذلك عندما هبطت الطائرة بعد غروب الشمس في المطار ولفحني الهواء الساخن لم أتفاجأ كثيراً. لكن المفاجأة الحقيقية كانت عندما حلّ فصل الشتاء في ذلك العام ببرده الشديد غيرالمتوقع وبخاصة في أثناء الليل. عملت في مدرسة الفروانية المتوسطة للبنين مدة سنتين، انتقلت بعدها إلى معهد المعلمين الذي بقيت فيه مدّة خمس سنوات، وذلك قبل انتقالي للعمل في ثانوية الأصمعي مدرّساً أولاً (منسّقاً) للأحياء والجيولوجيا لمدّة ست



في صحراء الكويت بين طلاب معهد المعلمين
أثناء رحلة إلى محطة أم العيش للاتصالات

سنوات قبل انتقالي إلى وزارة التربية بصفة موجّه فني للعلوم، حيث بقيت في هذا العمل مدّة 13 سنة حتى انتهاء فترة خدمتي في الكويت في عام 1990 عقب الإحتلال العراقي لجارته العربية. وبذلك أكون قد أمضيت من عمري ما مجموعه 26 سنة في العمل التربوي في الكويت (+ سنة بدون عمل).

أما حكاية خروجي، وخروج الفلسطينيين عموماً من الكويت في تلك الحقبة فحكاية من اختصاص المؤرخين، لكني أكتفي في ما يخصني بذكر ما يلي حولها.

احتلال العراق للكويت

في صباح يوم 2 أغسطس/آب 1990 استيقظنا على أصوات بعض طلقات المدفعية الآتية من بعيد، ومن ثمّ على وجود الدبابات العراقية على شاطئ البحر، قريباً من مكان سكني في السالمية.

مكثت في الكويت مدّة سبعة شهورتحت الإحتلال العراقي. أما أسرتي فقد غادرت الكويت على دفعات: في خلال شهر سبتمبر/ أيلول توجّه إبني نزارفي طائرة عراقية من مطارالكويت إلى بغداد ومنها برّاً إلى إسطنبول للإلتحاق بجامعته هناك بعد أن حمل حقيبته مسافة نصف كيلومتر تقريباً لتعذر بلوغ المطار بالسيارة. وبعد شهر تقريباً توجّهت إبنتي مها برّاً بصحبة أسرة صديقة إلى بيروت حيث التحقت في الفصل الثاني بالجامعة الأمريكية. وفي منتصف ديسمبر/ كانون أول تقريباً غادرت زوجتي الكويت مع إبني أحمد برّاً بصحبة زوجة صديق كانت مغادرة إلى بيروت بعد أن ساءت الأحوال المعيشية هناك كثيرا وتعذرالحصول على ضرورات الحياة بما في ذلك الخبز، حيث كنا نقف في الطابور تحت الشمس لساعات قبل الحصول على ربطة خبز إن تيسّر وحصلنا عليها.

أذكر أنني رافقت زوجتي وإبني أحمد إلى بغداد لمراجعة السفارة اللبنانية هناك والحصول على إذن مرورلإبني لأنه كان مسجلاً على جواز سفري. وفي الطريق سألت سائق السيارة التي أقلتّنا إلى السفارة عن عدد

سكان بغداد فأجاب: مليون ونصف؛ مليون عراقي ونصف مليون صورة ومجسّم للرئيس صدّام.

كما أذكر أنني التقيت في الكويت جنديّاً عراقيّاً (من الجيش الشعبي وليس النظامي) كان يحرس أحد المقارهناك، وكنت أحمل كيساً في يدي، فبادرني قائلاً: «هل معك خبزة.. فأنا منذ مساء الأمس لم أذق طعاماً!». أما بعد انتهاء مهزلة أمّ المعارك ونزول الامريكيين في الكويت فقد سمعنا أن أولئك الجنود كانوا يوزعون على الصبية بعضاً من مخصصاتهم الغذائية، وكانت الوجبة لم تزل ساخنة. يومها (1990) كتبت:

كيف يقاتل الجندي يا سيّدي

وهو جائع؟

كيف ينتصر وهو مكبّل بالقيود؟

. . . .

والحزب القائد. . .

كيف توهّم النصر،

وقد قلب كلّ المعايير:

فالوحدة أضحت عداوات،

وشقاقاً. . .

وإقفال حدود!

والحرّيّة صارت إعتقالات،

وتعذيباً. . .

وتغييباً عن الوجود!

كيف يحلم بالنصر يا سيّدي

مَن حوّل مبادئه إلى شعارات

وتقديس صنمٍ يهوى الجداريّات

ويهيم بالحوار.. والتلفاز

وتمجيد الذات!

إنّ الأعمال يا سيّدي بالنيّات!

مكثت في الكويت إبان الاحتلال العراقي سبعة شهور، ومثلها بعد التحرير. حيث بقيت هناك إلى حين استقرّت الأوضاع وحصلت على تعويض نهاية الخدمة، قبل أن أغادرالكويت جوّاً في منتصف شهر سبتمبر/ أيلول من عام 1991 بعد أن شحنت سيّارتي ومعظم مقتنيات المنزل إلى بيروت برّاً.

أذكر ليلة انسحاب الجيش العراقي من الكويت أن الظلام كان دامساً، وقد رأيت في منامي في تلك الليلة أنّ الهواء لم يعد صالحاً للتنفس وأنني على وشك الإختناق... فتحت باب الشقة وخرجت علّني أجد هواء أتنفسه في الخارج فوجدت جثث الجيران ملقاة بأوضاع مختلفة على الدرج وسط هدوء طاغٍ ومخيف، فأدركت أن الموت قادم، ولن يستثني أحداً، لكنني استيقظتٌ قبل أن يدركني. وفي اليوم التالي تلبّد ت سماء الكويت بالسحب السوداء وحجبت ضوء الشمس نتيجة لإحراق عشرات آبار البترول. بعد أيّام بعثت رسالة إلى زوجتي في لبنان بدأتها بهذه العبارة: أكتب إليك في عزّ ظلام الظهر!

عندما قصدت وزارة التربية، قبل مغادرة الكويت بأيام، لقبض مستحقاتي، التقيت هناك بصديق كويتي بادر إلى سؤالي - بغرض المجاملة - عمّا إذا كنت قد عملت إبّان الإحتلال العراقي للكويت، فسارعت إلى الردّ: «أنت أيضاً تسأل هذا السؤال؟ وهل عاد إلى وظيفته وعمله مَن كان خارج البلاد (يقضي إجازته الصيفية) أو مَن وقف في الشارع يبيع الخضار وبعض مقتنيات منزله؟! ابتسم صديقي وقال بأنه هو أيضاً لن يعود إلى وظيفته في وزارة التربية، وبأنه سوف يتوجه إلى مزاولة العمل الحرّ.

أذكركذلك أن أحد الأصدقاء في الكويت، عندما علم بعزمي على

المغادرة إلى لبنان، قال: لماذا تغادر؟ لو كلّ الناس غادرت أنت يمكنك البقاء والعمل في المدارس الخاصة. قلت:

كيف أبقى والصحف تشتمنا يوميّاً؟ قال: أي صحيفة تشتمك؟ قلت: «السياسة». قال: لا تقرأها، إقرأ القبس فهي لا تشتم الفلسطينيين. قلت: يا أخي أنتم ذهبتم وتعاقدتم معنا للعمل هنا فجئنا بكرامتنا واليوم هناك حملة منظمة لترحيلنا وأنا شخصياً اخترت أن أرحل بكرامتي. من المفارقات أنني قلت في أثناء حواري مع ذلك الصديق: أنتم تكرهوننا، فلماذا أبقى؟ فكان ردّه: وهل في لبنان يحبونكم؟ ابتسمت قائلاً: معك حق، لا أحد يحبنا، لكنني ذاهب لأعيش مع أهلي هناك. (للحقيقة، إنني عندما عدت إلى لبنان عوملت معاملة طيبة من جميع الفئات). قال: وماذا ستعمل هناك؟ هل ستشتغل مقابل راتب بخمسين دولاراً؟ قلت: وهل تظن أن الشيخ جابر(أميرالكويت يومها) هو الذي يرزق العباد؟ إنّ رزق العباد هنا وهناك وفي كلّ مكان على ربّ العالمين. وفي لبنان عملت - موفور الكرامة - في جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، وعلّمت أبنائي وزوجتهم ورأيت أحفادي، واستمرّت الحياة..

هذا، وكانت الكويت قد فتحت أبواب العمل منذ الخمسينيات أمام الفلسطينيين وسائرأبناء الدول العربية إلى جانب الأعداد الكبيرة من الآسيويين، وبخاصة بعد الإستقلال في عهد الشيخ عبد الله السالم وشقيقه الشيخ صباح يرحمهما الله. بل ويرجع دخول الفلسطينيين إلى الكويت إلى العام 1936 عندما تأسس مجلس المعارف وطلب من مفتي القدس الحاج أمين الحسيني إرسال معلمين فأرسل بعثة مؤلفة من أربعة معلمين. يومها كان مجموع التلاميذ المسجلين 600 تلميذ موزعين في مدرستين (المباركية والأحمدي)، «وكان لوصول أربعة معلمين من الفلسطينيين وقع بالغ، إذ إن أعضاء المجلس، ومعهم التلامذة، ذهبوا إلى الحدود الكويتية - العراقية لاستقبالهم. وقد أُنزل المعلمون في دار الأمير خلال أيام إقامتهم الأولى. وفي السنة التالية جاءت معلمتان فلسطينيتان للتعليم في مدرسة للبنات.».

(راجع براند ص. 143)

وبعد سنة 1948 «بات توظيف الفلسطينيين في الكويت واجب قومي». وفي سنة 1964 كان في الكويت 2100 معلم فلسطيني، هم نصف مجموع المعلمين هناك آنذاك. كما وتضاعف أعداد الفلسطينيين في الكويت بعد ذلك في سائر القطاعات الخاصة والعامة حتى بلغ عددهم نحو 300 ألف فلسطيني كما أشيع. أشير في هذا المجال كذلك إلى ما أورده الدكتور عبد الرسول الموسى في كتابه (بين مدينتين) حول «إدخال الفلسطينيين لسندويش الفلافل إلى الكويت». وطبعاً أدخلوا أيضاً الكنافة النابلسية وغيرها من أصناف الطعام الأخرى إلى جانب إسهامهم في بناء الكويت الناهضة والحديثة بكل الجد والإخلاص في العمل والإستقامة وصدق التعامل... بعيداً عن النصب والاحتيال، والادعاء...

وهكذا عندما جاء الشيخ جابرالأحمد إلى سدّة الحكم وجد أمامه مشكلة الأعداد الكبيرة من الفلسطينيين الذين قد يُجبرعلى تجنيسهم، كما قيل. ولم يحلّ له هذه المشكلة سوى الرئيس صدّام حسين بعد غزوه للكويت، حيث إنّ معظم الفلسطينيين غادروا الكويت إبّان الإحتلال العراقي. وللحقيقة فإن حكومة الكويت لم ترحّل الفلسطينيين، وكلّ ما في الأمر أنّ مجلس الوزراء الكويتي أصدرقراراً بإنهاء خدمات جميع العاملين في وزارة التربية وسائر الوزارات، ثم فتح باب التعاقد مع أبناء مصر وسوريا ولبنان... إلخ. واستثنى من ذلك أبناء فلسطين والدول التي تعاطفت مع الغزو العراقي!

كان استثناء الفلسطينيين هو بيت القصيد، كما يُرجّح؛ ذلك أنّ الديوانيات وبالتالي بعض الصحف في الكويت كانت قبل الغزو العراقي تتحدّث عن تورّط الكويت بوجود عدد كبير من الفلسطينيين فيها(قُدّر بنحو 300 ألف!) وتعبّرعن الخشية من تجنيسهم وتوطينهم. ولقد نشر صديقي الطيّب الخلوق الدكتوريعقوب الحجي، إبن وزير الأوقاف يوسف الحجي في تلك الفترة، مقالة بهذا المعنى قبل الغزو العراقي للكويت، فذهبت إليه في مكتبه بجامعة الكويت معاتباً وقلت: كنت أنتظرالتهجم على وجود الفلسطينيين في الكويت من الجميع عداك.

هل تعلم يا دكتور ماذا يعني كلامك؟ هل عجزالعرب جميعاً عن استيعاب نصف مليون فلسطيني، في الوقت الذي يعمل فيه ملايين غيرالعرب في دول الخليج؟ البديل سوف يكون هجرة هؤلاء إلى أمريكا وكندا وأستراليا وأوروبا إلخ. حيث أنت تعلم وأنا أعلم أن أحفاد هؤلاء الفلسطينيين على المدى الطويل قد لا يعود بينهم وبين العروبة والإسلام إي رابط في الوقت الذي تتغنون فيه وتفاخرون بأنّ هذه الخادمة الفيليبينيّة أو تلك السريلانكيّة قد أعلنت إسلامها! هل هذا ما ترغب فيه يا صديقي؟! فأجابني: هذه وجهة نظرك. أما وجهة نظرالكويتيين فهي الخشية من الضغط عليهم لتوطين الفلسطينيين، وعند ذلك، سأصارحك بأنّ أبناء فلسطين سوف يتفوقون على أبنائنا في العلم والعمل ما يجعلنا نصبح في وطننا في وضع لا نُحسد عليه. قلت: إذا أردتم عدم التجنيس، لا أحد يستطيع إجباركم على ذلك. إنّ ذريعة التجنيس أو التوطين أمر لم يتحقق، لكن الذي تحقق فعلاً نتيجة لهذه الذريعة هو زيادة عذاب هذا الشعب المنكوب والتضييق عليه، بل وتشريده والتخلص من وجوده نهائياً! إنّ الذي يفعله بعض العرب مع الفلسطينيين لا يختلف كثيراً عمّا فعله ويفعله الصهاينة!

أذكرأنّ التلفزيون المصري كان في أثناء الإحتلال العراقي للكويت يبث برنامجاً يومياً مرّة بعنوان «العائدون إلى السويس»، وأخرى بعنوان «العائدون إلى بورسعيد»، يظن مَن يشاهده أنّ الفلسطينيين هم الذين احتلوا الكويت وليس العراقيون. كنت ذات مساء أشاهد هذا البرنامج الموجّه مع صديقي الطبيب نسيم سامي فاعور فشاهدنا طبيباً من «العائدون إلى السويس» يتهجم على الفلسطينيين ويُركّزعلى إتهامهم بنكران الجميل وبالسرقات وعلى مساعدتهم للعراقيين في غزو الكويت! سارع صديقي إلى القول: هذا الطبيب جارنا في السكن وجميع أصدقائه من الفلسطينيين، وقد ترك مفتاح بيته مع أحدهم لكي يعتني له بنباتات الشقة في أثناء غيابه، ولذا يستحيل أن يقول هذا الكلام من وجدانه، والمنطق يقول إنه مجبرعلى ذكرمثل هذه الأقوال!

في الحقيقة لم تأت تلك الإتهامات من فراغ، ورؤيتي للأمر كشاهد عايش تلك الأحداث هي كالتالي:

أولاً، بالنسبة لنكران الجميل؛ إن يكن عشرات الفلسطينيين، وبخاصة البعثيين، قد أيّدوا الغزو وفرحوا به، ربما كردّ فعل على ظلم كان قد لحق بهم أو بسبب إنتمائهم الحزبي فهناك عشرات آلاف الفلسطينيين الذين لم يؤيدوا الغزو لأنهم خسروا وظائفهم ومصدر رزقهم واستقرارهم، بل وساعد بعضهم الكويتيين في نقل سيّاراتهم وأموالهم إلى خارج الكويت. . . أذكرأن صحيفة كويتية نشرت عدّة مقالات عن تدريب فلسطينيين (ذكرت الأسماء) لعناصر من المقاومة الكويتية فردّت صحيفة أخرى بالتهجّم على مثل تلك المقالات، (لأنّ المطلوب التركيزعلى سلبيات الفلسطينيين وليس على إيجابياتهم!)

ثانياً، بالنسبة إلى السرقات؛ حدثت سرقات كثيرة شارك فيها أفراد من جميع الجنسيّات ومن بينهم فلسطينيون بطبيعة الحال، لكن التركيز كان على الفلسطينيين. أذكر أيضاً أن تريللا توقفت ذات يوم أمام العمارة التي كنت أسكن فيها وراح جزّار سوري يعاونه نواطير بنايات من التبعية المصرية يملؤون هذه الشاحنة الضخمة على مدار ثلاثة أيام بالبرادات والغسالات والتلفزيونات... إلخ. قبل نقل هذه البضائع إلى خارج الكويت. قيل يومها إنّ أكثر هذه الحمولة كانت من المسروقات وبعضها كان يشتريه أصحاب الحمولة من المغادرين. لقد تحدّث بعض العائدين إلى السويس بإسهاب عن سرقات الفلسطينيين ولم أسمع واحداً يذكرشيئاً عن السرقات التي كان يقوم بها العراقيون أو الهنود أو. . حتى الكويتيون!

كتب عبد اللطيف الدعيج (القبس ـ عدد 6571) تحت عنوان «طفح الكيل»: نعم لقد طفح الكيل. . . إنّ السرقات والتجاوزات التي اضطلعت بها قوى الأمن منذ بداية التحرير وحتى الآن قد أخذت بالتزايد والتنوع وتحولت من قضايا فردية شاذة وتجاوزات بسيطة إلى ظاهرة عامة وسرقات شاذة وبغيضة. . . وأشارت هداية سلطان السالم أيضاً إلى ذلك بقولها: إلا

أنّ البعض القليل جداً قادته شهوة الإنتقام للإمعان في ارتكاب جرائم سرقة وقتل نعرف جميعاً أنها غريبة عن مجتمعنا. فهل كان إلصاق السرقات بالفلسطينيين وحدهم مقصوداً؟ كلّ الدلائل تشيرإلى ذلك، وبخاصة عندما نعلم أنّ بعض المقيمين في السعودية وقطرذكروا إنهم كانوا يستيقظون صباحاً فيجدون على الجدران كتابات تؤيّد الغزو العراقي للكويت، حيث كانت توجّه أصابع الإتهام إلى الفلسطينيين قبل أن يكتشف المعنيون هناك أن هذه الكتابات كانت بفعل أفراد من المخابرات المصرية، وليس للفلسطينيين علاقة بها.

يومها لم يكتف الرئيس المصري (حسني مبارك) بجهود هؤلاء جميعاً فشارك بنفسه من على شاشة التلفاز في الحملة على الفلسطينيين (ربما لاستبدال العمالة الفلسطينية في الخليج بعمالة مصرية).

ثالثاً، بالنسبة لمسألة مشاركة الفلسطينيين في الغزو العراقي للكويت، الجميع يعلم أنّ العراق ـ مثل ليبيا، وبعض الدول العربية الأخرى ـ كان يموّل تنظيماً فلسطينياً (الجبهة العربية) يأتمر بأمره. ومن المفارقات أنّ هذه التنظيمات اشتهر بعضها (مجموعة أبو نضال مثلاً) باغتيال العرب والفلسطينيين وليس بالنضال ضد الصهاينة في فلسطين المحتلّة! ذكربعض الكويتيين أنهم شاهدوا فلسطينيين يقفون على الحواجز، ذلك أن صدّام حسين برغم أنّ تعداد جيشه كان يقارب النصف مليون كما كان يُشاع بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية، فإنّه أرسل بعضاً من عناصر الجبهة العربية ليقفوا على الحواجز في شوارع الكويت!

وهنا تتداعى الأسئلة وتفرض نفسها:

ـ هل كان ذلك مقصوداً بغرض الاساءة إلى الفلسطينيين؟!

ـ وهل كان مقصوداً أن يزور عرفات العراق أكثر من مرة إبان غزو الكويت ليعانق صدام حسين ويقبّله؟

ـ هل ذهب الفلسطيني إلى أقاصي الأرض (روسيا والصين والجزائر

والعراق وسوريا . . . ليتدرب على قتال عدوّه أم ليعود ويقف على الحواجز في شوارع الكويت ثم يسأل المواطن الكويتي عن هويته؟! أو ليقوم بالاغتيالات لصالح هذا النظام العربي وذلك الحاكم؟!

ـ ولماذا لم يسهل حكام العرب دخول الفدائيين إلى فلسطين ليقاتلوا محتل أرضهم؟ بل لماذا لم يشجعوهم على ذلك ويساعدوهم ويحموا نضالهم؟!

ـ ومن الذي قتل أول شهيد حاول التسلل إلى وطنه وأرضه المغتصبة ليقاتل المحتل ويقلق راحته؟ هل قتله اليهود أم العرب؟! إن التاريخ لن يرحم أحداً.

أذكر أنّ جندياً كويتياً أوقفني بعد التحريرعند أحد الحواجزوطلب هويتي. وما أن رآها حتى قال مستهجناً: فلسطيني! قلت: نعم فلسطيني، هل أنت تعلم أنني قمت بعمل مضرّ للكويت؟ فابتسم وقال: متى ستخلصونا يا أخي من عرفات هذا؟ قلت: الحكام العرب لم يأخذوا رابي عندما عيّنوا عرفات بدلاً من أحمد الشقيري رئيساً لمنظمة التحرير! وعند حاجز آخر استهجن الجندي أيضاً كوني فلسطينياً، وكان على مقربة منّا مسؤول بلباس مدني يستمع إلى حواري مع الجندي فتقدّم وأخذ منه الهوية وقدّمها إليّ قائلاً: تفضّل، هناك كويتيون خونة! استهجنت بدوري هذه العبارة لأنني أعلم ـ مثل الجميع ـ أن الكويتيين وقفوا إبان هذه المحنة التي ألمّت ببلدهم وقفة رجل واحد ضد الغزو. لكن يبدو أن لكلّ قاعدة شواذاً حيث يصعب التعميم.

خلاصة القول إنّ انطباعاتي عن الكويت والشعب الكويتي عموماً، بعد بقائي هناك فترة تربو على الربع قرن، انطباعات طيّبة، ولي في الكويت معارف في غاية النبل وحسن الخلق والمعشر، على رأسهم حمود الرومي وفيصل عبد الجادر ود. يعقوب الحجي ود. رشيد الحمد (وزيراً للتربية لاحقاً). ومع ذلك، فقد سمعت كويتياً ذات يوم ينعت الكويتيين عموماً بيهود الخليج. ولعلّ المقصود بهذا النعت الشطارة وحسن استثمارالمال والمحافظة

عليه بالإضافة إلى التعالي والإعتقاد بالتميّز! ذلك أنّ أكثرما يلفت النظرفي ما يتعلق باليهود ادعاءهم بأنهم شعب الله المختار!

أضيف إلى هذا فقط أنّ حكومة الكويت تمنح الإيراني الجنسيّة (درجة ثانية ـ مال ثاني)، والكويتي يُسمّي الهندي «رفيق»، أما العربي فيُعتبر أجنبياً (أينبي)! ويسمع هذه الكلمة تطرق مسامعه وتؤذي مشاعره يومياً تقريباً. وللمقارنة فقط، ولأخذ العبرة، أشير إلى أن الأجنبي والعربي في الإمارات العربية ودبي لا يسمع كلمة أجنبي، ويشعر بالإنتماء والحرص على مصلحة البلد وكأن الامارات بلده.

كما وأكتفي بالإشارة إلى بضعة أمثلة تدل على الكبر والإستعلاء وربما الظلم الذي كان يعاني منه غير الكويتي في الكويت: تأخر أحد المعلمين عن تحية العلم في طابور الصباح في إحدى المدارس الإبتدائية فبادره مدير المدرسة بالقول مؤنباً «لماذا تأخرت عن تحية العلم؟ «فقال المعلم بأنه كان يحلق ذقنه. ردّ المديرعليه بالقول: «وهل كنت تجد ثمن شفرة الحلاقة لولا أموال الكويت؟! يجب أن تأتي مبكراً لتحيّي العلم الكويتي». ثمّ تصوّرحال معلم يهدّده تلميذه بالتسفير إن هو لم يتركه يغش في الامتحان! وأخيراً، عندما صرفت حكومة الكويت ذات مرّة علاوات بدل أعمال إضافية (كان غير الكويتي يقوم بمعظمها) جاءت العلاوات للكويتي أضعاف علاوات غير الكويتي. يومها أشارت الصحف إلى الإجحاف بحق الموظف غير الكويتي، فظهر المستشار الديني للحاكم على شاشة التلفاز ليقول: «ومتى كان من حق الخادم أن يُطالب سيّده بزيادة أجره؟!»

وفي ما يتعلق بالظلم أيضاً أشير إلى القانون الذي كان يحرّم على الشاب الفلسطيني (الذي لا بلد له) بالبقاء في الكويت بعد التخرّج إن لم يكن لديه إقامة عمل(!) أي أن الشاب الفلسطيني الممنوع من دخول جامعة الكويت والذي يقاسي من البطالة وعدم إيجاد عمل عليه أيضاً أن يغادرالكويت ويُحرم من البقاء مع عائلته التي تعيله. فهل هناك ظلم أقسى من مثل هذا الظلم وأبشع؟! قيل إنّ أحد رجال الدين الكويتيين أنجز خطبة يوم

الجمعة في أحد المساجد إبّان الإحتلال العراقي في أقلّ من دقيقة واحدة حيث قال بعد أن حمد الله وأثنى على رسوله:

«ظَلَمنا فظُلّمنا. أقم الصلاة». ثم نزل عن المنبر.

ماذا قال الكويتيّون أنفسهم

إن ما ذكرته آنفاً أكده الكويتيون أنفسهم، بل وقالوا أكثر! فبعد التحرير أثيرجدل طويل في الكويت حول الظلم الذي لحق بالفلسطينيين هناك، وفي ما يلي مقتطفات من مقالات نشرتها الصحف الكويتية (خاصة القبس) حول هذه المسألة.

كتبت حليمة الأنصاري في «القبس» **(العدد 6571 ـ الثلاثاء 1991/7/9)**

مقالة بعنوان: «هل من الحكمة معالجة الخطأ بخطأ مثله؟» ومما جاء في هذه المقالة:

أيها الكويتيون، تعالوا لنقف قليلاً مع أنفسنا نحتكم إلى العقل... تعالوا نسأل أنفسنا... هل عدلنا؟... إنّ أول ردّ فعل غير عادل كان هو التعميم.. وأخذ الكل بجريرة البعض، وإنزال العقاب على الشعوب لمواقف حكامها... إذا أردنا أن نطبق مبدأ عقاب الشعوب الجماعي، أعتقد أننا أولى بهذا العقاب (لوقوفنا حكاماً وشعباً وصحافة وكتّاباً وشعراء إلى جانب الطاغية في حربه مع إيران)... وهكذا ساهمنا في قتل الآلاف من الشعب الإيراني والعراقي أيضاً... فإذا كان لنا الحق في معاقبة أي شعب لموقف حكومته.. فلنعط هذا الحق للشعبين العراقي والإيراني لمعاقبتنا أيضاً.

كلا.. لا يجوز أن نكون مسلمين ونرفع شعار الظلم.. ولا يجوز أن نكون مسلمين ونصدر أحكاماً بالتعميم.. ولا يجوز أن نكون مسلمين ونهين كرامة الإنسان ونعرّضه للإذلال..

أيها الكويتيون.. إذا كان البعض أساء وتنكّرلهذا البلد فهل نتنكر نحن للجميع..؟؟

إنّ الشرفاء يبقون هم الأكثرية... وهل نحن معصومون من الخطأ.. أوليس البعض منا قام بتصرفات سيئة كانت مثارسخط؟.. أوليس البعض منا يطلق أسماء وألفاظاً على كلّ مَن هو غيركويتي، وكأنّ الكويتي منزّل من السماء؟ أوليس البعض منا كان يهدّد بالتسفير كلّ مَن هو غير كويتي، فقط لأنه غير كويتي؟؟.. أليست هذه بعض السلبيات التي جعلت البعض أيضاً يسيء إلينا أو ينكرالمعروف؟؟.. لنقل كلمة صدق في حق أنفسنا ولنتذكر أيضاً أنّ الكثيرين عاشوا بيننا سنوات طويلة، وعملوا معنا بإخلاص، وكانوا من أوائل المعلمين والأطباء والمهندسين، وليس من العدل اتهامهم جميعاً بنكران المعروف... ولا ننسى اننا لا نرزق أحداً بل الله هو الرزاق الكريم..

وفي مقالة أخرى في الصحيفة نفسها (عدد السبت 13/ 7/ 1991) وتحت عنوان «ماذا نعني بالمتعاونين؟» أشارت الكاتبة نفسها إلى أنّ الأموال كانت تصل بطرق سرية إلى الكويتيين الصامدين الرافعين لواء العصيان المدني، ولكن كيف يعيش غيرالكويتي إن لم يعمل مع العراقيين؟ وهو يسأل: «وهل كنتم ستصرفون لنا رواتبنا، أو حتى نصفها لنستطيع البقاء، والصمود مثلكم؟؟»

وكتبت د. بدرية عبد الله العوضي في المسألة نفسها مقالة بعنوان «تهمة التعاون مع العدو وسيلة حديثة للإبتزاز». كما كتب سعود السمكة مقالة بعنوان «نعم للعدل.. لا للظلم».

وكتب عبد اللطيف الدعيج في المعنى نفسه فقال.

(القبس ـ عدد يوم الأربعاء 1991/7/17)

يبدو أنّ مرارة الإجتياح وآثام الغزو قد طغت على سلوكنا وتملكت علينا مشاعرنا ودفعت بنا تحت ضغط الإنتقام، أو الإقتصاص إلى الإساءة للأصدقاء قبل الأعداء، للشرفاء قبل مَن خانوا العهد... على أي قانون أو شريعة سيحاكم مَن داوم بوظيفته؟

يقال لنا بأنّ العصيان المدني يشمل الجميع... باستثناء موظفي الكهرباء والماء والصحة. لقد حاول الغزاة إرغام الكثيرين على العمل،

البعض بقوة السلاح والبعض بالتهديد والإتصال التلفوني والأغلبية من خلال البيانات والإنذارات العامّة. . إنّ الجميع داوم تحت الضغط القسري... أيها السادة دعونا نسألكم بصراحة...

مَن سيحاكم مَن...؟ هل من حق مَن ساح في بلاد الله أن يحاكم مَن ظلّ تحت تهديد القتل والبطش؟

أتقوا الله يا جماعة وثوبوا إلى رشدكم...

أما عن الفلسطينيين بالذات فقد دافع كثيرون، أذكر منهم «أبوفهد» الذي أبرز في سلسلة مقالات دور الفلسطينيين في المقاومة ومساعدة الكويتيين، ما حدا بأبي ليلى الغزي أن يشكره بقصيدة طويلة جاء فيها:

(الفجر الجديد ـ عدد يوم الأربعاء 11/6/1991)

أبا فهد جُزيت عظيم أجر	فقد زلت الغمامة والضبابا
عن الشعب الفلسطيني المعنى	بنار الخلف أصلوها عبابا
شهور الغزو أضنتنا بنكرٍ	ودمع العين نذرفه سكابا
وعشنا في ضياع وابتلاء	وضلّ الفكر لم يُلهم صوابا
وما ذنب الشعوب بحق ربّي	إذا سلكت قيادتهم مخابا
فكم من مغرض يهوى أذانا	وكم من ناقم يبغي خرابا
نوايا الشرّ دبّرها أناس	يريدون الوقيعة والمصابا

ومنهم «صامد كويتي»، وفهد مشاري، ود. قصي الشطي، ود. بشارة بحبح، وحمد الرومي وكيل وزارة الإعلام الكويتية، والدكتور سليمان العسكري، ومحمد جاسم الصقر صاحب صحيفة القبس وسواهم.

ذكر «صامد كويتي» عدة أمثلة عن فلسطينيين (وسواهم) ساعدوا الكويتيين ثم فقدوا وظائفهم بعد التحرير أو صُنّفوا ضمن «الطابورالخامس»! وقال: «إننا بقدر ما نلوم الإعلام الأردني والسوداني مثلاً في تضليل الشارع العربي نلوم أيضاً الإعلام الكويتي في تضليل أهلنا في الخارج. لقد أهمل

الإعلام الكويتي والعربي المآسي التي تعرّض لها الفلسطينيون على أيدي الغزاة العراقيين...»

ورداً على مدير المدرسة (جمعة ياسين) كتب فهد مشاري (صامد ومعتقل وأسير خليجي) مقالة بعنوان «لا يا أستاذ. . لا يا معلم» جاء فيها:

«... حتى جاء اليوم الذي دخل علينا فيه أحد رجال الإستخبارات العراقية المختصين بالتحقيق مع المعتقلين وأخذ يسأل كل معتقل عن تهمته، فما كان من الفلسطيني (سامر) عندما جاء دوره في الجواب إلا أن قال: تهمتي المقاومة المسلحة... فصاح فيه الضابط العراقي: وتقولها بفخر...؟! إننا ندافع عنكم وعن انتفاضتكم يا إبن الكذا وكذا وكذا... وبعد يومين من هذه الواقعة أعدم سامر ومعه أشرف وهو أيضاً فلسطيني ومعهما سبع رجال كويتيين...»

وكتب د. قصي الشطي (مجلة المجلة ـ عدد إبريل 1991): «... فحسب كلام أهلنا في الكويت هناك أفراد قليلون تعاونوا مع قوات الإحتلال، لكن الأغلبية بقيت كما هي، بل إن عدداً غيرقليل من الفلسطينيين أيّد أهلنا، وساعدهم وحماهم».

كما كتب الدكتور بشارة بحبح في المجلة نفسها والعدد نفسه مقالة بعنوان «ما حدث خلال الإحتلال تجاوزات عدد قليل من الفلسطينيين».

أما الدكتور سليمان العسكري فكتب أيضاً في المجلة نفسها والعدد ذاته: «يجب أن نعلم جميعاً أنّ الأحداث التي تقع بين الحين والآخر بحق الفلسطينيين في الكويت إنما هي من صنع المجموعات الفلسطينية التي تنتمي لحزب البعث العراقي سواء المجموعات المسلحة منها التي أدخلها العراق إلى الكويت بعد الغزو... والجانب الآخر من الحوادث هو من صنع بعض العناصر التي كانت تقيم في الكويت قبل الغزو وكانت تنتمي لحزب البعث العراقي..».

وأما محمد جاسم الصقر فنشرمقالة طويلة في صحيفته القبس بعنوان «مَن يجرؤ على الكلام؟»، لخص فيها الموضوع بما يلي:

الكتابة وفي هذا الوقت بالذات، حول علاقة الكويت بالمقيمين العرب عامة وبالفلسطينيين منهم على وجه الخصوص، أشبه ما تكون بالسير في حقل ألغام محاط بالقناصة من جميع الجهات... فبينما كان المواطن الكويتي يرى في وجود المقيم العربي على أرضه وإتاحة فرصة العمل له نوعاً من «الإحسان» الذي توجبه على الكويت الدواعي الإنسانية والإسلامية والعربية، وبالمقابل، يفرض على المقيمين العرب حق الشكر والعرفان والإمتنان، كان المقيم العربي يشعر بنوع من العتب إن لم نقل من الغضب لأنه «أفنى عمره وأضاع شبابه في خدمة الكويت» دون أن يكون له أي حق سوى تعويض نهاية الخدمة إذا عاش حتى سن التقاعد ...هذا من جهة، ومن جهة أخرى، بينما كانت الكويت تنظر بقلق مشروع إلى الأعداد المتزايدة للجاليات عامة والفلسطينية منها خاصة، وتبحث دون نجاح يُذكر عن طرق مقبولة لمعالجة الخلل الواضح في تركيبتها السكانية، فتعمد إلى الحدّ من الخدمات التعليمية لأبناء المقيمين، وتجعل من دخولهم جامعة الكويت حلماً بعيداً، وتلغي إقاماتهم بعد سنّ معيّنة...

كان المقيمون العرب الذين قضوا في الكويت سنوات طويلة يقارنون أوضاعهم بأحوال إخوانهم الذين اتجهوا في هجرتهم نحو الغرب فيشعرون بإحباط مرير.. . ولا أنكرأبداً أنّ شريحة غيرضيقة من الشعب الفلسطيني كانت ضمن كورس (المهللين)، ولكني ـ بنفس الوقت ـ لا أستطيع أن أتجاهل أبداً أنّ نصيب الفلسطينيين المقيمين في الكويت من هذه الشريحة كان ضئيلاً، وضئيلاً جداً. ولا أستطيع أن أتجاهل أبداً أنّ مقابل هذه القلة وقف أكثرالفلسطينيين المقيمين في الكويت مشدوهين من هول الصدمة وعمق الكارثة. بينما تجاوز الباقون هول الحدث فاختاروا طريق الحق والخلق والوفاء فلم يدخروا جهداً بحماية الكويتيين وأموالهم، وفي مساعدة المقاومة الكويتية ودعمها، بل وفي الإنضواء تحت جناح العمل العسكري منها. غيرأن عوامل ثلاثة تضافرت وتشابكت لتجعل الصوت الفلسطيني ضمن كورس

حفل الزار (المهللين للغزو) أكثر وضوحاً وصراخاً في آذان الكويتيين من جهة، ولتمحو من ذاكرة الكثيرين منا جهود وأصوات ومواقف الفلسطينيين الذين وقفوا معنا. أول هذه العوامل ما قام به طاغية بغداد نفسه حين ضمّ بعض فلسطينيي العراق إلى الجيش الشعبي وأعطاهم من المهام القذرة ما يشوّه صورة الفلسطينيين جميعاً في أعين الكويتيين وصدورهم. وثاني هذه العوامل، بهلوانية الرئيس ياسر عرفات حين هرول إلى بغداد ليحتضن طاغية بغداد ويقبل كتفيه وهو الذي نصبته الدول العربية والخليجية منها على وجه الخصوص «ممثلاً» وحيداً في حفل كبيرحضره الجميع إلا الشعب الفلسطيني نفسه. وثالث هذه العوامل، هو أنّ الفلسطينيين كانوا آخر من تعتقد الكويت إمكانية وقوفهم ضدها...

(هذا بفعل الإعلام الذي شوّه صورة الفلسطيني ـ راجع مقالة راجح خوري بعنوان «فنّ تشويه السمعة الفلسطينيّة» التي سبقت الاشارة إليها).

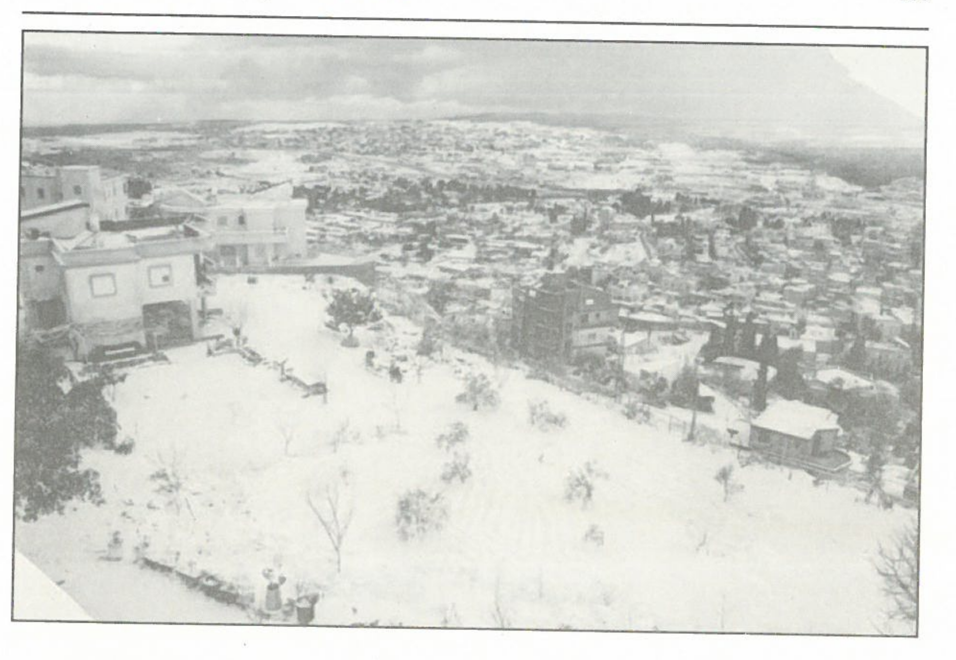
ونعود ثانية لنختم مردّدين: وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة...

إذا ما قارنا ذلك بظلم العدو الصهيوني! ذلك أن المساعدة وليس الظلم هي المنتظرة من ذوي القربى.

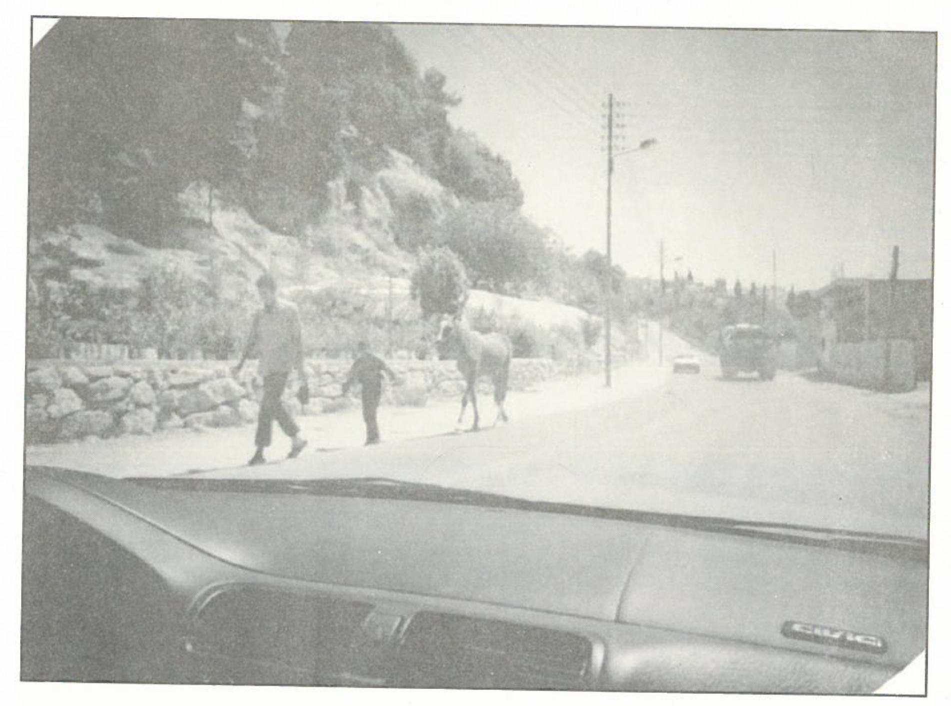
أختم هذه الصفحات السوداء من تاريخنا بكلمات مضيئة للشيخ زايد الذي عندما أخبروه أن نسبة الوافدين العاملين في الإمارات تقارب 80% قال الرزق رزق الله، والمال مال الله، والخلق خلق الله، والأرض أرض الله... واللي يبينا حياه الله. رحم الله الرئيس الإنسان الشيخ زايد آل نهيان.

(أنهيت كتابة هذا الكتاب ومراجعته في الربع الأول من عام 2014، ولقد دوّنت فيه بعض أحداث الخروج من فلسطين والكويت ـ كشاهد عايش تلك الأحداث، ولم أعايش أحداث الأردن (1970)، وأحداث لبنان (1975 ـ 1982)، و..).

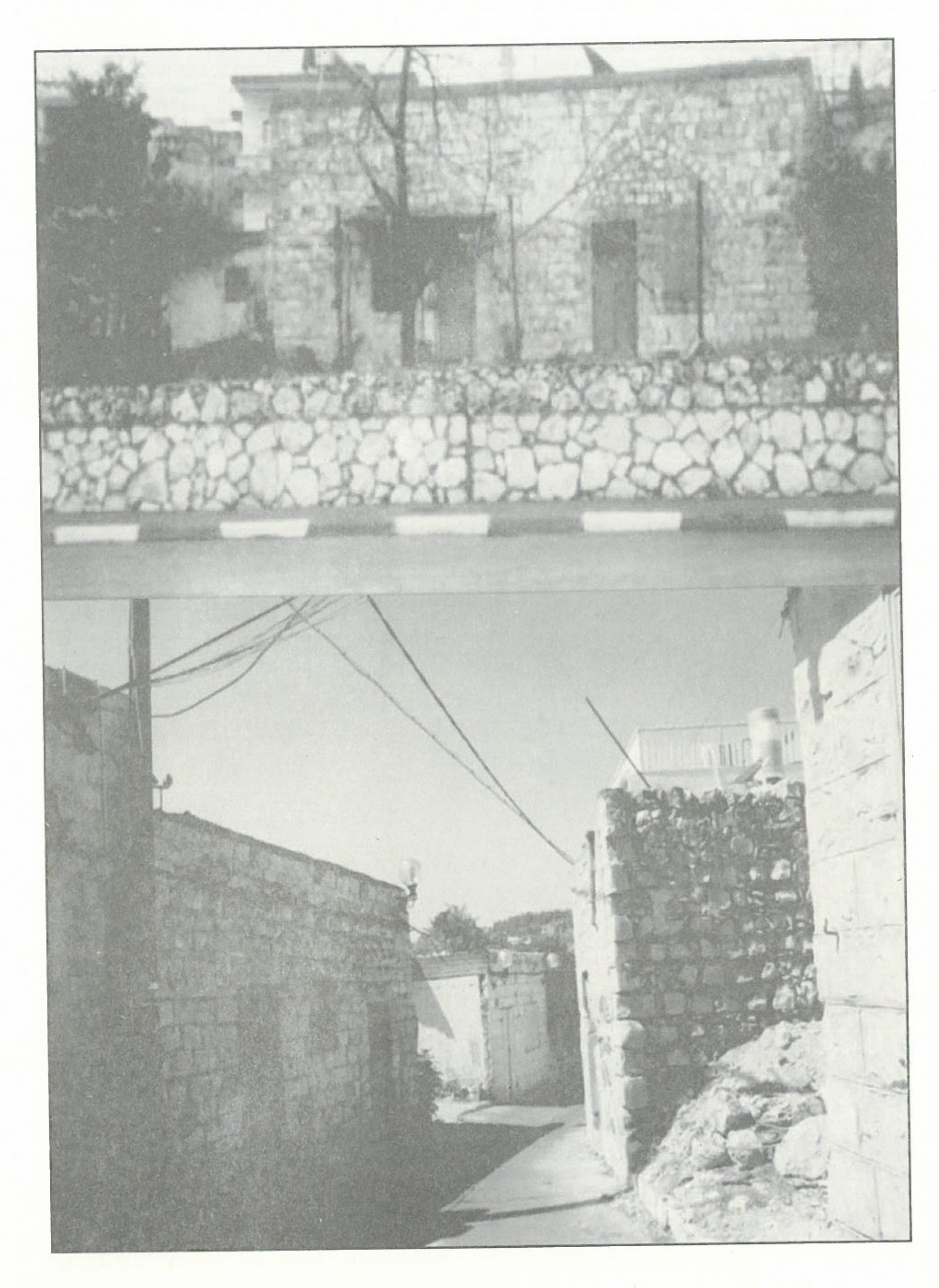
ملحق الصور



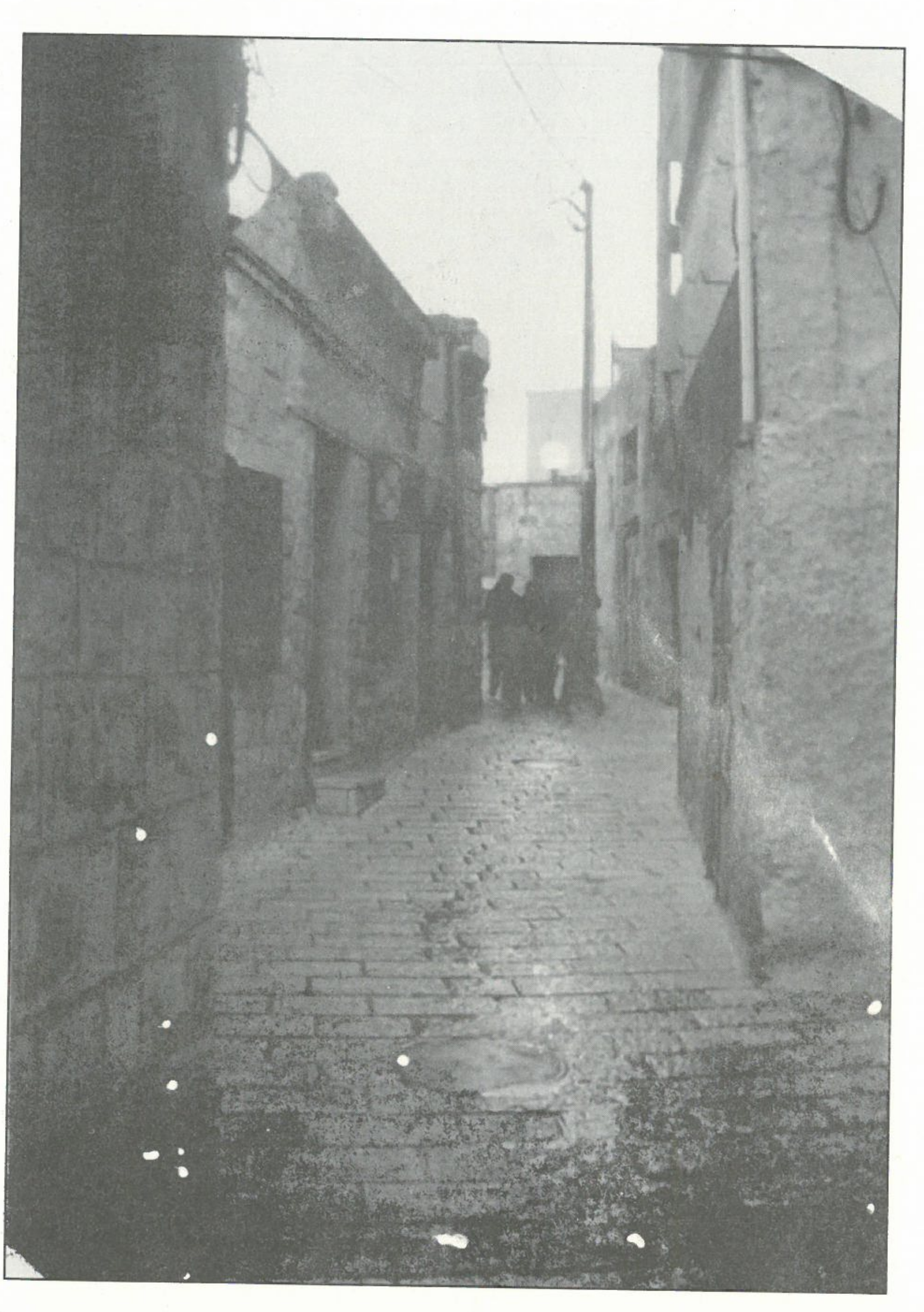
ترشيحا في فصل الشتاء



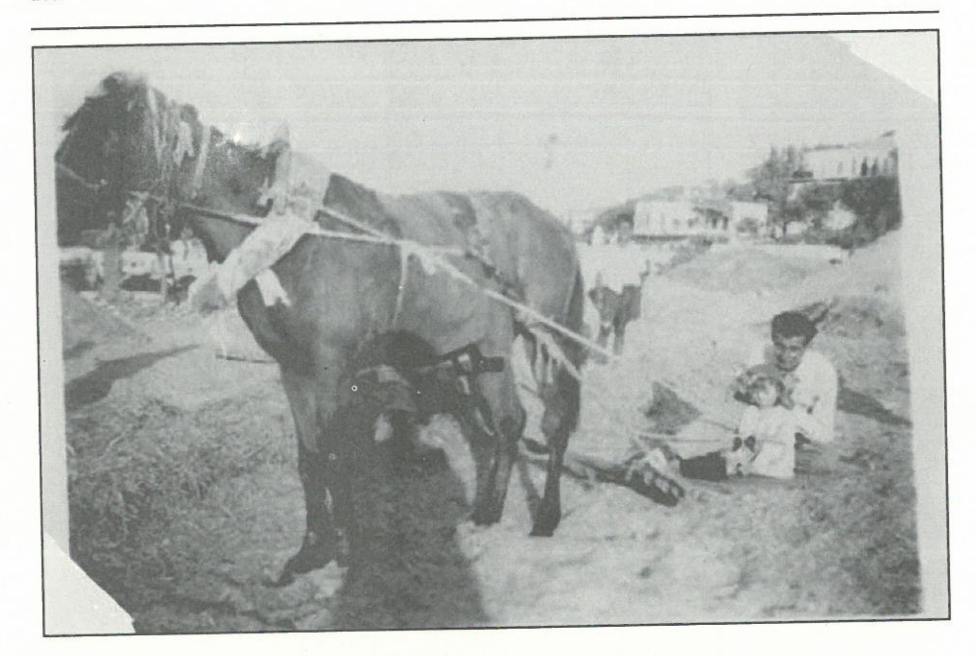
مدخل ترشيحا الشمالي



من بيوت ترشيحا سنة 1948



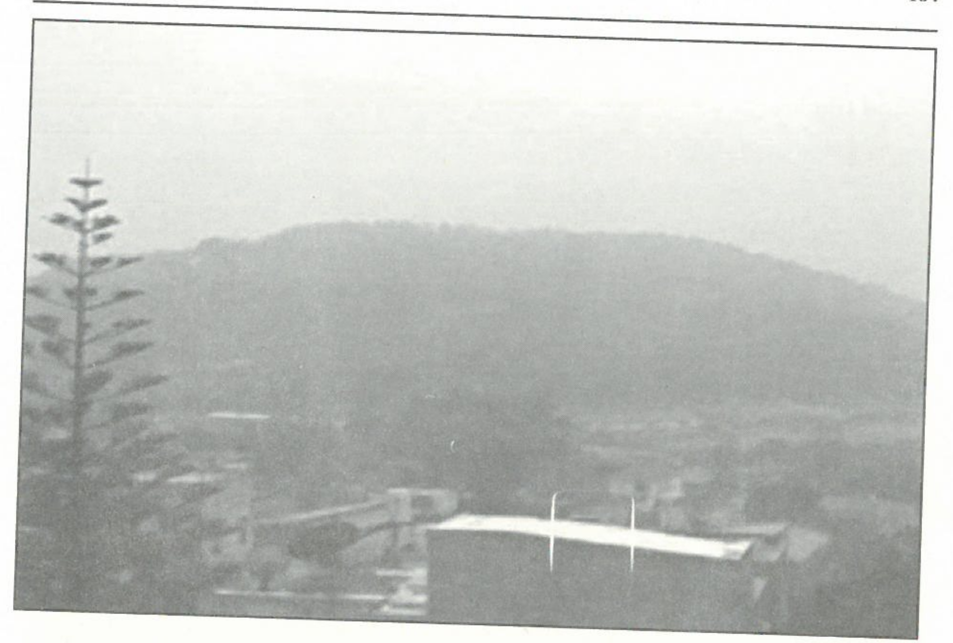
داخل بلدة ترشيحا



البيادر (أحمد كمال آغا)



ترشيحا سنة 1948



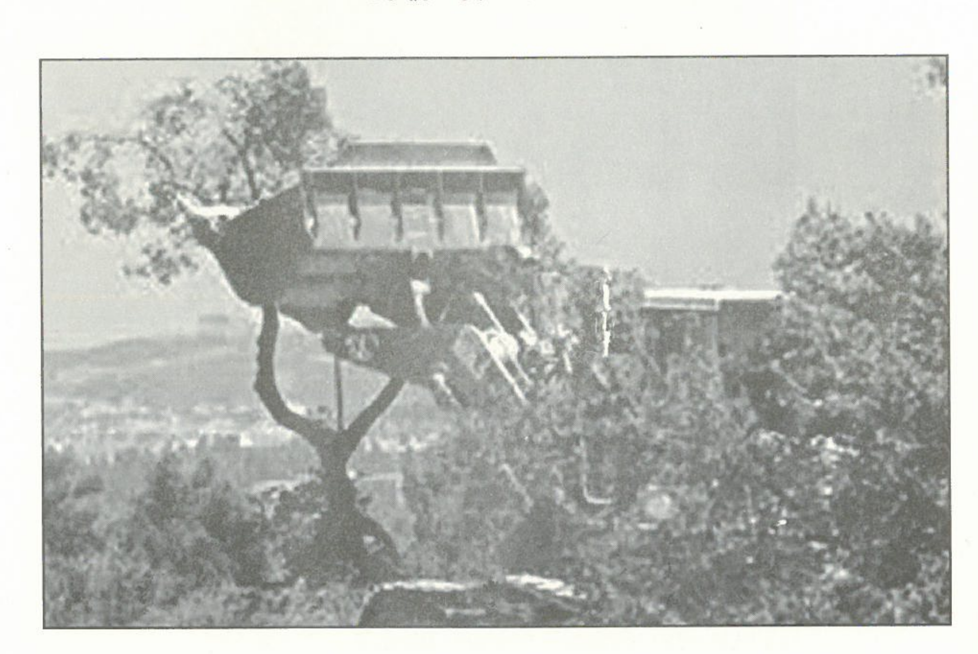
جبلة أبو سعد



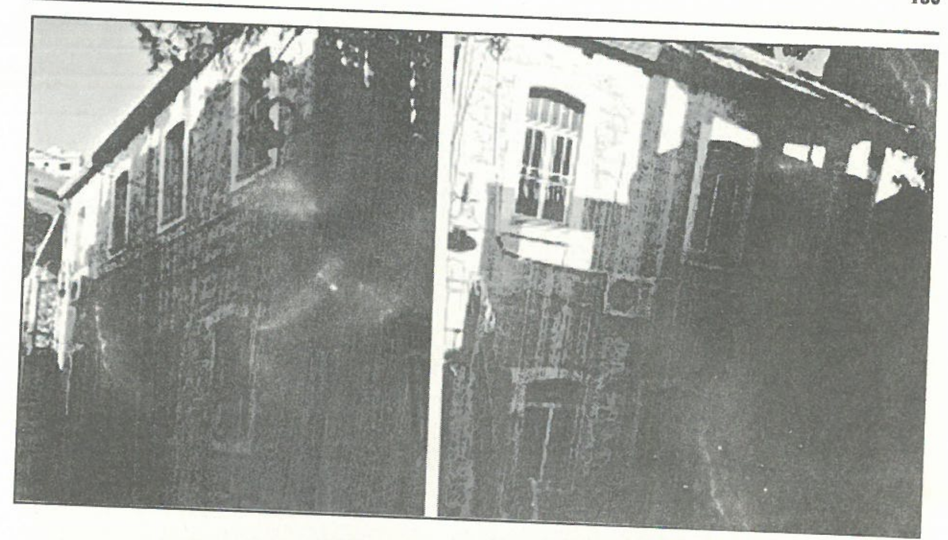
كبش الدخان



دفاعا عن شجر الزيتون



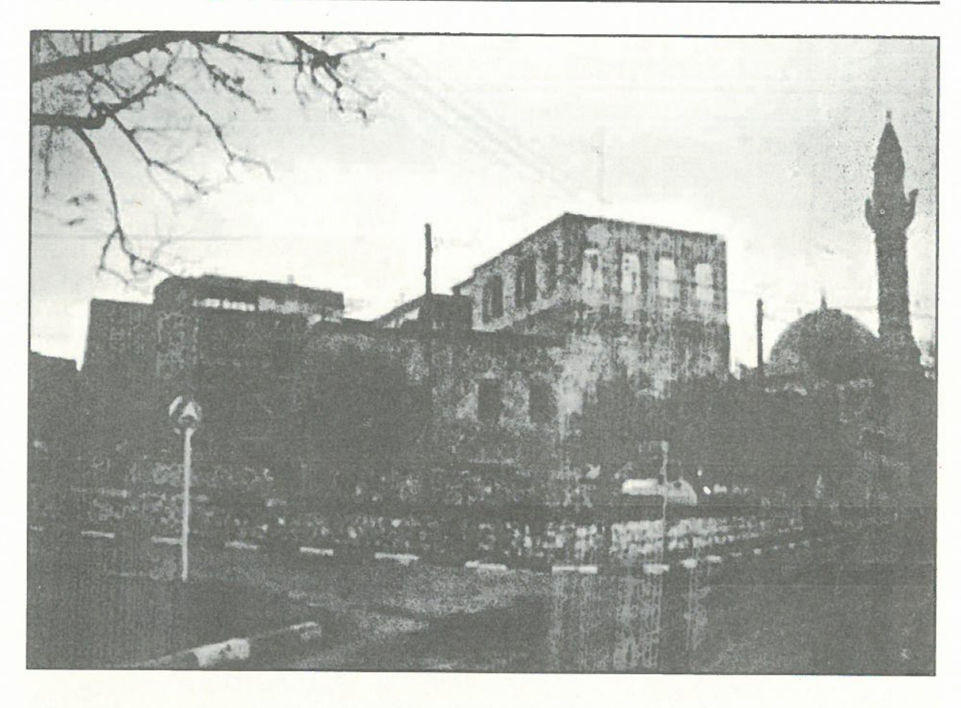
ويقلعون شجر الزيتون



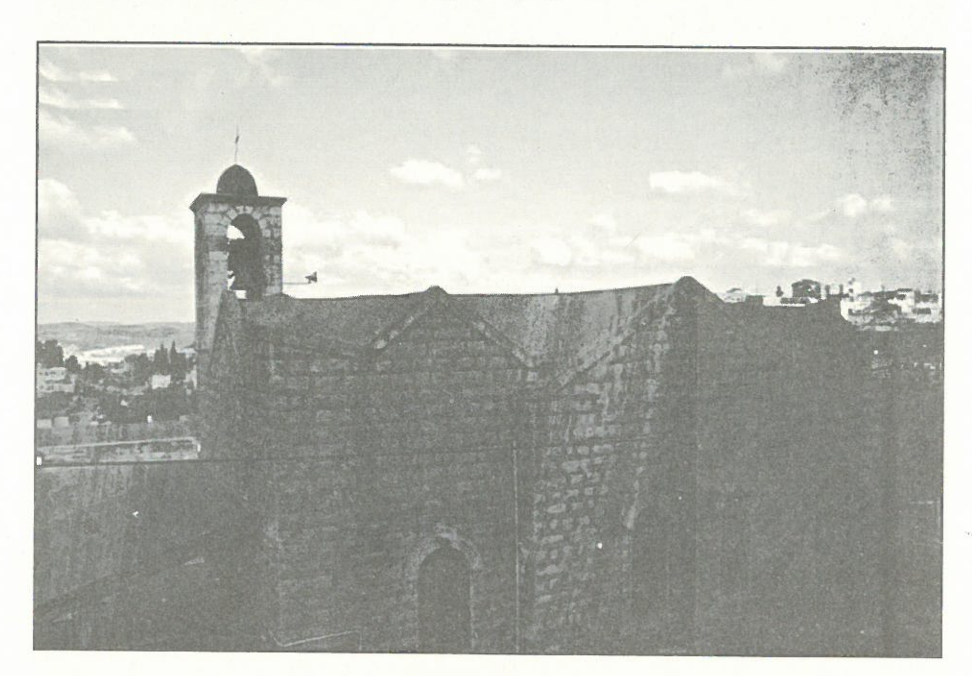
مدرسة ترشيحا للبنين قبل سنة 1948م



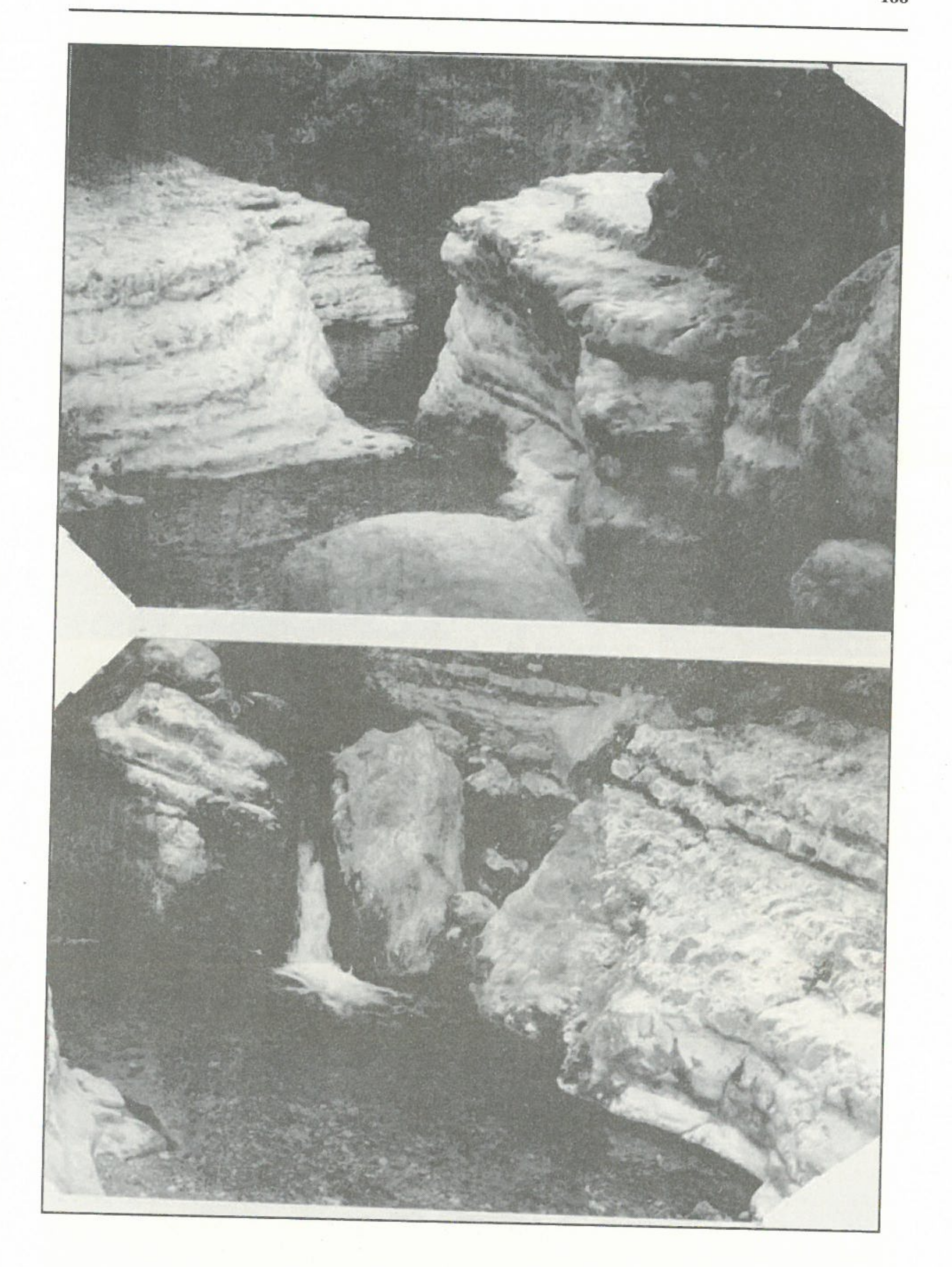
الصورة الوحيدة للمؤلف في فلسطين - حيفا 1947



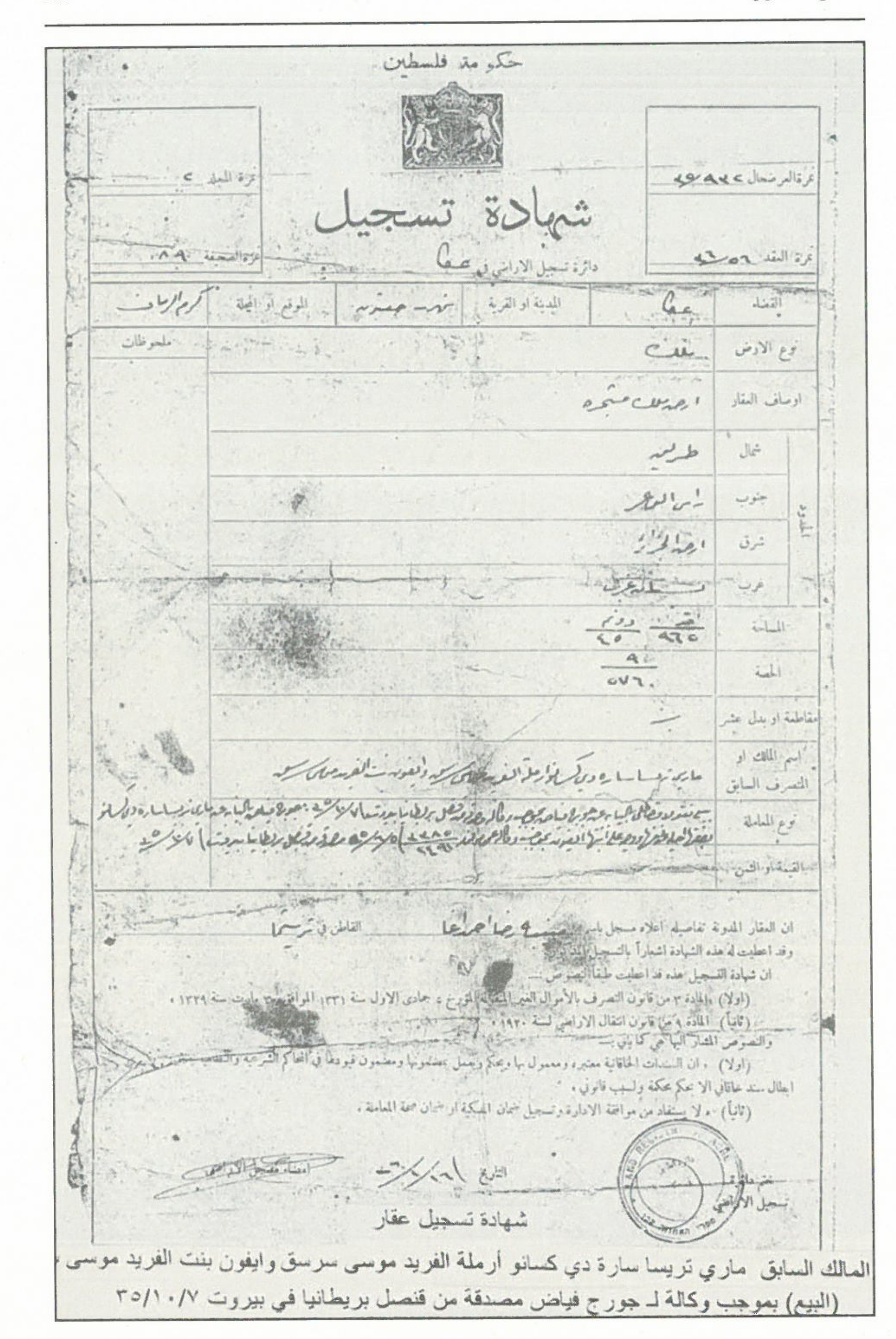
جامع ترشيحا



كنيسة ترشيحا



وادي القرن



حكومة فلسطين

نمرة الرصنحال

نمرة المجلد

شهادة تسجيل

دائرة تسجيل الاراضي في عكا

نمرة العقد

نمرة الصحيفة

القضاء	المدينة او القرية	الموقع او الجهة
عكا		

نوع الارض

اوصاف العقار

الحدود: شمال، جنوب، شرق، غرب

المساحة

الحصة

مقاطعة او بدل عشر

اسم المالك او المتصرف السابق

نوع المعاملة

القيمة او الثمن

ملحوظات

ان العقار المدونة تفاصيله اعلاه مسجل باسم ... القاطن في ...
وقد اعطيت له هذه الشهادة اشعاراً بالتسجيل المذكور.
ان شهادة التسجيل هذه قد اعطيت طبقاً للنصوص :-
(اولا) المادة ٣ من قانون التصرف بالأموال الغير المنقولة المؤرخ ٥ جمادى الاول سنة ١٣٣١ الموافق ٣ مارت سنة ١٣٢٩ ،
(ثانياً) المادة ٩ من قانون انتقال الاراضي لسنة ١٩٢٠ ،
والنصوص المشار اليها هي كما يلي :-
(اولا) ان السندات الخاقانية معتبرة ومعمول بها وتحكم وتعمل بمضمونها ومضمون قيودها في المحاكم الشرعية والنظامية ... ابطال سند خاقاني الا بحكم محكمة ولسبب قانوني ،
(ثانياً) لا يستفاد من موافقة الادارة وتسجيل ضمان الملكية او ضمان صحة المعاملة .

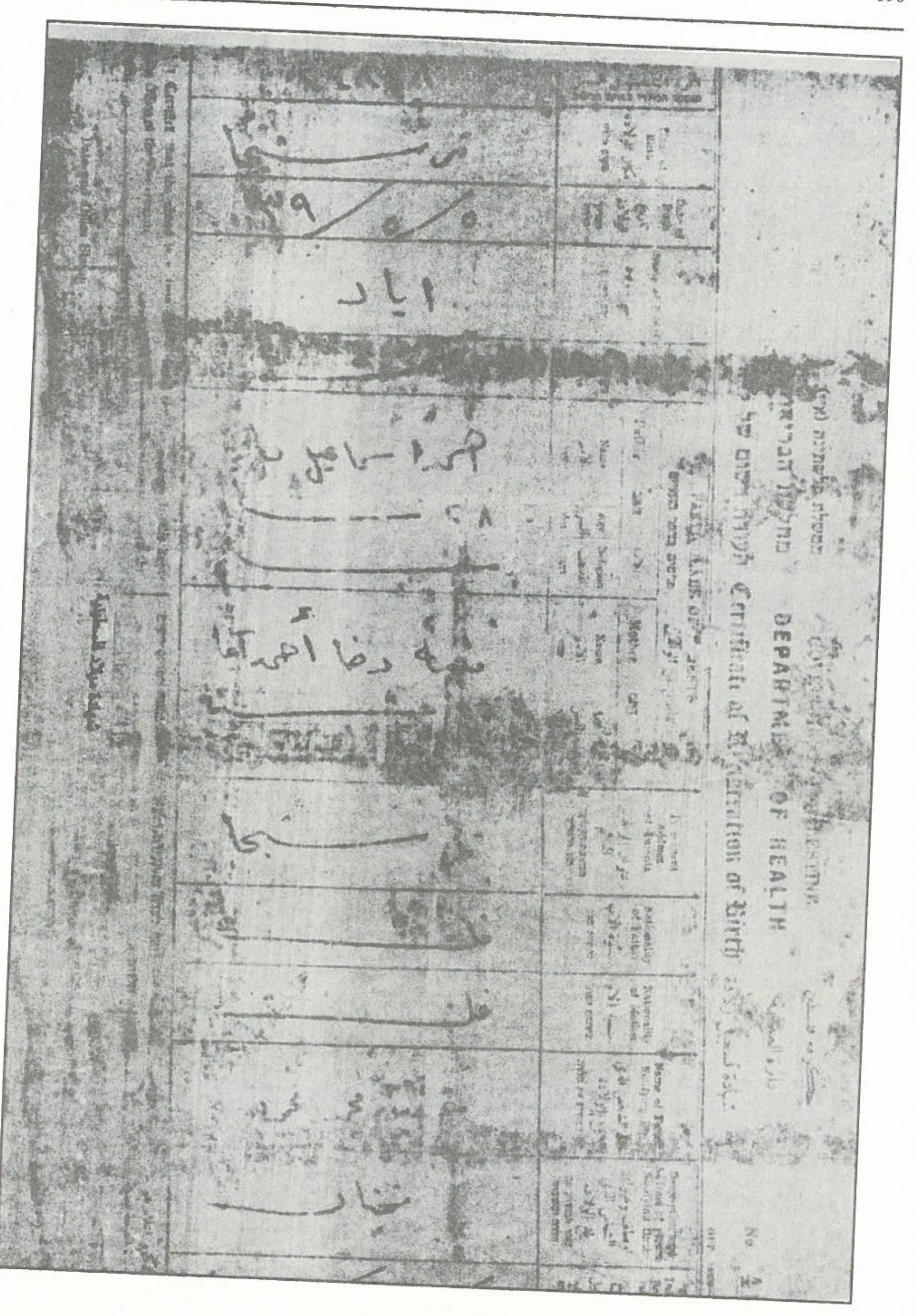
ختم مأمور تسجيل الاراضي

التاريخ

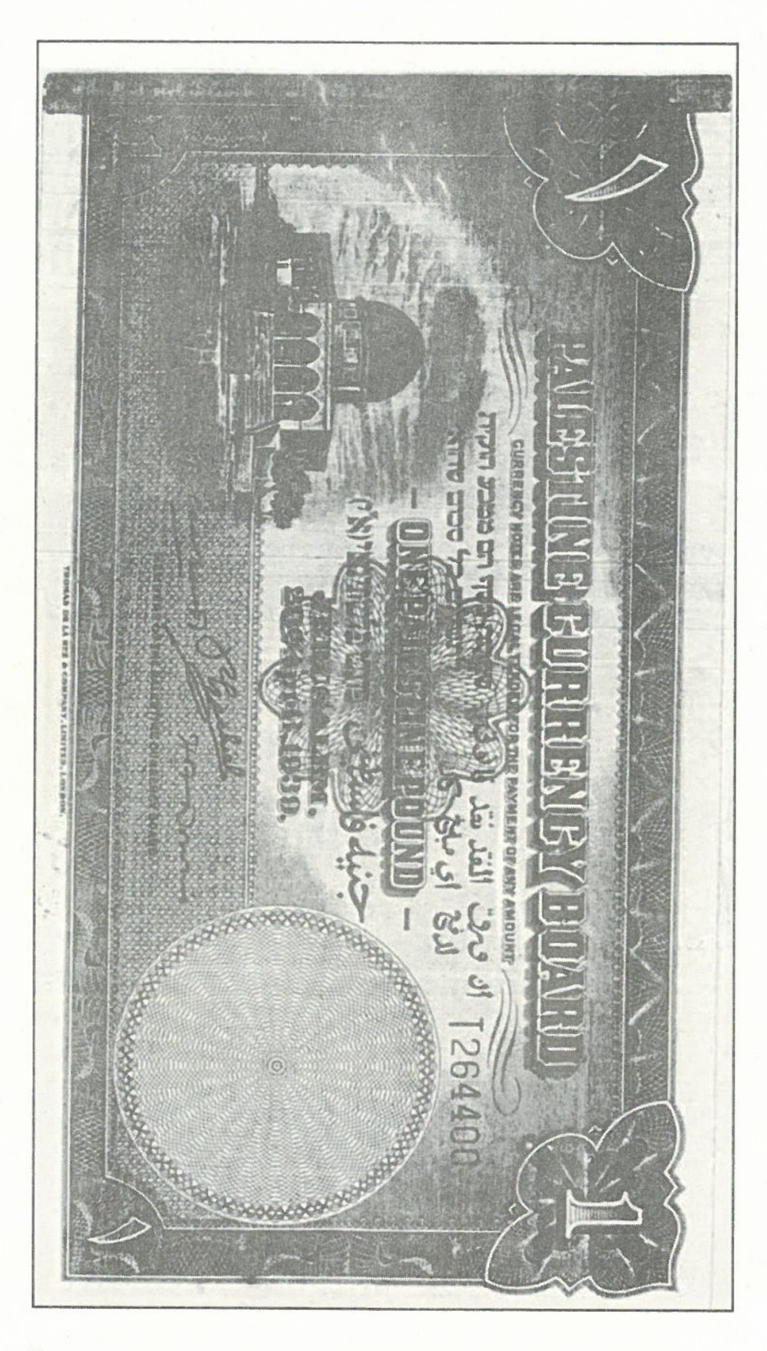
امضاء مسجل الاراضي

شهادة تسجيل عقار

المالك السابق ماري تريسا سارة دي كسانو أرملة الفريد موسى سرسق وايفون بنت الفريد موسى (البيع) بموجب وكالة لـ جورج فياض مصدقة من قنصل بريطانيا في بيروت ٣٥/١٠/٧


DEPARTMENT OF HEALTH
Certificate of Registration of Birth

شهادة ميلاد فلسطينية



الجنية الفلسطيني



عبد القادر الحسيني وسط رفاقة المناضلين (الجالس أمامه المجاهد إبراهيم أبو دية) 1948



فوزي القاوقجي عند وصوله إلى قرية جبع قرب نابلس في بداية شهر آذار/مارس 1948



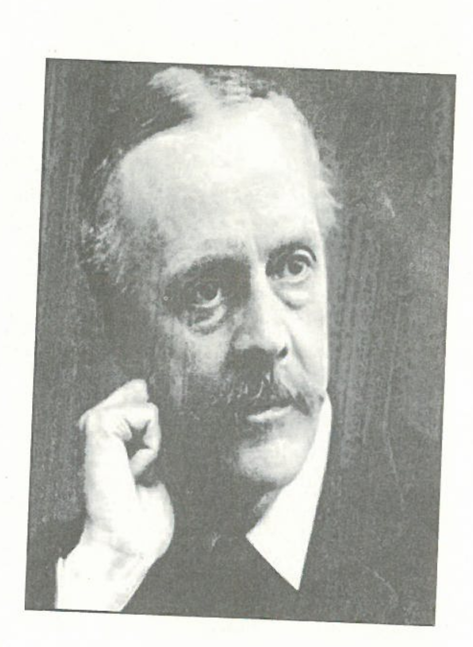
الحاج أمين الحسيني والملك فيصل الأول سنة 1925



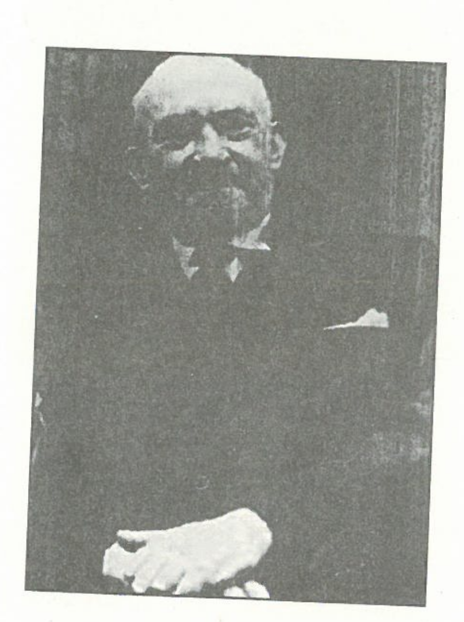
الملك عبد الله الأول



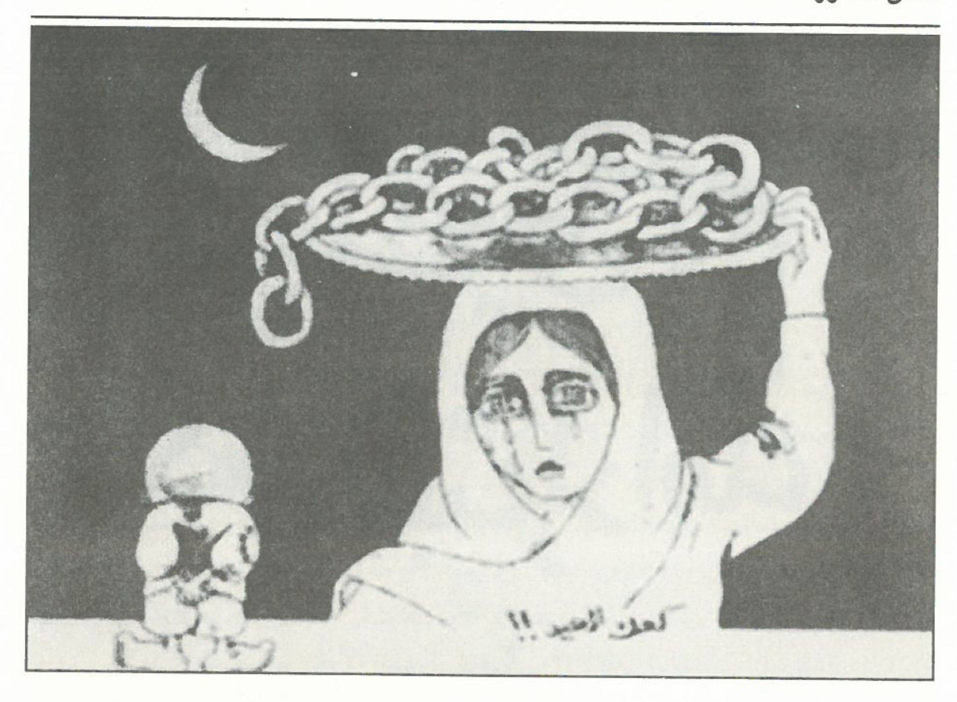
غلوب باشا



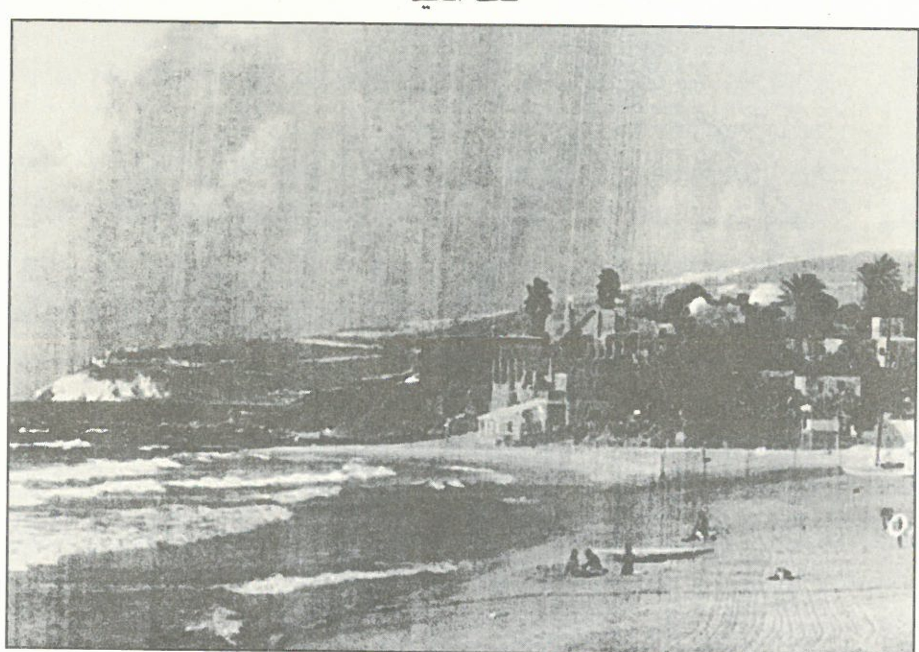
ارتر بلفور



حاييم وايزمان



كعك العيد



شاطىء بلدة الزيب التي تبعد عن حدود لبنان (الناقورة) نحو ثلاثة كيلومترات. وكان أهل ترشيحا يقصدون بحرها (البأباء) صيفاً للسباحة على بعد نحو عشرين كيلومتراً من البلدة إلى الغرب



من أعمال ناجي العلي

المراجع

1 ـ وليد الخالدي: كي لا ننسى ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

2 ـ مصطفى مراد الدبّاغ: (1974)، بلادنا فلسطين ـ الجزء السابع، القسم الثاني، دار الطليعة ـ بيروت.

3 ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية: (1986 ـ الطبعة الثانية)، حرب فلسطين 1947 ـ 1948، (الرواية الإسرائيلية الرسمية)، ترجمة: أحمد خليفة.

4 ـ زهير غنايم ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية: (1999)، لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ـ 1864 ـ 1918. الطبعة الأولى ـ بيروت.

5 ـ مروان الماضي: عكا ـ قصة مدينة، دائرة الإعلام والثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، سلسلة المدن الفلسطينية (2).

6 ـ رأفت فهد مُرّة (2006): دليل اللاجئين الفلسطينيين في لبنان ـ دراسة ميدانية. مركز العودة الفلسطيني ـ لندن.

7 ـ عبد الوهاب أحمد مصطفى: ترشيحا عروس الجليل الغربي ـ قطر.

8 ـ محمد ناصر (1996): ترشيحا زهرة على صدر الجليل، دار التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر.

9 ـ الحاج بدر الدين الجشي (2002): سفر قرية الكابري ـ روضة من رياض فلسطين المباركة، مكتبة شعراوي ـ بيروت.

10 ـ إبراهيم عثمان (2000): دير القاسي زنبقة الجليل الأوسط الغربي.

11 ـ محمد حسنين هيكل (مايو 2002 ـ الطبعة السابعة) العروش والجيوش، دار الشروق ـ القاهرة.

12 ـ محمد حسنين هيكل (يناير 2002 ـ الطبعة الرابعة) أزمة العروش صدمة الجيوش، دار الشروق، القاهرة.

13 ـ بيني موريس: 1948 ـ تاريخ الحرب العربية الإسرائيلية الأولى.

14 ـ الشيخ محمد ناصرالدين الألباني (2008): هذه دعوتنا ـ جمعية إحياء التراث الإسلامي.

15 ـ عارف حديفة وسيف الدين القنطار: شكيب وهاب ـ سيرة وكفاح.

16 - أحمد علي الحاج علي (2007): مخيم برج البراجنة/ ظلّ الموت والحياة. (المنظمة الفلسطينية لحق العودة «ثابت»).

17 - زهير مارديني (1986): فلسطين والحاج أمين الحسيني (دار إقرأ - بيروت).

18 - محمد أمين الحسيني (1957): حقائق عن قضية فلسطين (تصريحات وأحاديث)، مطابع دارالكتاب العربي بمصر.

19 - د. جيرمي سولت (2008): تفتيت الشرق الأوسط (تاريخ الاضطرابات التي يثيرها الغرب في العالم العربي) - ترجمة: د. نبيل صبحي الطويل، دار النفائس، دمشق.

20 - بيان نويهض الحوت: صبرا وشاتيلا - أيلول 1982، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

21 - مؤسسة الدراسات الفلسطينية (1974 و1983): فلسطين: تاريخها وقضيّتها، الكتاب الثاني، والكتاب الرابع (الطبعة الثانية: بيروت 2009).

22 - عصام عبد الرحمن (2010): بلا عنوان - الطبعة الأولى.

23 - حسين لوباني (2006): رحلة العذاب - 1948 (الطبعة الأولى)، دار العلوم العربية - بيروت.

24 - د. كريم مطر حمزة الزبيدي (2014): المفتي محمد أمين الحسيني، دار العلوم العربية - بيروت.

25 - لوري براند (1991): الفلسطينيون في العالم العربي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية - الطبعة الأولى، بيروت.

26 - وليم كار(الكومندور) (2004): أحجار على رقعة الشطرنج - مكتبة السائح، طرابلس لبنان. ط2 (تم تأليف الكتاب في سنة 1955 بعنوان: الأيدي الخفية في اللعبة)

27 - وليد الخالدي (2006): قبل الشتات - التاريخ المصوّر للشعب الفلسطيني 1876 - 1948، مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت، الطبعة الثالثة 2006 (الأولى 1987).

28 - صقر أبو فخر (2010 - ط2 منقحة): أنيس النقاش - أسرار خلف الأستار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت.

29 - كريم بقرادوني (2009): لعنة وطن (من حرب لبنان إلى حرب الخليج)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - بيروت.

30 - د. عبد الرسول الموسى (2013): بين مدينتين - دار الفكر المعاصر، بيروت.

31 - إياد ملحم: خواطر وتأملات. (غير منشور)

32 - Larry Towell (1998), then Palestine.

33 - د. عبد الحميد الفراني وعوني محمد العلوي (2013): أعلام النساء الفلسطينيات - دار العلوم العربية - بيروت.

34 - الصحف والمجلات التالية

* «السفير» (أعداد: 28/ 5/ 1997، و24/ 6/ 1997، و5/ 7/ 97، و6/ 2/ 98، و14/ 5/ 2001، و18/ 2/ 2002، و7/ 8/ 2008، و16/ 5/ 2011، و 16/ 9/ 11، و8/ 10/ 11، و15/ 10/ 2011، و15/ 5/ 2012، و15/ 6/ 2012، و16/ 11/ 2013.

* «البلد» (عدد 4/ 3/ 2004، و20/ 10/ 2004، و3/ 2/ 2005، و26 / 2/ 2005، و8/ 8/ 2005، و20/ 5/ 2011، و6/ 6/ 2013، و16/ 7/ 2013، و14/ 9/ 2013).

* «السياسة»، و«القبس» (أعداد النصف الثاني من عام 1991، وبخاصة الأعداد بتاريخ 9، و13، و17 تمّوز/ يوليو 1991 - الكويت)

* «الخليج» (العدد 9741 - الإمارات العربية المتحدة)

* «القدس العربي» (عدد يوم الثلاثاء 30/ 10/ 2012)، وعددا يومي 5 و6/ 2/ 2014، و4/ 4/ 2014.

* «النهار» (عدد يوم الثلاثاء 4/ 12/ 2012)

* «الجمهورية» (عدد يوم الثلاثاء 16/ 7/ 2013، وعدد يوم الأربعاء 6/ 11/ 2013)

* مجلة «الحوادث» (بيروت).

* مجلة «المجلة» (عدد إبريل 1991 - السعودية).

* مجلة «الفجرالجديد» (11/ 6/ 91).

* مجلة الشراع (العدد 1544، 21 أيار2012)،

* مجلة «النشرة» (العدد السابع - السنة الرابعة - كانون الثاني 2003).

35 - علاوة على مقابلات ومعلومات مستقاة من أفراد وُلدوا في فلسطين في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، أذكر منهم:

أحمد اسماعيل ملحم، وفوزي علي أبو عيسى قبلاوي، وسامي كمال فاعور، ومحمود كمال آغا، ومنيب رضا آغا، ومحمد فارس مصطفى، وصالح قيس، وسعاد وعبد الرازق القاضي، ونظمية سليم مصطفى، ونظمية ومنتهى العبد فتح الله، بالإضافة إلى مشاهداتي الخاصّة.

من الأعمال المنشورة للكاتب

أولاً: تأليف/المشاركة في تأليف ما يلي:

* الحياة المدرسية والعلاقة بين البيت والمدرسة (1985) - جامعة الكويت.
* التوجيه الفني في أصول التربية والتدريس (1986)، مكتبة لبنان - بيروت.
* تقنيات إنتاج المواد السمعية البصرية واستخدامها - في جزئين (1990)، جامعة الكويت. وطبعة ثانية (1992)، دار الفكر - دمشق.
* إعرف جسمك (2002)، مكتبة الحرية - بيروت.
* تعليم التفكير للأطفال - النظرية والتطبيق (2006)، دارالفكراللبناني - بيروت.

ثانياً: ترجمة/المشاركة في ترجمة ما يلي:

* مراكز مصادرالتعلم (1982)، مكتبة الفلاح - الكويت. (مشترك)
* كيف تواجه الطلبة في فصولهم وتكتب أهدافاً سلوكية (1983)، دارالقلم - الكويت. (مشترك)
* تعليم العلوم بالإستكشاف (1984)، دار ذات السلاسل - الكويت. (مشترك)
* التقنيات التربوية بين النظرية والتطبيق (1985)، مكتبة الفلاح - الكويت. (مشترك)
* تعليم التفكير(لإدوارد دي بونو) (1989)، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي. (مشترك)
* صنّاع الحضارة - أعلام القرن العشرين (1993)، دار الحسام - بيروت.
* إمتحانات بلا خوف (1994)، دار الحسام - بيروت.
* سرّ سعادة الأطفال (1999)، المجمع الثقافي - أبو ظبي.
* صراعات القرن العشرين (2000)، دار الحسام - بيروت.
* حقوق الأرض (2002)، المجمع الثقافي - أبو ظبي.
* التصوير الضوئي الرقمي (2004)، دار الكتاب الجامعي - الإمارات العربية.
* دليل المعلم المبتدئ (2005)، دارالكتاب الجامعي - فلسطين.
* من مرحلة لوسي إلى مرحلة اللغة (2005)، المجمع الثقافي - أبو ظبي.
* كتاب اللؤلؤ (قيد الطبع)، الهيئة الوطنية للثقافة والتراث - أبو ظبي.



هذا الكتاب

من ميناء الشوق والحنين إلى مسقط الرأس في فلسطين أبحر هذا الكتاب، يبحث عن حقيقة وأسباب ومجريات نكبة عام ١٩٤٨.

- غاص في محيطات المعرفة ومتاهات التاريخ بحثاً عن نشأة الصهيونيّة وأطماعها، وعن مستقبل إسرائيل، ومسألة بيع الأراضي لليهود.

- معرِّجاً على محنة تشويه سمعة الفلسطينيين، وقضيّة الظلم الذي حاق بهم، وعلى استبعادهم وإقامة الحواجز أمام نضالهم للدفاع عن بلادهم، وتحريرها، والذود عن حياضها.

- وملامساً مسؤوليّة الفلسطينيين والعرب والغرب والعالم في تمكين الصهاينة من احتلال أرض التين والزيتون ومهبط الأنبياء.

- علّ الأجيال الصاعدة تأخذ من هذه الأحداث والمجريات عبرة تفيدها في كفاحها لاسترجاع الحقوق، وإعادة الوطن السليب إلى أصحابه، ولو بعد حين.



دار العلوم العربية
للطباعة والنشر
تلفاكس: ٩٦١١ ٨١٧٣٣١+
ص.ب: ١٤/٥٧٤٠ بيروت لبنان
nasser_ouloum@hotmail.com